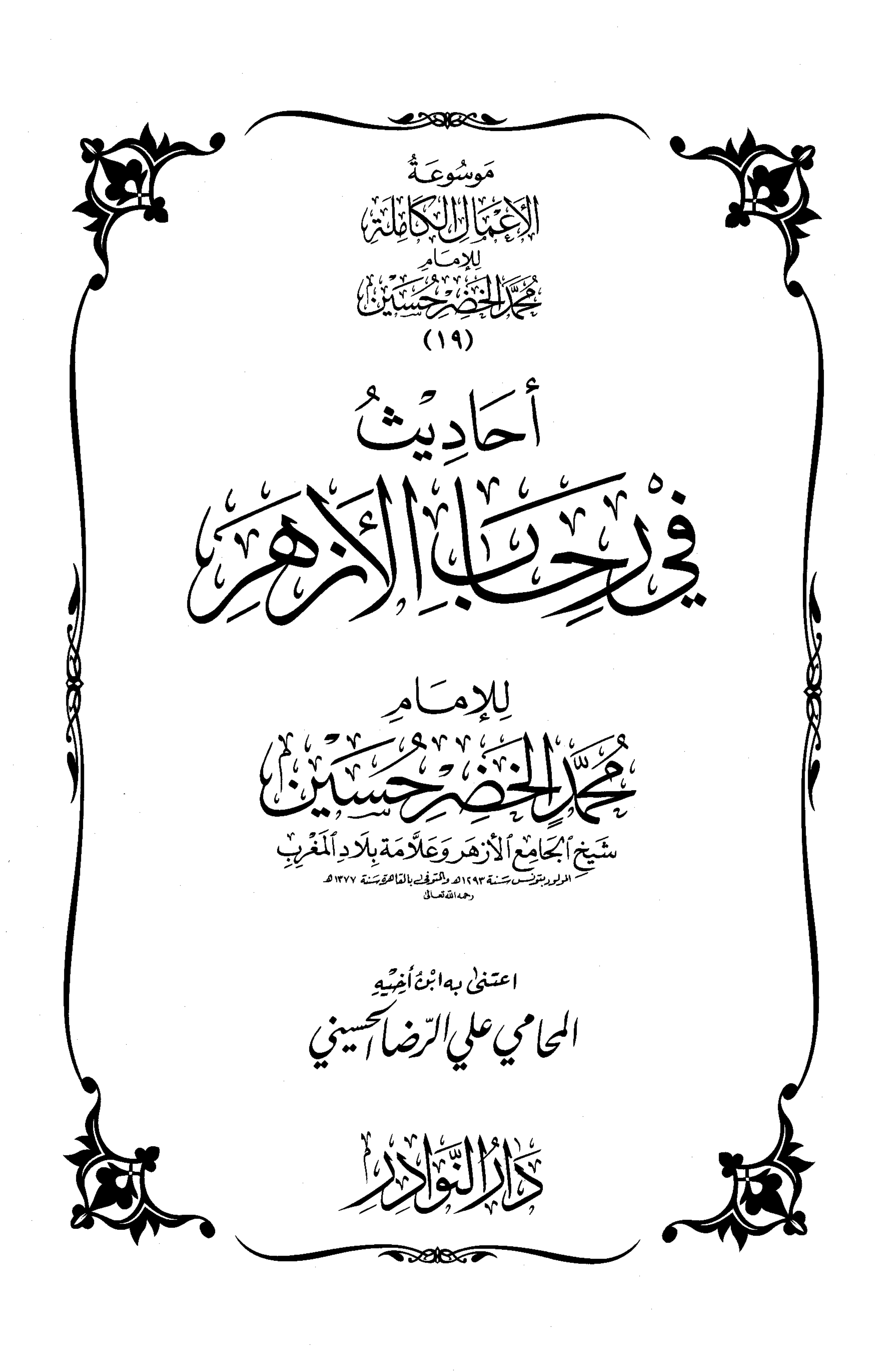


موسوعة

الأعمال الكاملة

للإمام

محمد الخضر حسين

(١٩)

أحاديث في رحاب الأزهر

للإمام

محمد الخضر حسين

شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب

المولود بتونس سنة ١٢٩٣ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ

رحمه الله تعالى

اعتنى به ابن أخيه

المحامي علي الرضا الحسيني

دار النوادر



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

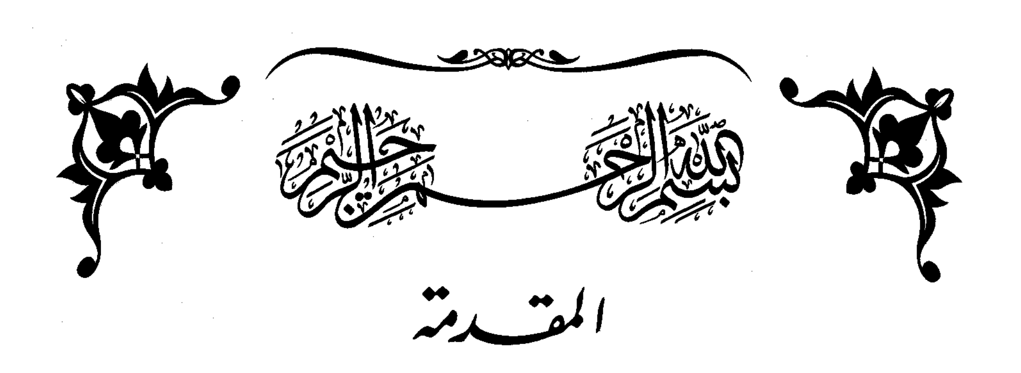
ردمك : ٩ - ٤٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418469

دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَارِ النَّوَادِرِ م.ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ اللُّبْنَانِيَّة ش.م.م - لُبْنَان * شَرِكَة دَارِ النَّوَادِرِ الكُوَيْتِيَّة - ذ.م.م - الكُوَيْت
سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب : ٣٢٠٤٦ - هاتف : ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس : ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسسها سنة : ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المُدِيرُ العَام وَالرَّئِيسُ التَّنْفِيذِي



المقدمة

الإمام محمد الخضر حسين يشع هدى ونوراً، ويفيض علماً، وينتضي القلم جهاداً.

بدأ رحلة الإيمان من مدينة «نفطة» في جنوب القطر التونسي، وانتهت به إلى مدينة «القاهرة». رفيقه الأوحـد ـ ونعم الصاحب في الحل والترحال ـ كتاب الله ﷻ ـ، داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ومناضلاً بقلمه وفكره كل صنوف البغي السياسـي، والانحـلال الخلقي، والإلحاد الشرس.

وبعد هذه الرحلة المؤمنة الشاقة والطويلة، أتته مشيخة الأزهر طائعة مختارة، تدق باب الإمام المتواضع برفق، وتدعوه لمزيد من الكفاح والعطاء، فيلبي النداء رغم الكهولة، وكيف لا يلبي الدعوة وهو القائل:

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى   لفتشت عن وادٍ أعيش به وحدي

وباعتلائه قمة مشيخة الأزهر بعلمه وفضله، فقد شدَّ أواصر الصلة بين الزيتونة والأزهر، وفي هاتين القلعتين الإسلاميتين العظيمتين، سطَّر الإمام بين مطلع حياته الجليلة والسنوات الأخيرة من أيامه المباركة تاريخاً عبقرياً للرجل الداعية المسلم.

لقد جمع إشعاع هذين الجامعين الكبيرين ـ جامع الزيتونة، والجامع

الأزهر ـ في قلبه الأنور، فكان الدرب في الحياة، والصراط المستقيم إلى مرضاة الله، وفيهما أخذ من العلم وارتوى، ومنهما أعطى وأروى.

والإنسان المؤمن يقف خاشعاً أمام هذا الفيض من الآثار الإسلامية واللغوية والأدبية القيمة، التي عزَّزت صرح الإسلام، وزادته قوة ومنعة على مدى الأيام. في حين ينفر من هذا التراث أولياء الشيطان اندحاراً وخساراً.

جاءته مشيخة الأزهر تسعى إليه بنفسها، دون أن يفكر يوماً بهذا المنصب، فهو أزهد الناس بالألقاب وبالمناصب صغيرها وكبيرها، يكفيه من الدنيا كتاب يرتاح إليه ويقرؤه. وقلم يكتب الحق ليزهق الباطل، ولقيمات تبقي على قوة الجسد.

لم تكن لديه في القاهرة عشيرة تكون له سنداً، ولا أسرة تدفع عنه، ولا أخ يشد أزره، ولا ولد يرفع عن كاهله عبء الحياة.

وافته مشيخة الأزهر اعترافاً بفضله العميم، وعلمه الغزير، وسيرته التي هي مضرب الأمثال في التقوى والزهد والنضال والدعوة.

ولمثل الإمام محمد الخضر حسين تعقد ألوية الدعوة والجهاد، ولأمثاله تعهد القيادات الإسلامية، ومثله مثل شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وهذه صفحات الكتاب تضم أحاديث الإمام محمد الخضر حسين في رحاب الجامع الأزهر، تلك التي نشرتها الصحف والمجلات ـ وخاصة جريدة «الأهرام» القاهرية التي أولت أحاديث الإمام عناية خاصة ـ بالإضافة إلى أقوال وتعليقات الصحافة من خلال اختياره للمشيخة.

وقد رتبت حسب تاريخ صدورها، واختيرت العناوين المثبتة في مجلة

الأزهر مع الإشارة إلى نص العناوين الواردة في الصحف إن كان هناك اختلاف.

ولا يفوتني في هذه المقدمة ـ طالما أن هذا الكتاب يتعلق بالإمام والأزهر ـ ذكر حادثة يعرفها أهله، ويتداولها أصدقاؤه وتلامذته من العلماء:

والدة الإمام محمد الخضر حسين هي السيدة حليمة السعدية بنت التقي الصالح الشيخ مصطفى بن عزوز المدفون في مدينة «نفطة»، وشقيقة العلامة الأجل الشيخ محمد المكي بن عزوز دفين مدينة «إستنبول».

تلك الأم الفاضلة التي لقنت ابنها الإمام علوم القرآن والفقه واللغة والأدب، وأشرفت على تربيته الإسلامية، تلك الأم المثلى التي كانت ترفع وليدها بين يديها في سنيه الأولى، وتداعبه وهي تنشد:

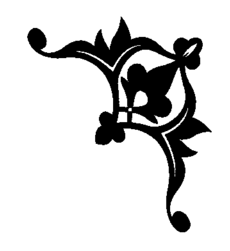
إن شـــاء الله يـــا أخـــضر تكبـــر وتـــروح الأزهـــر

من هناك، من مدينة «نفطة» في أقصى الجنوب التونسي، كانت تربّت عليه، وتضمه... وبعد ما يقرب من ثمان وسبعين سنة، وفي شهر المحرم من سنة ١٣٧٢هـ، يصبح ذاك الوليد إماماً في الجامع الأزهر.

واستجاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ دعاء الأم الصالحة، والحمد لله رب العالمين.

علي الرّضا الحسيني

❑ ❑ ❑

شيـــخ الأزهر يتحدث إلى الأهرام[1]

كتب مندوب جريدة «الأهرام» الخاص في عددها الصادر يوم الخميس ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢هـ (٢ أكتوبر سنة ١٩٥٢م) يقول:

لا يزال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يحتفظ ببساطته في كل مظهر من مظاهر الحياة العامة والخاصة، ومع أنه يشغل منصباً دينياً خطيراً، فلا تزال هذه البساطة التي درج عليها وألفها الناس عنه منذ وفد إلى مصر تلازمه. إن مجلسه لا يزال كما كان، يغشاه كل محب له، وكل مريد للعلم، كيفما كان مظهره ومخبره، ولقد أردت أن أقف على آراء فضيلته في طائفة من المشاكل الأزهرية التي تواجه المسؤولين عادة في مستهل كل عام دراسي، ولما أفضيت بهذه الرغبة، لم يشعر بالحرج الذي يشعر به الرسميون والمسؤولون عادة في مثل هذا الموقف، بل آثر أن يكون صريحاً على سجيته، واضحاً كما عرفته منذ نيف وعشرين عاماً.

---

(١) مجلة «الأزهر» ـ المجلد الرابع والعشرون، صفر ١٣٧٢هـ ـ أكتوبر تشرين الأول ١٩٥٢م.

والحديث منشور في جريدة «الأهرام» العدد ٢٤٠٦٤ تاريخ ١٢ المحرم سنة ١٣٧٢هـ = ٢ أكتوبر تشرين الأول ١٩٥٢م، وتحت عناوين صحفية (الأزهر في مصر بمثابة الكعبة المشرفة في الحجاز ـ تنظيم البعوث الإسلامية تنظيم للدعوة الإسلامية ـ شيوخ المعاهد الدينية هم سفراء الأزهر الرسميون).

*** تنظيم البعوث الإسلامية:**

قلت: إن مشكلة البعوث الإسلامية لا تزال قائمة، ولعل هذه المشكلة تكون هامة إذا عرفنا أن هذه البعوث إنما هي أداة صالحة للدعاية الإسلامية لمصر في مختلف الأمم التي تدين بالإسلام. فهل تزمعون فضيلتكم أن تعملوا على أن تكون هذه البعوث الإسلامية في نظامها الحاضر، وفي طريقة إعدادها متمشية مع ما نرجوه منها، وما نؤمله فيها؟

فقال فضيلته:

لا شك أنني أقدر الرسالة التي يصح أن يضطلع بها طلاب البعوث الإسلامية في الأزهر تقديراً خاصاً، فهم رسلنا لدى أممهم، وهم ألسنتنا المعبرة عن أمانينا وآمالنا، بل لا أبالغ إذا قلت: إنهم المرايا التي تصورنا عند أممهم وشعوبهم بما فينا من خصائص ومزايا ومناقب أصدق تصوير.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن العناية بهم وبإعدادهم يجب أن تشغل حيزاً كبيراً من أوقاتنا. إنني أُعنى في هذه الأيام بوضع نظام خاص بإعدادهم إعداداً قوياً يمكنهم من أن يؤدوا رسالة الخير والسلام على خير الوجوه. إنني أَعد الأزهر في مصر بمنزلة الكعبة الشريفة التي يحج إليها المسلمون على مختلف أجناسهم ومذاهبهم؛ ليؤدوا فريضة دينية، والواجب يقتضي أن نُعني بكل ما يعود بالخير على الأزهر؛ لأنه يعود بالخير نفسه على مصر، وعلى الإسلام.

ولا أذيع سراً إذا قلت: إنني كنت أسمع الكثير من الأنباء التي تحز في نفسي وتؤلمني؛ لأنها كانت تمثل العلاقة بين طالب البعوث وشيخ رواقه تمثيلاً لا أحبه ولا أرضاه. لذلك عُنيت كل العناية بأن أعمل على أن تقوم

بين الاثنين علاقة روحية قوامها الحب والمودة والإخاء والخير، وأعتقد أن هذه العلاقة سوف تقوم وتتوطد منذ الآن، فلا أعود أسمع مرة أخرى أن شيخاً ظلم تلميذاً له، أو أن تلميذاً لم يوقر شيخه التوقير الذي يليق به.

*** المكتبة الأزهرية:**

قلت: والمكتبة الأزهرية. ألا ترى فضيلتكم أنها اسم على غير مسمى، وعنوان لا موضوع له؟ وما هي الفائدة من أن يقال: «المكتبة الأزهرية»؛ أي: المكتبة التي تمثل أقدم جامعة دينية في العالم، ثم تعطل وظيفتها، فلا ينتفع بها طالب ولا عالم، ولا أجنبي ولا وطني، ولم لا تكون مكتبة على غرار «دار الكتب»؟ ولم لا تنشأ فيها غرفة للمطالعة، وأخرى للبحوث والدراسات؟!.

فقال فضيلته:

إن من الحقائق الثابتة: أن المكتبة الأزهرية تشغل مكاناً غير لائق بها، ويسمح لطلاب العلم والبحث والمعرفة بالانتفاع من كنوزها النفيسة، وذخائرها العلمية التي لا يوجد لها مثيل في جميع مكتبات العالم، إنها تشتمل على آلاف من الموسوعات العلمية والدينية ذات القيمة الخاصة في عالم البحث والمعرفة، وإن الأجانب الذين يترددون على الأزهر من العلماء والمستشرقين لا يعرفون كيف ينتفعون بما تشتمل عليه من النفائس والذخائر. ولذلك فإني أعمل الآن على تدبير مكان صالح لها، على أن تتوافر في هذا المكان الشروط التي يجب أن تتوافر في مكتبة تاريخية عامة تكاد تكون عالمية؛ كمكتبة الأزهر، فيكون فيها نظام الإعارة على نظام جديد، وأن ينتفع بها الطالب والعالم والباحث على الطريقة العلمية الصحيحة. وقد أفرغُ من دراسة هذا النظام في وقت

قريب إن ـ شاء الله ـ، وسوف يكون من شأن هذا النظام أن توحد المكتبات الأزهرية التي توجد في مختلف الأروقة، وتجمع كلها في المكتبة الأزهرية الكبرى، فيشرف عليها مدير واحد، ويكون نظامها واحداً.

*** المعاهد الدينية:**

قلت: أعرف أن فضيلتكم تشتغلون الآن في إعداد تنقلات بين أصحاب الفضيلة شيوخ المعاهد، فهل انتهيتم إلى رأي في هذا الموضوع الهام، وقد أصبحنا في مستهل السنة الدراسية؟

قال فضيلته:

إنني أعتقد أن شيخ المعهد في الإقليم هو مظهره ورأسه المدبر، وعنوانه بين مختلف الطوائف والطبقات في هذا الإقليم، وأعتقد أن العناية باختيار شيخ المعهد بدرجته تحتاج إلى البحث عن صفات وشروط خاصة، فلا يصح أن يختار شيخ المعهد بدرجته أو أقدميته، وإنما يجب أن يختار بكفايته وأهليته ومكانته، سواء من ناحية العلم والخلق والكرامة، أو من أية ناحية أخرى.

ولذلك فإني أستضيء في بحثي بهذه الاعتبارات؛ لأني أحرص على اختيار شيوخ يتَّسمون بالخلق والكرامة والكفاية، مع الغيرة الدينية؛ ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم من الطلاب، وليكون شخ المعهد في إقليمه خير سفير يمثل المسلمين في هذا الإقليم. وإني لأرجو أن أنتهي من هذه المسألة في وقت قريب جداً، أو في أيام قلائل؛ ليكون كل شيخ على رأس المعهد الذي يعين شيخاً له في مفتتح العام الدراسي.

*** مدير مجلة الأزهر:**

قلت: ولا زلت أرى أن «مجلة الأزهر» في حاجة قصوى إلى أن يوضع

لها نظام صحفي يمكنها من أن تساير النهضات الاجتماعية في مختلف مرافق الحياة، وقد قرأت أن فضيلتكم قد قبلتم استقالة مديرها السابق الأستاذ أحمد حسن الزيات.

وهنا قاطعني فضيلة الأستاذ الأكبر، وقال بصوت خفيت: إنني سوف أختار لهذه المجلة عالماً أزهرياً يجعل طابعها أزهرياً، ويمثل فيها الأزهر ببحوثه، أو بالبحوث التي ينشرها فيها. ولا شك أنني أرمي من وراء ذلك إلى أن تكون هذه المجلة اللسان المعبر عن نزعات الأزهريين المختلفة، وآرائهم في مختلف البحوث التي تتصل بالإسلام، أو بالحياة الإسلامية، فتنير الطريق أمام قرائها، سواء أكانوا مسلمين، أم غير مسلمين، في أمهات المشاكل ومعضلات المسائل العامة التي تكون موضع أخذ ورد بين الناس، وبهذا تكون المجلة قد أدت رسالتها على نحو سليم صحيح. وأنت تعرف أنني قد تحملت أعباء العمل في هذه المجلة بضع سنوات، فعرفت مواطن الضعف فيها، ومكان النقص في رسالتها، ولذلك فإني أسترشد بما لمسته من الحقائق، وأرجو أن يكون رائدي فيما أعتزمه من العمل، على أن يوضع لهذا النظام الذي يكفل لها الحياة والنمو والبقاء.

*** الأزهريون عنوان الخير والمحبة والسلام:**

قلت: وهل لفضيلتكم كلمة تستقبلون بها أبناءكم من العلماء والطلاب في مناسبة افتتاح السنة الدراسية؟ إنني قد رأيت في هذه الأيام الأخيرة أن هناك اتجاهات متناقضة تصور بعض الأزهريين على أن بينهم خلافاً مستحكماً.

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر:

أنا أميل بطبعي إلى الخير والسلام، ولم أكن في يوم من أيام حياتي

متحزباً، ولا متعصباً، بل كنت دائماً أكره التحزب والتعصب، وأوثر أن آخذ الأمور باللين والرفق والهوادة، وأنت تعلم أن شـيخ الأزهـر هو الذي يمثل الأزهر، ودعوة الأزهر إنما تقوم على تحقيق معاني الخير والتواد والتحاب بين الناس أجمعين، والأزهريون ـ بحكم وضعهم ووصفهم ـ هم الذين يبصِّرون الناس في أمور دينهم ودنياهم، ولذلك كان طبيعياً أن يكونوا عنواناً للخير والمحبة والسلام، وأن يكونوا إخواناً متحابين في الله، متساندين؛ لتكون لدعوتهم صداها وأثرها في التوجيه والإرشاد في مختلف الأمم الإسلامية، إن علماء الأزهر هم أقرب الناس إلى معرفة أوامر الله ونواهيه، وهم من الأمة في مقام الأئمة والهداة، ومن أجل هذا وجب عليهم أن يكونوا حريصين على كل ما يرضي الله، وما يحقق الخير لهم وللناس، وأنت تعلم أن الصفح والعفو والمغفرة من صفات الرجل المؤمن بالله، العالم الإمام الحذق، وأن من أحب الأمور إلي أن تجتمع قلوبنا على ما يكون، وأن نستقبل الأيام بروح التسامح والمحبة حتى نصل إلى ما يرضي الله، ويحقق الصالح العام، والله وحده يهدينا إلى سواء السبيل.

*** ترجمة تفسير القرآن:**

قلت: هل أستطيع أن أقف على رأي فضيلتكم في ترجمة تفسير القرآن؟.

فأجاب فضيلته:

هل تريد ترجمة معاني القرآن، أم ترجمة تفسير القرآن؟ إن هناك فرقاً بين ترجمة معاني القرآن، وترجمة تفسيره، وعلى كل، فإني أرى أن نرجئ الكلام في هذا الموضوع حتى أتمكن من الاطلاع على ما سبق أن وضع من التقارير والمذكرات في هذا الموضوع، وإلى فرصة قريبة ـ إن شاء الله ـ.



من الأستاذ الأكبر إلى أبنائه الطلبة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فباسم الله تعالى، وعلى بركته، نستقبل عاماً دراسياً جديداً في عهد جديد، والعهد الجديد يطلب من كل فرد أو جماعة أن يحقق الغاية التي يناط به تحقيقها.

والغاية التي ناطها الله بكم، وجعلها أمانة في أعناقكم: هي غرس الدين، وتقوية اليقين في الأمة، وتربية الفضائل فيها، واجتثاث الرذائل منها، ونشر الأخوة الإسلامية والوطنية بين أفرادها، وإحلال المحبة والتراحم محل التباغض والتشاحن، وإحلال التعاون على البر والتقوى محل التعاون على الإثم والعدوان.

بهذه التربية الرشيدة تنشأ الأمة مؤمنة قوية، شديدة الأسر، عزيزة الجانب، تأبى الضيم، وتنفر من الاستعباد، وتكون من الأمم ـ بحق ـ موضع الإجلال والكرامة، بل موضع القدوة والزعامة.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الرابع والعشرون ـ صفر ١٣٧٢هـ = أكتوبر، تشرين الأول ١٩٥٢م.

إن غايتكم هذه هي غاية الأنبياء والمرسلين، وقد جعلكم الله ورثتهم: تقومون بما قاموا، وتؤدون لله والوطن ما أدوا. إنها أسمى غاية وأنبلها، وبدونها يكون كل إصلاح ـ وإن اجتهد صاحبه ـ سطحياً ظاهرياً، لا ينفذ إلى باطن الأمر ولبه، بل يكون رقماً على الماء، أو نقشاً في الهواء، وقد نبه على ذلك النبي ﷺ إذ يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

أبنائي! إن الأمر الجسيم لا ينال إلا بالعمل الجسيم، والإعداد القوي.

فعليكم ـ أيها الطلاب ـ أن تعدوا أنفسكم لهذا الأمر الجلل، وذلك بأن تكملوا أنفسكم بالعلم، وتهذبوها بالخلق، وتجعلوا غايتكم أمامكم؛ لتسددكم وتقويكم، وتشد من عزائمكم. وستجدون ـ إن شاء الله ـ من أساتذتكم آباء رحماء، ينهلونكم من مناهل العلم والتثقيف، ويعنون بكم في الدرس وفي خارج الدرس، ويرعونكم ويوجهونكم، ويحلون ما يعرض لكم من مشكلات في حياتكم العلمية والاجتماعية. وسنربط بينكم ـ بإذن الله ـ رباط وثيق من المحبة والتعاون على بلوغ هذه الغاية العظمى.

سددكم الله وقوّاكم، وأعاننا وإياكم على هذا الإصلاح العظيم، في هذه النهضة العظيمة المباركة، والسلام عليكم ورحمة الله.





شيـــخ الأزهر يعترض على القبعة(١)

قالت جريدة «الأهرام» في عددها الصادر يوم الأحد ١٢ أكتوبر:

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الرابع والعشرون، صفر ١٣٧٢هـ = أكتوبر، تشرين الأول ١٩٥٢م.

جريدة «الأهرام» العدد ٢٤٠٧٤ تاريخ ١٢ ـ ١٠ ـ ١٩٥٢م.

وقد أثار هذا التصريح بعض الرموز المعروفة في مصر بعدائها وتسخير أقلامها للنيل من الدعوة الإسلامية بتوجيه خبيث. كتب الصحفي محمد التابعي في «مجلة آخر ساعة»، وتحت عنوان ملأ كامل الصفحة: «المسلم يرتدي القبعة إذا كان جاسوساً». ومما قاله: أي: أن شيخ الأزهر لا يريد أن يرتدي المسلم القبعة إلا إذا كان مكلفاً بالتجسس، ولكن الذي لم يوضحه شيخ الأزهر هو: هل يعتبر البدلة هي الأخرى مما يمتاز به المخالفون؟ وإذا كانت في نظره هكذا، فلماذا لا يصدر فتوى بتحريمها؟ «آخر ساعة» العدد ٩٤٣ تاريخ ١٩ ـ ١١ ـ ١٩٥٢. ومن المعروف عن هذا الصحفي أنه يلبس القبعة، كما كتب التابعي نفسه في مقال آخر من زاويته «من أسبوع لأسبوع» في مجلة آخر ساعة تهجماً على الإمام محمد الخضر حسين، لم يكن ليجرؤ على كتابته لو أن الشيخ مصري له عشيرة تحميه، وقد أنهى كلمته بالعبارة التالية: «إن صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر مشهود له بالتقى والعلم والورع... ولكن أشهد أنه لم يكن موفقاً في حديثه المذكور... حديثه المملوء بالمتناقضات».

على أثر ما أذيع خاصاً بأن اللجنة التي أُلفت لتوحيد الزي: أنها قد رأت استبعاد الطربوش كغطاء للرأس، والاستعاضة عنه بغطاء عملي مناسب؛ كالبيريه، أو القبعة، على أن يشمل توحيد الزي جميع المصريين، عدا هيئة كبار العلماء، والعلماء المشتغلين بالتدريس، توجه مندوب «الأهرام» إلى فضيلة الأستاذ الأكبر، وسأله رأيه في هذا الزي المقترح، فأفضى إليه فضيلته بهذا التصريح الهام:

إنني علمت أنه قد اقترح أن يكون الزي الموحد هو الزي الأوربي؛ لأنه أصبح زياً عالمياً، ولأنه من الناحية العملية أكثر ملاءمة لهيئات العمال والفلاحين، وهذا الزي يتألف من بنطلون وقميص بأثمان مناسبة.

وإنني أصرح بأن القبعة والبيريه ليستا زياً عالمياً، وأن مئات كثيرة من الملايين في آفاق لا حد لها من قارات الأرض لم تتخذ هذا الزي، ولذلك لم يبلغ أن يكون زياً عالمياً، ثم إنه ليس من الحتم على أية أمة أن تجاري الشكليات، حتى لو كانت عالمية، قبل أن تقتنع بأن ذلك أصلح لها.

والأصلح لجو كل أمة هو ما دلتها عليه تجارب ألوف السنين، وإذا استوحى المصلحون من هذه التجارب الطويلة ما يكون به توحيد الزي، فإنهم يصيبون بذلك الغرض من التوحيد والإفادة من تجارب الزمن.

وإن مصر على الخصوص عضو ممتاز ومرموق في العالم الإسلامي الذي زاد تعداده في هذه السنوات على خمس مئة مليون، ومن غير المنتظر أبداً أن يرضى العالم الإسلامي بأن يفني شخصيته في غيره، ويندمج في الزي الأجنبي عنه المزعوم أنه عالمي، لاسيما وأن في سنن الإسلام الجوهرية التي لا يمكن أن يتساهل فيها المسلمون ـ إلا بانحرافهم عن دينهم ـ أن يكونوا

متميزين عن غيرهم. وأئمة المسلمين يعدون من الخروج على الإسلام: الانحراف عن زيه إلى زي غير المسلمين فيما اختصوا به من علاماتهم، وقد كان من علاماتهم في القرون السالفة «الزنار»، فكان لبس المسلمين يومئذ للزنار يعد في الفقه الإسلامي خروجاً عن الإسلام يستحق فاعله العقوبة.

والمتعارف الآن عند المسلمين في مختلف أقطارهم: أن القبعة هي علامة غير المسلمين التي يفترقون بها عن أهل الإسلام، فلها الآن مثل حكم الزنار فيما مضى.

وعلى كل حال، فإن شهوة الانغمار في الزي على زعم أنه عالمي ـ وما هو بعالمي ـ سيفصل المصريين ـ وهم قلة قليلة من المسلمين ـ عن إخوانهم من أمم العالم الإسلامي البالغ عددهم خمس مئة مليون، وأول ما سيكون من سوء الأثر لذلك في شطر وادي النيل الجنوبي. وقد جربت إحدى الأمم الشرقية هذا الأمر قبل نحو ربع قرن، وحملت شعبها عليه بالقوة، ومع ذلك لا يزال شعبها حزيناً آسفاً مكسور الخاطر مماحمل عليه.

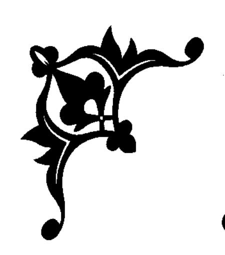
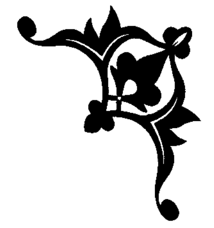
ولا يزال العالم الإسلامي ينظر إلى ذلك بعين الاستنكار والاستغراب، وقد كان القائمون بهذه التجربة يتوقعون هم والذين شجعوهم على ذلك أن يكونوا قدوة فيه لأمم إسلامية أخرى.

فكان المسلمون أحصف من أن ينزلقوا في ذلك؛ لأنهم يعلمون أن به خروجاً عن سنَّة من سننهم التي احترموها والتزموها منذ أربعة عشر قرناً.

إن فكرة توحيد الزي فكرة حسنة، ولكنها في أي قطر يغلب على سكانه العمل بأحكام الإسلام ينبغي أن لا يصطدم بسنَّة من سننه ليكتب لها النجاح والبقاء والرضا من جمهور الأمة.

وقد سأل مندوب «الأهرام» فضيلته عن الزي الذي يراه ملائماً لنا، فقال: للقائمين بالأمر أن يختاروا الزي الذي يرونه ملائماً لنا، على أن يكون مخالفاً لما امتاز به غير المسلمين.



لا قيمة للعلم ما لم تلازمه الفضائل الخلقية[(١)]

سأل مندوب «المصري» فضيلة الأستاذ الأكبر عن رأيه في التعليم، وموقف الإسلام منه، فقال فضيلته:

كانت إساءة الاستعمار باحتلاله العسكري في السبعين سنة الماضية، ثم باحتلاله السياسي والاقتصادي، أهونَ شراً، وأدنى إلى دفع غوائله ـ على فداحتها ـ من إساءته إلى مصر على يد (دنلوب) فيما رسم من خطط لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهاً آلياً، يعنى بالقشور والشكليات، وينأى بالمدارس ومعاهد العلم عن أن تكون لها رسالة سامية من رسالات الله في تهذيب النفوس، وإعداد الجيل الصالح، وتكوين الرجال الذين يعيشون لأمتهم، وينهضون بها إلى المستوى الكريم الذي يستحق أهله السعادة في أنفسهم وفي مجتمعهم، والاحترام من الأمم الأخرى.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الرابع والعشرون، صفر ـ ١٣٧٢هـ = أكتوبر، تشرين الأول ١٩٥٢م.

جريدة «المصري» العدد ٥٣٤٩ تاريخ ٢٠ ـ ١٠ ـ ١٩٥٢م، وجاء المقال تحت العناوين التالية: «شيخ الأزهر يصرح للمصري ـ لا قيمة للعلم ما لم تلازمه الفضائل الخلقية ـ إن سياسة الاستعمار أساءت إلى التعليم في مصر أبلغ إساءة ـ إذا أهملت أمة تربية أبنائها على الدين، فرّخ الإلحاد في أدمغتهم».

والمتاعب التي يواجهها الآن رجال الإصلاح في تطهير الأداة الحكومية وإصلاحها، وتقويم الاعوجاج الاقتصادي والاجتماعي، وتوجيه الأمة والوطن إلى الخير، لا شك أنها بعض نتائج هذه الناحية الضعيفة في نظام التعليم، كما رسم دنلوب خططه، ووضع أسسه؛ ليبتعد برجال المستقبل عن مواطن الخوف من الله وحده، وعن معايير الفضائل والأخلاق، وأن تكون للمصري المتعلم رسالة سامية في الحياة يحقق بها لوطنه السعادة والقوة والحيوية والنشاط الدائب الدائم، فطفقت هذه المصانع التعليمية تخرج الجيل بعد الجيل من المؤمنين بالمصلحة الذاتية وحدها دون المصلحة العامة، وبالرفاهية الشخصية من الحلال والحرام، وإن وصل الوطن إلى الحالة التي تتحدث عنها الصحف اليوم، وكان يبكي منها العقلاء دماء من قبل.

هذا التعليم في المدارس المصرية من زمن (كرومر)، إلى يوم الناس هذا، تعليم جاف، لا يعنى بتكوين الإنسانية في الإنسان، ولا الإسلامية في المسلم، ولا الوطنية في ابن الوطن، ولا الرحمة والرفق والتعاون على البر والتقوى في قلب الرجل المثقف، ولا يصل حاضر الأمة بماضيها التي تحمل لنفسها وللإنسانية أكرم أمانات الله وأنبلها.

ولعل أصدق شهادة على هذه الحقيقة جنوح عدد كثير من كبار رجال وزارة المعارف نفسها ـ فضلاً عن غيرهم ـ إلى تخريج أبنائهم في مدارس أجنبية، يعلمون أنها أسست لأبناء جاليات لا حاجة بهم إلى كثير مما يحتاج إليه التلاميذ المصريون في قوميتهم ودينهم، لكنهم اضطروا إلى الرضا لأبنائهم بهذه المدارس الغريبة عنهم، العارية عن أمسِّ حاجاتهم القومية والملية، فراراً من ناحية الضعف التي أزمنت عللها في مدارسنا، واستشرى داؤها مدة نصف قرن وأكثر.

والآن، وقد منَّ الله بهذا الانقلاب الذي هيأ برحمته أسبابه، فقد آن لمدارسنا أن تبنى على أساس أن اكتساب العلم والمعرفة غاية مطلوبة لذاتها، لا وسيلة يتذرع بها للحصول على الشهادة، ثم الحصول بالشهادة على الوظائف، نعم، إن الوظائف تحتاج إلى موظفين مثقفين من حملة الشهادات بشرط أن تكون في قلوبهم مخافة الله في حقوق الأمة ومصالح أبنائها.

وقد آن لها أن تبنى على أساس أن العلم إذا لم تلازمه الفضائل الخلقية، والخوف من الله، والحرص على مرضاته، فإنه يكون حينئذ كالسلاح في أيدي من لا يجيز القانون أن يكون في أيديهم.

بل من هنا تولدت الحاجة العظمى اليوم إلى التطهير والإصلاح، وإذا لم يتغير اتجاه القطار في التعليم، فستبقى هذه الحاجة إلى التطهير والإصلاح ما دمنا على ما نحن عليه.

وقد يظن البعيدون عن معرفة أثر الدين في نفوس الجيل أن العرض السطحي للأخلاق في كتب المطالعة وأمثالها يغني الناشئة عن تثبيت عقيدتها بالله، وتوثيق معرفتها برسالات الله في مرحلتي التعليم الابتدائية والثانوية، وعن تحقيق ذلك بتطبيقه عملياً حتى يتمرن التلاميذ عليه، وتكون فضائله سجية، لا عادة.

وكل تقصير في ذلك يجعل الانحراف الناشئ عن زيغ العقيدة أصعب صلاحاً من الانحراف الناشئ عن طغيان الشهوة؛ لأن زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب؛ بزعم أنها ليست من الحسن في شيء، أما المغلوب للشهوة وحدها، فإنه ينصرف عن الحسنة معترفاً بأنه أقبل على سيئة؛ لذلك كانت معالجة المغلوب للشهوة أهون من معالجة من زاغت عقيدته؛ لتهاون

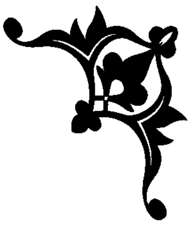
المدرسة في حياطة هذه العقيدة، والقيام على أمانات الله فيها.

وإذا كان سوء الأخلاق ـ الذي هو علة اختلال النظام ـ ينشأ من زيغ العقيدة تارة، ومن طغيان الشهوات تارة أخرى، فإن الإسلام دين ينير العقول بالحجة، ويهذب النفوس بالحكمة، وكم أخرجت مدارسه، ومجالس القوَّامين على هدايته من رجال يلاقون الأسـود فيصرعونها، ويخفضون أجنحتهم تواضعاً للمستضعفين! وإن سماحة الدين، وما له من الأثر الخطير في إعداد أمة روحها البطولة، وزينتها التقوى، وغايتها السيادة، من أشد ما يبعث أولي الأمر منا على أن يضعوا علوم الدين بالمكانة العليا، والتربية على آدابه وفضائله؛ بالإشراف، والمراقبة، والتدريب، والقدوة، في مقدمة ما يطلب من مدرسة العهد أن تحققه من أجل هذا الوطن.

إن هذه الأمة مسـلمة، والأمة المسـلمة لا ترضى إلا أن يكون أبناؤها مطمئنين بحجج الدين الحنيف، سائرين في ضوء حكمته الغراء، مسترشدين بسيرة عظماء السلف، وينشدون فيها مثلهم العليا. وإذا وجد في الناس من لا يؤلمه أن يكون ولده في ظلام من الغي، فأمثال هؤلاء ـ على قلتهم ـ استهواهم زخرف الحياة غروراً، وما كان للحكومة الرشيدة إلا أن تقيم سياستها على رعاية ما فيه خير النشء، ويكون قسط تلك الطائفة في هذه السياسة تقويم عوجهم. وإذا أهملت بلاد تربية أبنائها على الدين، باض الإلحاد وأفرخ في أدمغتهم يوم تكون في أيديهم أزمتها، ويا شقاء أمة يتولاها من لا يخاف الله، ولا يتوخى مرضاته.







سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين[1]

قال مندوب «الأهرام»:

أتيح لي أن جلست وفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر جلسة طويلة ممتعة، وتحدثت إلى فضيلته في مختلف الشؤون، وكان في مقدمة هذه الشؤون: أهمية ما يتعلق بالأجانب المقيمين بمصر، وما حكم الشريعة الإسلامية في معاملتهم، وكيف ينظر إليهم الإسلام؟ وبماذا يأمرنا به نحوهم؟.

ولقد تجلى فضيلة الأستاذ الأكبر في تجليتها، وتبيان أحكام الشريعة السمحة فيها، وقد كان فضيلته يعنى أكبر العناية بدعم آرائه بالكتاب الكريم، والحديث الشريف، والأثر الصالح عن السلف الصالح، قال فضيلته:

ينظر الإسلام إلى رسالات الله كلها على أنها دين واحد، تتفق في أصولها وروحها وغاياتها، وإن اختلفت في صورها ومظاهرها وتطورها.

ولذلك كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي عرفه البشر داعياً إلى تكريم رسل الله وأنبيائه جميعاً، فقال ﷻ في أواخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثالث ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = نوفمبر، تشرين الثاني ١٩٥٢م.

﴿مِن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

فنظرة الإسلام هذه إلى وحدة الأصل ووحدة الغاية في ديانات الله ورسالاته كلها، كان من أولى نتائجها: أن لا ينظر المسلمون إلى شيء من ديانات الله نظرة ضغينة أو عداء، وأن لا يذكروا أحداً من الذين حملوا رسالات الله إلى أهل الأرض إلا بالتعظيم والإجلال والتكريم، فإذا ذكروا أحداً منهم، قالوا مثلاً: «سيدنا إبراهيم عليه السلام»، و«سيدنا موسى الكليم عليه السلام»، و«سيدنا عيسى عليه السلام» يقولون ذلك عن عقيدة وإيمان؛ لأن كتابهم الحكيم طالبهم بأن يؤمنوا بذلك وأن يقولوا ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٨٥].

ولا شك عندنا بأن دين الإسلام هو أول دين في العالم أعلن هذا المبدأ، وهذا في سورة البقرة أيضاً: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ﴾[البقرة: ٢٥٦]، بل لعل الإنسانية لم يطرق النداء بهذه العقيدة سمع أحد منها في أي بلد من بلاد الأرض قبل أن يفرض الإيمان بها في الحجاز، وقبل أن تقرر على أنها عقيدة من صميم الإيمان الإسلامي. فكل مسلم يخرج عليها، أو يعمل بما ينافيها، فهو مخالف لشعبة عظيمة من شعب إيمانه بالإسلام.

والقرآن يسمي المنتسبين إلى التوراة والإنجيل: (أهل الكتاب)، ومع تسامحه العجيب الذي لم يسبق له مثيل مع بني الإنسان جميعاً؛ فإنه خص أهل الكتاب بمنزلة أسمى، ومعاملة أكرم. ومن ذلك قول الله ﷻ في سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٦].

وغير المسلمين في نظر الإسلام ثلاثة أصناف: محاربون، ومعاهدون، وأهل ذمة.

وحكم الإسلام فيمن يحاربونه: أن يدفعهم المسلمون إذا هاجموا، وأن يبادروهم بما يكف بأسهم إذا تحفزوا، وأن يقوِّموا اعوجاجهم إذا اعتدوا على الحق إلى أن يعودوا إلى الإنصاف، وفي ذلك يقول الله سبحانه في سورة الحج: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ (أي: يقاتلهم المعتدون) بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ (أي: في حالة ظلم عدوهم لهم) وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج: ٣٩].

ويقول في سورة البقرة: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة: ١٩٠].

ثم إن القتال لا يكون في سبيل الله إلا إذا التزم فيه المسلمون مرضاة الله، والله لا يرضى منهم إلا الإنصاف والعدل والرحمة، وإيثار الحق على الباطل، والخير على الشر، في جميع التصرفات، وهذا هو سبيل الله، وما خالفه فليس من سبيل الله، والقتال فيه لا يكون عند المسلمين شرعياً. وإن تفصيل التشريع الإسلامي في القرآن الحكيم، وسنة نبيه الكريم فيما يتعلق بالحرب والمتحاربين، يدل على أنه قرر المبادئ الإنسانية السامية في ميادين القتال، وجعلها ديناً يحاسب أهله عليه بين يدي الله، فضلاً عما ينالهم في الدنيا من الخزي إذا خالفوا هذه المبادئ العليا.

ولا نظن أن أمة بلغت مبلغ المسلمين في ذلك، فضلاً عن الرحمة والرفق في تطبيق هذه المبادئ منذ أربعة عشر قرناً.

ومن الرفق الذي أقام الإسلام عليه سياسته الحربية: أنه منع التعرض

بالأذى لمن لم ينصبوا أنفسهم للقتال؛ كالرهبان، والفلاحين، والنساء، والأطفال، والشيخ الهرم، والأجير، والمعتوه، والأعمى، والمصاب بالزمانة[1]، بل من الفقهاء من لا يجيز قتل الأعمى والزَّمِن، ولو كان من ذوي الرأي والتدبير في الحرب.

ولو أردنا الإفاضة في تفاصيل مبادئ الإنسانية العليا في أحكام الإسلام الحربية لاحتجنا إلى تأليف كتاب؛ لأنه لا يتسع له مقال في الصحف.

أما المعاهدون، وهم الذين انعقد بهم وبين المسلمين عهد على السلم، فيجب على المسلمين الوفاء لهم بعهدهم كاملاً، وأن يستقيموا لهم ما استقاموا للمسلمين.

وقد وصى النبي ﷺ أمته بالذين بينهم وبين المسلمين معاهدة، فقال: «من ظلم معاهداً، أو كلفه فوق طاقته، فأنا خصمه يوم القيامة».

وحتى لو توقع المسلمون الغدر والخيانة من عدوهم المعاهد، فلا يجوز لهم أن يعجلوهم بالقتال إلا بعد إنذارهم وإعلانهم إلغاء حالة السلم التي كانت بين الفريقين.

وهذا معنى قول الله ﷻ في سورة الأنفال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[الأنفال: ٥٨]. ومن تمام ذلك قوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٤]. ثم قوله بعد قليل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة: ٦].

---

(١) الزمانة: مريض يدوم.

وأكثر الأحكام التي يعامل بها المعاهدون في بلاد المسلمين مبنية ـ بعد الوفاء بالعهد ـ على مبدأ المقابلة بالمثل. فنعامل رعايا كل فريق من الذين بيننا وبينهم عهد بمثل ما يعاملون به رعايانا إذا دخلوا بلادهم، ويوصي الإسلام بنيه بأن يرتبطوا بهم في بلادنا برباط الألفة والعطف والتعاون، وأن يكونوا متمتعين بحقوقهم الدينية، آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

وأعظم من كل ما تقدم مكانة أهل الذمة في الإسلام، فلفظ (الذمة) معناه: ذمة الله وعهده وأمانته ورعايته.

وقد ورد في الحديث النبوي: «من قذف ذمياً، حُدَّ يوم القيامة بسياط من نار».

وروى الخطيب البغدادي، في تاريخه ـ وهو من كبار أئمة الحديث الشريف، وحفاظ السنَّة النبوية ـ عن عبدالله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «من آذى ذمياً، فأنا خصمه، ومن كنت خصمه، خصمته يوم القيامة».

وقد بنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على هذا الحديث أوامره إلى قائده الأعظم في جيش الفتح المصري، وواليه الأول على وادي النيل، وهو أبو عبدالله عمرو بن العاص السهمي، فكتب إليه عقب فتح مصر يقول: «احذر يا عمرو أن يكون رسول الله ﷺ لك خصماً؛ فإنه من خاصمه، خصمه». ونص عمر بن الخطاب على نفسه فيما كتبه من العهد لأهل بيت المقدس عند فتحها، فقال: إنه «أعطاهم الأمان لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وسائر ملتهم، لا تسكن كنائسهم، ولاينقص منها، ولا من خيرها (أي: أوقافها وصدقاتها)، ولا من صُلبهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم».

وقد نص الفقهاء عند استنباط الأحكام التشريعية من حديث: «لا يبيع رجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته»، فقالوا: البيع على بيع غير المسلم الداخل في ذمة الإسلام كالبيع على بيع المسلم، والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم، كلاهما حرام. وفي آداب المعاشرة نبهوا على حقوق أهل الذمة، وندبوا إلى الرفق بهم، واحتمال الأذى في جوارهم، وحفظ غيبتهم، ودفع من يتعرض لأذيتهم.

وقال الشهاب القرافي ـ وهو من كبار أئمة التشريع في الإسلام ـ في كتابه الشهير «بالفروق»: «إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا؛ لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا، وفي ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، ودين الإسلام. فمن اعتدى عليهم ـ ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو أي نوع من أنواع الأذية ـ، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ، وذمة دين الإسلام».

وقال الإمام ابن حزم في مراتب الإجماع: «إن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه أي: يقصدون من كان في ذمة الإسلام ـ، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح، ونموت دون ذلك؛ صوناً لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله ﷺ؛ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة».

وبعد: فإن المسلمين قد استناروا بسماحة دينهم، وتعلموا من آدابه أن يحسنوا معاشرة أصحاب الأديان الأخرى ممن لا يكيدون لهم كيداً، ولا يُظاهرون عليهم عدواً، وأرشدهم إلى أن يعيشوا معهم في صفاء وتعاون على المصالح الوطنية المشتركة، وأنه لا ينحرف من المسلمين عن هذه الأحكام والآداب إلا المنحرفون عن دينهم، والعياذ بالله.




الميسر وورق اليانصيب[1]

قابل مندوب جريدة «المصري» صاحبَ الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وسأله عن أحكام الإسلام في الميسر واليانصيب، فقال فضيلته:

من الناس من يعد نفسه من ذوي الأخلاق الفاضلة، وهو مولع بلعب القمار، وهذا لا يعد في نظر الشارع وأهل الفضل ذا أخلاق كريمة؛ فإنه قصد إلى الاستيلاء على مال غيره بغير حق، فهو والسارق سواء، لا فرق بينهما، إلا أن السارق يمد يده إلى مال غيره بوجه خفي، والمقامر يمد يده إلى مال غيره، ولا يدري هل يصل إليه، أو يستولي غيره على ماله، فيبقى حزيناً كاسف البال، وهو على كلتا الحالتين منظور إليه بمقت وذم، ففي الحالة الأولى ممقوت؛ لأنه استولى على مال غيره بغير حق من عمل أو أمر آخر، وفي الحالة الثانية مذموم محتقر؛ حيث طمع في مال غيره، ومد يده إليه، غير أنه لم يصل إليه.

فالشارع الحكيم أباح للإنسان أن يتمتع بما كان ملكاً لغيره إن دفع له في مقابله عملاً أو شيئاً كان في ملكه، فقال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[النساء: ٢٩].

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثالث ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = نوفمبر، تشرين الثاني ١٩٥٢م.

وصاحب القمار لم يتاجر بماله، بل تاجر بأخلاقه قبل كل شيء.

ولا يغرنك فعل الأمم الأوربية، واكتفاؤها برضا صاحب المال في ظاهر الأمر؛ فإنه إذا أخذ منه المال، انقلب رضاه غيظاً؛ بخلاف من اكتسب بماله عملاً، أو بضاعة ينتفع بها.

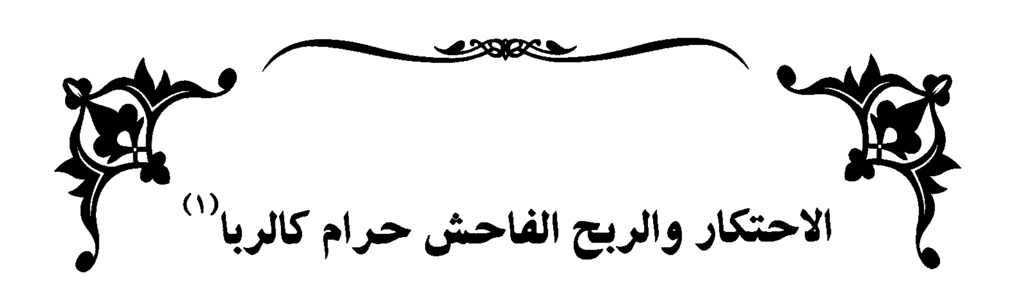
والشارع الحكيم راعى في المعاملات أن تكون عن رضا من صاحبها ظاهرٍ وباطن، وذلك وجه إباحته للتجارة، وحله للبيع، ومنعه من القمار، وإذا كان الأوربيون أغنياء، فإن لديهم معامل ومزارع متقنة، والقمار قليل بالنسبة إلى مصانعهم ومزارعهم وتجارتهم، والشارع الحكيم يحرم على المسلمين أن يدفعوا مالهم طمعاً في أن ينالوا من إنسان آخر مثله، فيعودوا بالمالين جميعاً، فمن المحتمل أن يذهب مال المقامر جملة، ولا يصل به إلى عمل أو إلى بضاعة.

*** اليانصيب للأعمال الخيرية:**

أما اليانصيب للأعمال الخيرية، فهو قمار بلا ريبة، وقد كان العرب في الجاهلية ـ كما ذكر ابن قتيبة في «الميسر والقداح» ـ عند شدة البرد، وجدب الزمان، وتعذر الأقوات على أهل الفقر والمسكنة ـ يقامرون بالقداح على الإبل، ثم يجعلون لحومها لذوي الحاجات منهم والفقراء، وهذا ما قصده القرآن بالمنفعة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[البقرة: ٢١٩].

ومع هذا، قد جعله القرآن بمنزلة الخمر؛ إذ قرنه بها في الآية.

والشارع الحكيم يريد من أتباعه أن يكونوا خياراً كراماً، يدفعون أموالهم التي لا يتاجرون بها إلى الفقراء وذوي الحاجة العامة قاصدين وجه الله ورضوانه، دون أن يقصدوا إلى سلب مال غيرهم؛ فإن ذلك إثم كبير.



الاحتكار والربح الفاحش حرام كالربا[1]

تحدث مندوب «الأهرام» الخاص إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن الأزمة المستحكمة التي تعانيها في هذه الأيام المواد الغذائية الضرورية، بسبب اختزان بعض هذه المواد طلباً للربح الفاحش، وطلب إلى فضيلته أن يوضح للناس حكم الشريعة السمحة في مثل هذا الإجراء، وقد تفضل فضيلته بإجابة هذا الطلب، وقال:

إن الاحتكار الذي حرمة الله ﷻ هو: إمساك شيء من الأغذية وضروريات الناس، والامتناع عن بيعها انتظاراً للغلاء، حتى إذا ازداد اضطرار الناس إليها، تحكم محتكرها ببيعها بالسعر الفاحش الذي يفرضه عليهم.

وهذا العمل حرام شرعاً، ولا يعد من البيع الحر الذي أحله الله، ولذلك كان الكسب منه كسباً خبيثاً، لا يباركه الله ﷻ، ولا يرضى عن صاحبه.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثالث ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = نوفمبر، تشرين الثاني ١٩٥٢م.

جريدة «الأهرام» العدد ٢٤١٠٤ تاريخ ١١ ـ ١١ ـ ١٩٥٢م تحت عنوان: «شيخ الأزهر يتحدث إلى الأهرام: الشرع يحرم احتكار الأغذية والامتناع عن بيعها ـ عاقبة المحتكر أن يضربه الله بالإفلاس وبمرض الجذام ـ الربح الفاحش حرام كالربا لا يباركه الله، ولا يرضى عن صاحبه».

إن مثل المحتكرين كمثل المرابين؛ من جهة استغلال الفريقين حاجة الناس، وتحكمهم فيهم بسبب الحاجة. غير أن المحتكرين يزدادون عند الله إثماً من جهتين:

إحداهما: أن استغلال حاجة الناس إلى الأقوات والأغذية وما أشبهها أفظع من استغلال الحاجة إلى النقود.

والثانية: أن استغلال المحتكرين لأقوات الناس وضرورياتهم يعم ضرره جماهير الناس، أما استغلال المرابين لحاجة من يحتاج إلى النقود، فإن نطاقه ضيق يخص عدداً قليلاً منهم، ولا يعم جماهيرهم؛ فإذا كان المرابي يأكل ربحه من الربا ناراً في جوفه؛ لاستغلاله حاجة عدد محدود من الناس، فالمحتكر يأكل ربحه من الاحتكار لهيباً من نار الجحيم بقدر ما ينال جماهير الناس من أذى جشعه الذي لن يبارك الله له بشيء منه.

وقد صح في الحديث النبوي: أن عاقبة المحتكر: أن يضربه الله بالإفلاس، أو بأخبث الأمراض، وهو الجذام.

روى الإمام أحمد بن حنبل ﷺ في «مسنده» بإسناد صحيح: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى المسجد، فوجد طعاماً منثوراً، فقال: ما هذا الطعام؟ قالوا: طعام جلب إلينا. قال: بارك الله فيه، وفيمن جلبه. قيل: يا أمير المؤمنين! فإنه قد احتكر. قال: ومن احتكره؟ قالوا: فروخ مولى عثمان، وفلان مولى عمر.

فأرسل أمير المؤمنين إليهما، فدعاهما فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ قالا: يا أمير المؤمنين! نشتري بأموالنا ونبيع. فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من احتكر على المسلمين طعامهم، ضربه الله

بالإفلاس، أو بجذام»، فقال فروخ عند ذلك: يا أمير المؤمنين! أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود ـ إلى الاحتكار ـ في طعام أبداً.

وأما مولى عمر فقال: إنما نشتري بأموالنا ونبيع. قال أبو يحيى المكي راوي هذا الحديث: فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً.

ومما يلاحظ في هذا الحديث: أن النبي ﷺ سمى الأغذية المعروضة للبيع: طعام المسلمين؛ لأنه إذا كان للذي يشتريها حق الثمن الذي يشتري به، ثم يتقاضاه في البيع، فإن إباحتها في السوق من حق المسلمين؛ لأنها طعامهم وغذاؤهم ومن ضرورياتهم، فبيعها لهم بالثمن هو من حق رأس المال، وأما إباحتها وعرضها في السوق، فهو من الحق العام الذي هو حق الأمة، واحتكارها اعتداء على الحق العام، وهضم لحقوق الأمة.

وفي «مسند الإمام أحمد» أيضاً عن سعيد بن المسيب: أن معمر بن عبدالله بن فضلة القرشي ﷺ قال: سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «لا يحتكر إلا خاطئ».

والخطأ في الشرع: الخروج عن سبيل الشرع، وسبيلُ الشرع هو سبيل الله، ويا ويل من يخطئ سبيل الله لأجل كسب حرام غير مشروع يستغل به ضرورات الأمة في غذائها وقوت عيالها، فيستحق عليه ما أنذره به النبي ﷺ من الإفلاس أو الأمراض الخبيثة، ويعاقب عليه يوم القيامة بما يستحقه الذين يُسخطون الله في إيذاء مخلوقاته.

وروى الإمام أحمد أيضاً في «مسنده» عن الحسن البصري عن معقل ابن يسار ﷺ، وهو من أهل بيعة الرضوان، وهو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر بن الخطاب: أنه لم ثقل المرض على هذا الصحابي الجليل، جاءه

أمير البصرة عبيدالله بن زياد يعوده، فدار بينهما حديث، ثم قال معقل رضي الله عنه: أجلسوني. ثم قال: اسمع يا عبيدالله حتى أحدثك شيئاً لم أسمعه من رسول الله مرة ولا مرتين، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُغليه عليهم، فإن حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة». فقال عبيدالله لمعقل: أأنت سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، غير مرة أو مرتين.

ومن هنا يعلم كل مسلم يتاجر في المواد الغذائية والضرورية للمسلمين: أن احتكارها ليس من البيع الذي أحله الله، بل هو كسب حرام، وأشد ضرراً على عامة المسلمين من المراباة، والعياذ بالله. والنبي ﷺ قد أنذر مرتكبه بالإفلاس والأمراض، وبنار جهنم يوم القيامة. فليعلم المحتكر عاقبة عمله قبل أن يقدم عليه.



أكمل رسالات الله
حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر
في احتفال الأزهر بالمولد النبوي الشريف[1]

يحتفل العالم الإسلامي اليوم بمولد الإنسان الكامل، الذي اختاره الله لحمل أكمل رسالاته إلى البشر كافة، فكان هذا الحادث في تاريخ الإنسانية الحد الفاصل بين الحق مموهاً بأهواء المتغلبين، ومطامع المغالطين، وأغراض الظالمين، فهو لذلك عرضة للتغيير والتبديل، وبين الحق الأبلج النقي من شوائب الأهواء والمطامع والأغراض، فهو لذلك ثابت خالد إلى يوم الدين.

إنه احتفال بمولد الحق مجرداً خالصاً صافياً، وبدعوة الخير عامة شاملة كاملة.

إنه احتفال بانتقال الإنسانية من عهد طفولتها ورعونتها، إلى ما ينبغي لها عند اكتمال نضجها وبلوغها عهد رشدها.

كل ذلك مما يحتفل به العالم الإسلامي اليوم، إذ يحتفل بمولد خاتم رسل الله محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ.

وقد أكرمه ربه بما حف به ولادته من أصالة النسب، وصفاء الفطرة، وسلامة الخلق. ثم استرضع في بني سعد بين أخبية البادية وآفاقها، فازدادت آصرته بالبيئة السعيدة البعيدة عن شوائب المجتمع، وكان كلما شب بعد

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = ديسمبر كانون الأول ١٩٥٢م.

ذلك ونما، اتسعت شهرته بين قومه بالأمانة والصدق والاستقامة في الطريق المستقيم، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال، دعته السيدة خديجة بنت خويلد إلى التزوج بها؛ لما اشتهر به من كريم الفضائل، ومعالي الأخلاق، فأجابها إلى ذلك، ورأى فيها من الكمال والوفاء ما قابلها عليه بأحسن منه.

ولما قارب أمر الرسالة، جعل يختلي في غار حراء للتحنث والعبادة، ومناجاة الله ﷻ، فكانت زوجه السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ تساعده على ذلك، وترسل إليه زاده في هذه الخلوة القدسية بينه وبين ربه.

وآن أوان بعثته العامة الشاملة إلى الأمم كلها عندما بلغ من عمره الشريف نحو الأربعين، فأوحى الله إليه في سورة الأنعام ـ وهي مما أوحى به إليه في مكة قبل الهجرة ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾[الأنعام: ١٩]، فهو ﷺ نذير برسالته لمعاصريه، ولكل من تبلغه دعوته في كل زمان ومكان تتلى بهما آيات هذا القرآن على ألسنة الأمم، فتبلغ أحكامها وحكمها مسامع الأجيال، ولأن رسالته عامة شاملة كتب رسالته المشهورة إلى ملوك الأرض في زمنه: قيصر، وكسرى، وهرقل، والمقوقس، والنجاشي، وملكي عمان، وغيرهم، يوجه فيها الدعوة إليهم وإلى أممهم بأن يدخلوا في دين الله.

وقد تحمل ـ صلوات الله عليه ـ في سبيل أداء الرسالة وتبليغ الدعوة ما كان يتحمل أنبياء قبله من الأذى والجفوة، والصد عن قبول الحق، إلى أن استجاب له الأنصار، وبايعوه على الإيمان، ثم نهضوا مع إخوانهم المهاجرين لمقاومة من يقف في سبيل الدعوة، أو يصد عن انتشارها، فكتب الله النصر لدعوة الحق في بدر، ثم في غيرها، إلى أن فتح الله لرسوله مكة أم القرى،

وتم تطهير بيت الله الأعظم من لوث الوثنية، ودانت العرب كلها لهذا الدين القيم، فما انتقل ـ صلوات الله عليه ـ إلى الرفيق الأعلى حتى كان سكان جزيرة العرب كلهم قد آمنوا، إلا طائفة من اليهود والنصارى أبقاهم ﷺ على دينهم، ومنحهم ذمة الإسلام المتكفلة بحماية أنفسهم وأموالهم وشعائرهم.

ولقد عمل أصحابه الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ بهدايته، وساروا على سنته السنية، فمضوا في الدعوة بعده إلى دين الحق، ملتزمين ما التزمه ﷺ من العدل والرأفة والرحمة ومكارم الأخلاق، لا يفرقون في ذلك بين من اتبع دينهم أو خالفه؛ عملاً بقول الله ﷻ في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[المائدة: ٨]، وبذلك فتحت لهم الممالك، واستجابت لدعوتهم الأمم، ووجد شعوب الأرض في هذه الدعوة كل ما كانوا ينشدونه في مطالب الحياة من حقوق ومواريث، وآداب ومواعظ وأخلاق وحكم، وإرشاد لأكمل الأحكام في الحرب والسلم، وكل ما يحتاج إليه الفرد والمجتمع الصالح في هذه الحياة.

ومع أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا من جزيرة العرب ليحققوا الانقلاب العظيم، الذي أراد الله أن يكون به الحد الفاصل بين الحق والباطل، كانوا قلة بالنسبة إلى الممالك والإمبراطوريات التي واجهوها بدعوتهم، فإن الله ﷻ جعل الغلبة لهم منذ تعلموا من هدايتهم القرآنية أن العبرة في الغلبة ليست للكثرة التي لم يلازمها الحزم والإخلاص للحق والصبر عليه، وذلك في قول الله ﷻ من سورة المائدة: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ ﴾[المائدة: ١٠٠]، وقد شبه النبي ﷺ الكثرة إذا تجافت عن

الحق والخير بأنها «غثاء كغثاء السيل»، وقال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤٩].

فجعل فضيلة الصبر على إقامة الحق من أسباب الغلبة والنصر، ولو كان القائمون بالحق الصابرون عليه قليلاً عددهم عند مواجهتهم الكثرة من أنصار الباطل، وبهذا ربى الإسلام من أبنائه الأولين كتلة حازمة لا تهاب الموت في سبيل عزتها والدفاع عن حقها، فعاش المسلمون الأولون سادة قادة ذادة، يحميهم الحق ويحمونه، وتجملهم فضائل الخلاق ويجملونها، ويملؤون الدنيا عدلاً ورحمة، وتحوطهم الدنيا بالعزة والغبطة والإعجاب.

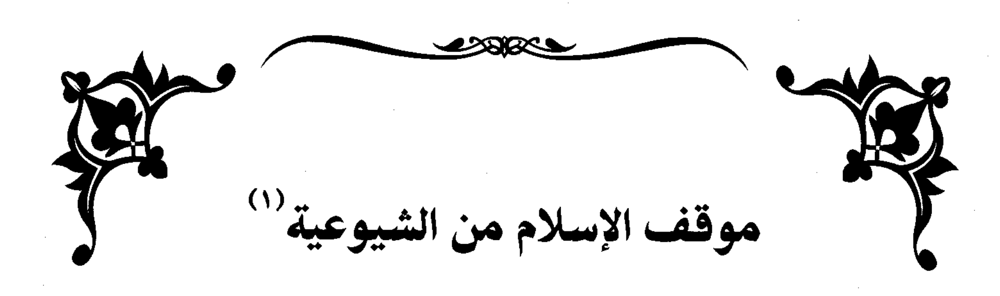
ولما فشلت كثرة الباطل في قمع الحق الذي بعث به صاحب هذه الذكرى ـ صلوات الله عليه ـ، أراد المبطلون في زمن البطن الأول من أصحابه أن يفسدوا دعوة الحق؛ بالانتساب إليها، ودس العقائد الباطلة فيها، فأفشوا في بعض الضعفاء دعوة تأليه علي ـ عليه السلام ـ، وبعض من ينتمي إلى آل البيت، فكان أول من غضب لهذه الدعوة، وبطش بالمبطلين من أصحابها، علي ـ كرم الله وجهه ـ، ومن ذلك اليوم انفتحت جبهة أخرى للدفاع عن الحق الذي بعث الله به رسوله؛ بقيام طائفة من أئمة الإسلام في كل زمان ومكان يفرقون بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، والصدق والكذب، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء، وبهم حفظ الله دينه الذي وعد بحفظه إلى يوم الدين.

إن ذكرى مولد صاحب هذا الانقلاب الإنساني العظيم، تذكرنا بكل ما كان لهذه الدعوة من أثر عظيم في عقول البشر وأخلاقهم ومداركهم، وبالنجاح المنقطع النظير بمن عملوا بها في أنفسهم، وتطوعوا لنشرها بين الناس، وهي

تدعونا إلى أن نرجع من جديد إلى هداية الإسلام كما كانت في صفائها ونقائها؛ ليرجع لنا أثرها من العزة في أنفسنا ودولتنا، والسعادة في بيوتنا وأوطاننا، والكرامة بين شعوب الأرض.

صلى الله وسلم على معلم الناس الخير، وعسى الله أن يهدي أمته للرجوع إلى هذا الخير، في هذا العهد الطاهر المبارك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.





موقف الإسلام من الشيوعية[1]

كتب مندوب «الأهرام» الخاص يقول:

كانت جلسة هادئة طيبة، تلك التي جلستها مع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر في حفلة خاصة، كان الشيخ الأكبر فيها ملتقى الأنظار، وموضع التقدير، وكان كل واحد يحب أن يستأثر به؛ ليقف على جلية حكم من أحكام الشريعة في موضوع معين، وقد رأيت أن انتهز هذه الفرصة الطيبة لأتبين موقف الإسلام من (الشيوعية)، وحكمه على (الرأسماليين)، ونظرته إلى الفقراء بين هذه وتلك، وقد حمدت لفضيلته أن آثر «الأهرام» بعنايته، فأجابني إلى طلبي، وتحدث إلي بقوله:

من مظاهر الكمال في دين الإسلام وأحكامه: أنه لم يعارض الفطرة الإنسانية في طبيعة من طبائعها، وحتى ما كان فيه انحراف أو مظنة زلل من هذه الطبائع الإنسانية؛ فإن الإسلام اكتفى بتعديله، وتوجيهه وجهة خير، مع إقراره

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = ديسمبر كانون الأول ١٩٥٢م.

* جريدة «الأهرام» العدد ٢٤١١٨ تاريخ ٢٥ ـ ١١ ـ ١٩٥٢م تحت عنوان: «شيخ الأزهر يتحدث عن الشيوعية: الإسلام يعترف بالملكية الفردية، ويقر التفاوت بين الناس في كسب الثروات».

أصل الفطرة، ومحاولته تهذيبها وإصلاحها.

ولما كان مبدأ (التملك الشخصي) من مقتضى الفطرة، فإن الإسلام اعترف به، وأقره، لكنه جنح فيه إلى الاعتدال؛ كدأب الإسلام في الأمور كلها، واشترط أن يكون هذا التملك الشخصي بالأساليب المشروعة التي أحلها الله. ثم رتب عليه تكاليف شرعية، هي نصيب الجماعة من أموال أصحاب الأموال، كما حث أهل الغنى على الأخذ بأيدي أهل الفاقة؛ حتى لا يكون في المجتمع الإسلامي إلا المحبة والتراحم، والتعاون على البر والتقوى.

وكما أقر الإسلام مبدأ التملك الشخصي، وجنح فيه إلى الاعتدال، ونظمه تنظيماً يسعد به المجتمع، كذلك أقر مبدأ آخر من مبادئ الفطرة، وهو تفاوت الناس في مواهبهم ومداركهم ومقدرتهم على الكسب لأنفسهم وعلى النفع للمجتمع، فهذا التفاوت موجود في كل زمان ومكان؛ لأنه من فطرة البشر، ويترتب عليه التفاوت والتفاضل في المعايش، لكن الإسلام ـ مع إقراره هذا الأمر الفطري ـ شرع الأحكام لتعديل آثاره، والتقريب بين طبقات الناس، وأوجد لهم مراتب أخرى يكتسبونها من فضائلهم الأدبية والخلقية، وجعل لذلك قيمة رفيعة في المجتمع الإسلامي؛ بحيث يغبط أهل الدرجات العليا في المال إخوانهم من أهل الدرجات العليا في الأخلاق والفضائل، بحسب ما سنَّه الإسلام لأهله في المجتمع الإسلامي.

ومن أعظم ما اتخذه الإسلام لحماية الفقراء من استغلال الرأسماليين وأصحاب الأموال: تحريمه للربا، وقطعه لدابر المراباة في المجتمع الإسلامي. وهذه الحماية، لا نظن أن أمة من أمم الأرض ـ حتى ولا المحكومة بالشيوعية ـ تمتعت بمثلها في نظام غير نظام الإسلام.

وتزعم الشيوعية أنها نزعت عوامل الاستغلال ووسائل استعمال الثروة من أيدي الأفراد، فحرمت عليهم امتلاكها، ودفعت بها إلى الجماعة. والذي يتأمل في الواقع يرى أن ما زعموا أنهم فوضوا أمره إلى الجماعة في وسائل الإنتاج وتوزيع المنتجات والمصنوعات، إنما تولته في النظام الشيوعي هيئة قليلة العدد من الرجال المنظمين، فبعد أن كان هذا التملك خفيف الوطأة بما هو معرض له من المنافسة وتعدد المالكين، أصبح في النظام الشيوعي منحصراً في إدارة واحدة، يقوم عليه نفر قليل، يتمتعون الآن بمعايش وقصور لا تقل فخامة وسرفاً وغطرسة واستعداداً عما كان في قصور القياصرة، بينما الجماعة كلها مجندة في السلم والحرب لتقضي حياة مملة على وتيرة واحدة لا تزيد عن حياة العمال في البلاد الأخرى، غير أن العمال يملكون في البلاد الأخرى أمرهم، ويستقلون بإرادتهم وتصرفاتهم، فينتقل أحدهم من مصنع إلى مصنع إذا أراد.

أما جمهور الأمة في النظام الشيوعي، فمسلوب الإرادة ولا يملك حق الانتقال من مصنع إلى مصنع؛ لأن المصانع كلها لا تتمتع بمزية التنافس ما دامت إدارتها في يد واحدة، تتصرف في جميع العمال كما تتصرف في المواد الخام. وبذلك تحول أغنياء البلاد المحكومة بالنظام الرأسمالي إلى رجل واحد في النظام الشيوعي، يتصرف بلا منافس في كل ما في البلاد من بشر وشجر وحجر، وكما تحول إقطاعيو البلاد الأخرى إلى أقطاعي واحد في النظام الشيوعي، فأضحى رعاياه محجوزين وراء ستار حديدي، لا يدخل عليهم أحد، ولا يتمكن من الانفصال عنه أحد.

هذا في أمور العيش وحرية التملك، وأما في أمور الدين وحرية التدين،

فإذا كان أهل الديانات الأخرى يبكون من اضطهاد الشيوعيين لهم في كنائسهم، والسيطرة على عباداتهم، فإن المسلمين يزيدون على ذلك: أن دينهم لا يقتصر على أنه دين عبادة ومسجد، بل إن نظامه المالي والاجتماعي هو من صميم الدين، وحرمان المسلم من حريته في نظامه المالي والاجتماعي يعد حرماناً له من عناصر مهمة هي أيضاً من كيان الدين، وهي خير لكل مسلم من أي نظام آخر، ولاسيما النظام الشيوعي الذي يضطهد كل الأنظمة المخالفة له، ونظام الإسلام في طليعة الأنظمة المخالفة له من كل وجه.

وإن الإسلام في اعتداله وكونه من الأصل لم تشرع أحكامه لمصلحة أي طائفة من الطوائف دون غيرها، ولا أي طبقة من الطبقات دون غيرها، بل إن الله شرعها لجميع بني الإنسان؛ بتعديل طبائعهم، وتهذيب فطرتهم بعد إقرارها والاعتراف بها، وبذلك جمع التشريع الإسلامي في نظامه الاجتماعي والمالي جميع الحسنات والمزايا التي توجد في كل نظام آخر، وجرده من جميع العيوب التي توجد في أي نظام آخر.

وكان من أعظم ما أسيء به إلى الإسلام: إطلاق يد الأقوياء في معايش الضعفاء، حتى تجاوزوا حدود الاعتدال الإسلامي في التملك والتسلط والأثرة، بل لم يكتفوا بتجاوز حدود الاعتدال، حتى خرجوا عن نظام الإسلام إلى ما حرمه من الاستغلال المحرم، والبغي المنظم من الأقوياء على الضعفاء، فانتهز دعاة الشيوعية والمذاهب الباطلة هذه الحالة الشاذة، التي كانت سائدة في بعض بلاد المسلمين، فاحتجوا بها عند قليلي العلم بمزايا دينهم من عوام المسلمين، أو المتعلمين تعليماً أجنبياً، ومن هنا أصيب بعض أبناء هذه الملة بهذه النزعات التي انزلقت بها أقدامهم عن طريق الإسلام، فامتلأت بهم

السجون، وراح أهلهم وذووهم سادرين في أحزان مؤلمة بسبب هذا الضلال الاجتماعي والجهل بدين الإسلام.

أما وقد منّ الله الآن بهذه النهضة التي أخذت في القضاء على أسباب البغي والأثرة والاستغلال، وانتزاعها من جذورها، فقد زال ما كان يحتج به دعاة الأنظمة الباطلة والمنافية للإسلام، وانفتح الطريق واسعاً أمام المستنيرين من شباب المسلمين؛ ليبثوا في الوعي القومي أن الإسلام باعتداله وعدالته ورحمته، وتعاونه ومواساته للجميع، هو أكمل أنظمة الدنيا في إسعاد الإنسانية؛ لأن النظام الإسلامي أقر المبادئ المقررة في فطرة الإنسان، ثم هذب ميولها، وعدل اعوجاجها، وأحسن توجيهها إلى الحق والخير.

وإلى هنا شعرت أن الشيخ الأكبر قد وفى هذا الموضوع حقَّ توفيته، فشكرته على عنايته، واستأذنته على نشره، فأذن مشكوراً.



نداء فضيلة
الأستاذ الأكبر إلى العالم الإسلامي
بما يجب عليه لإخوانه المسلمين في تونس
والجزائر والمغرب الأقصى[1]

أذاع فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالي على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في صباح يوم الخميس ٣٠ ربيع الأول:

أيها المسلمون الآمنون في أوطانهم، المتمتعون من الله ﷻ بنعمة العافية والاطمئنان! إن دماء إخوانكم في الإسلام تناديكم من الحدود الغربية لمملكة ليبيا إلى أقصى جبال الأطلس؛ لتكونوا عوناً لأهلها على درء الظلم عنهم، ووضع حد للبغي على حقوقهم الإنسانية والوطنية، وتمكينهم من أن يعيشوا في ديارهم أحراراً كراماً آمنين.

إن إخوانكم هؤلاء هم ذرية الأبطال الذين كانوا مع طارق بن زياد في إيصال رسالة الإنسانية والحضارة والآداب والعلوم والعمران إلى غرب أوربا، وفيهم سلالة اللاجئين من الأندلس فراراً بدينهم وإنسانيتهم من مظالم دواوين التفتيش عند خروج المسلمين من ذلك الفردوس المفقود. وهذه أسلاك البرق وموجات الأثير تنقل إليكم بين كل ساعة وساعة صدى قذائف المدافع الرشاشة ومختلف الأسلحة وهي تغتال الأحرار بأساليب قطاع الطرق، وتحصد أرواح

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الرابع والعشرون، غرة ربيع الأول ـ ١٣٧٢هـ = ديسمبر كانون الأول ١٩٥٢م.

المدنيين العزل من السلاح كما يفعل الجبناء، وتأخذ لأصحابها ـ من المسلمين الآمنين في تونس والجزائر ومراكش ـ الثأر الذي عجزوا عنه في شرق فرنسا لما وطأت أرضهم سنابك خيول الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية.

يقول نبي الرحمة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله»؛ أي: لا يظلمه إذا كان في ولايته وتحت سلطانه، ولا يخذله إذا مسه الظلم من عدو له يبغي عليه.

نحن ـ المسلمين العاملين بقواعد الإسلام ـ، وهو دين السلام ـ قد فتحنا أبوابنا، ووطأنا رحابنا للفرنسيين وغير الفرنسيين من أمم الأرض، فأقاموا بيننا مرافقهم ومدارسهم، وقصدوا أسواقنا بمصنوعاتهم ومنتجاتهم، ولقوا من حسن معاملتنا ورحابة صدورنا وسلامة قلوبنا ما لم يروه في أي بلد آخر. كل ذلك على أمل منا بأن يحسنوا معاملة كل من له علاقة بهم من إخواننا في الدين، وأن يقوموا لهم بحقوق الإنسان على أخيه الإنسان، وأن يحترموا حريتهم، ويحافظوا على كرامتهم.

وإننا لا نزال على أخلاقنا وآداب ديننا مع جميع الأمم، ومن ينكر علينا، أو على طائفة من إخواننا في الدين ما يجب عليه أن يرعاه من حقوقهم الإنسانية والوطنية والملية، فإن أقل ما يجب على المسلمين حينئذ ألا يتعاونوا مع أهل البغي في تجارتهم وصناعتهم ومرافقهم، وأن يكون أول ما يفعلونه: مقاطعة مدارسهم ومعاهدهم، وكل وسائل التعاون معهم، وأساليب الاتصال بهم.

والولاية في الإسلام هي: النصرة والتعاون، والاتصال من أوثق مظاهر الولاية، والله ﷻ يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]،

ولو أنهم قائمون لأبناء ديننا بحقوقهم، محافظون لهم على كرامتهم وحريتهم، فإن المسلمين من أصدق أمم الأرض عهداً مع غيرهم من الأمم. ومن كان منه لإخواننا المسلمين عكس ذلك من البغي والظلم؛ كما هو جار الآن من الفرنسيين في شمال إفريقيا، فإن أقل ما يتحقق به الواجب الشرعي على المسلمين في جميع بقاع الأرض مقاطعةُ أهل البغي في جميع وسائل التعاون، وأسباب الاتصال، إلى أن يعرفوا لإخواننا في الدين حقوقهم الإنسانية والوطنية والملية، ويقوموا بها حق القيام.

بهذا تحكم الشريعة المطهرة، وبهذا تنادي دماء المسلمين المسفوكة في جناح الإسلام الغربي. ومن حق هذه الدماء وأهلها على المسلمين أن يبادروا لها بإسعاف المنكوبين، وتضميد جراح المجروحين، ومعاونة الأيامى والأيتام والمنكوبين. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.





هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة؟[1]

عادت مسألة المرأة إلى الظهور على مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية، وعادت (المرأة) نفسها تنادي بأن لها حقوقاً معينة، ومن هذه الحقوق: أن تكون عضواً في البرلمان، ووكيلاً للنائب العام، وضابطاً من ضباط البوليس، ومحضراً يعلن الأحكام، ويباشر عمليات الحجز التحفظي، أو الحجز على مختلف أنواعه. وهي تقول في هذا المقام: إنه ليس بدعاً في تاريخ الأديان، ولا في فقه التشريع أن تباشر مثل هذه المهام الاجتماعية والسياسية، وخاصة في هذا العصر الذي استطاعت المرأة فيه أن تظفر من الحقوق العامة بحق المساواة والحرية. ويمكن أن يقال في مقام التدليل على صحة هذه الدعوى: إن الحكومة قد وافقت أخيراً على أن تنشئ المرأة حزباً سياسياً، وهذه الموافقة فيها اعتراف ضمني بأن الحكومة قد أقرت المرأة على وجهة نظرها. ولكن فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر يرى أن في هذا قلباً للأوضاع المنطقية،

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الخامس ـ المجلد الرابع والعشرون ـ، جمادى الأولى ١٣٧٢هـ = يناير كانون الثاني ١٩٥٣م.

* جريدة (الأهرام) العدد ٢٤١٥٣ تاريخ ٣٠ ـ ١٢ ـ ١٩٥٢م تحت عنوان: «هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة؟ الأستاذ الأكبر يرى أن هذا يتنافى وأحكام الشريعة الإسلامية، ويقول: إن الأزهر قد أعلن كلمة الشريعة في هذا الموضوع».

وأن المرأة قد جاوزت في هذه الدعوى القدر المحدود لها بحكم طبيعتها في الحياة العامة.

وقد استهل فضيلته حديثه في هذا الموضوع الخطير بالسؤال عن الغاية التي تهدف إليها المرأة من وراء هذه الدعوى، وقال: هل تريد أن تهجر البيت؛ لتقضي وقتها بين الأندية والمجتمعات والمحافل السياسية في مناقشة القوانين، وفيما يجب أن يفرض من العقوبات، ويرسم من الحدود، وما إلى ذلك من مسائل التشريع والتقنين؟ إن كان هذا مقصدها، فهل لها أن ترشد أهل الصواب والمنطق والحق في أي عصر إسلامي كان هذا؟ وفي أي عهد من العهود التي ازدهرت فيها تعاليم الإسلام، وانتشرت أحكامه ومذاهبه تولت المرأة شؤون الولاية العامة؟!.

ثم استطرد فضيلته فقال: إن الشريعة الإسلامية تحرم اختلاط المرأة بالرجال.

والدعوى بمنح المرأة حقاً سياسياً إنما هي وسيلة من وسائل الاختلاط، تريد المرأة في هذا العصر أن تتذرع بها؛ لتكسو اختلاطها بالرجال ثوب المصلحة العامة، وهذا عمل لا تقره الشريعة الإسلامية، وليس جائزاً في أي مذهب من مذاهبها؛ لأن الشريعة قد فطنت إلى ما ينجم عن اختلاط المرأة بالرجل من مضار اجتماعية وخيمة، ومن شرور لو قلنا: إنها محتملة الوقوع، لكان ذلك الاحتمال كافياً لمنعها ودرئها. وإذا كانت المرأة تريد في سبيل تبرير دعوتها أن تلجأ إلى السباب، وإلى الغض من أقدار سلف العلماء، والطعن عليهم، والنيل من كرامتهم، وتحقير شأن من يريد أن يبصرها بالصواب والرأي السديد، فإنما تكون قد أقامت الدليل القاطع على أنها لا تصلح عضواً في

معترك الحياة؛ لأن مثل هذا الطريق لا يلجأ إليه إلا من ضعفت حجته، واختلطت عليه موازين الأشياء ومقاييس الأمور.

ولقد سبق أن أفتت لجنة الفتوى في الأزهر فتوى شرعية بينت فيها ـ بمختلف طرق التبيين، على مختلف الآراء الفقهية ـ ما للمرأة من حقوق، وما عليها من واجبات، وفصلت لها نوع الولاية، وعرفتها أن الولاية العامة هي السلطة الملزمة في شأن من شؤون الجماعة؛ كولاية سن القوانين، والفصل في الخصومات، وتنفيذ الأحكام، والهيمنة على القائمين بذلك، وقالت: إن الشريعة الإسلامية قد قصرتها على الرجال إذا توافرت فيهم شروط معينة، وزادت على ذلك في مقام التبيين: أنه لم يثبت أن شيئاً من هذه الولايات العامة قد أسند إلى المرأة، لا مستقلة، ولا مع غيرها من الرجال، وقد كان في نساء الصدر الأول مثقفات فضليات، وفيهن من تفضل كثيراً من الرجال؛ كأمهات المؤمنين، وساقت قصة سقيفة بني ساعدة، في اختيار الخليفة الأول بعد الرسول ﷺ؛ إذ بويع أبو بكر البيعة العامة في المسجد، ولم تشترك امرأة مع الرجال في مداولة الرأي في السقيفة، ولم تُدع لذلك.

وقد أفاضت لجنة الفتوى في بيان أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بما يجب أن تمنع منه المرأة من الوظائف العامة، ودعمته بالبراهين القطعية، والأسانيد التاريخية، والأدلة اليقينية، وكان المأمول أن تقف المرأة عند حدودها التي رسمتها لها الشريعة الإسلامية، في بلد إسلامي، ودولة إسلامية، وأن تعمل من جانبها على أن تسترشد بما يراه أهل الرأي من الفقهاء في أمرها، فتلزم بيتها في رعاية زوجها وكنفه، ولكنها عادت مرة ثانية إلى المناداة بوجوب منحها حقوقاً سياسية معينة، ومع أن الشريعة الإسلامية قد أفسحت لها الطريق في

كل ما يتعلق بمسائل الولاية الخاصة، وقد ساوتها بالرجل في هذا النوع من الولايات؛ إذ جعلت لها حق التصرف في أموالها بالبيع والهبة والرهن والإجارة، وغير ذلك من مختلف ضروب التصرفات، وأجازت لها الوصاية على الصغار، والولاية على المال، والنظارة على الأوقاف، إلا أنها لم تقنع بما رسمته لها الشريعة الإسلامية، وأرادت أن تدفع نفسها بنفسها، وأن ترسم الطريق حسب أهوائها وغاياتها؛ لتتولى وظائف الدولة التي تدخل في نطاق الولاية العامة؛ كسن القوانين، والفصل في الخصومات، وتنفيذ الأحكام... إلخ.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد جعلت القوامة على النساء للرجال، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[النساء: ٣٤]، وجعلت حق طلاق المرأة للرجل وحده، ومنعتها السفر دون محروم أو زوج أو رفقة مأمونة، وجعلت لها حق حضانة الصغار دون الرجل، وأوجبت على الرجل حضور الجمعة والجماعة والجهاد، ولم توجب عليها شيئاً من ذلك. أقول: إذا كانت الشريعة الإسلامية قد رسمت لها حدودها، وبينت لها مهمتها، فما بالها تريد أن تخرج على أحكامها؛ لتزج بنفسها في انتخابات تدافع فيها وتدفع، وتختلط في ميدانها بالجماعات والأفراد من الرجال، وهي بطبيعة أنوثتها غير مأمونة ولا معصومة؟! وما بالها تريد أن تريد أن تثير حولها الزوابع، وتخوض المعامع، في الوقت الذي كفتها فيه الشريعة مؤونة الكفاح، وجنبتها مواطن الزلل، ورسمت لها من الحدود ما يتكافأ وطبيعتها في ميدان العمل المنتج المفيد لها وللجماعة التي تعيش فيها.

وأعتقد: أنه من المستحسن أن أسوق بعض ما رأته لجنة الفتوى في مقام التدليل الفقهي على منع المرأة من الاشتغال بوظائف الولايات العامة،

فقد استندت إلى ما رواه البخاري في «صحيحه»، وأخرجه أحمد في «مسنده»، والنسائي في «سننه»، والترمذي في «جامعه».

قال البخاري: حدثنا عثمان بن الهيثم، قال: حدثنا عوف عن الحسن البصري، عن أبي بكرة، قال: لقد نفعني الله بكلمتين أيام الجمل: لما بلغ النبيَّ ﷺ أن فارس ملَّكت ابنةَ كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»، وقد ذهبت اللجنة في استنتاج المراد من هذا الحديث، وفي استنباط دلالته العامة مذهب صدق، فقالت: إن الرسول ﷺ لا يقصد بهذا الحديث مجرد الإخبار عن عدم فلاح القوم الذي يولون المرأة أمرهم؛ لأن وظيفته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بيان ما يجوز لأمته أن تفعله حتى تصل إلى الخير والفلاح، وما لا يجوز لها أن تفعله حتى تسلم من الشر والخسار، وإنما يقصد: نهي أمته عن مجاراة الفرس في إسناد شيء من الأمور العامة إلى المرأة، وقد ساق ذلك بأسلوب من شأنه أن يبعث القوم الحريصين على فلاحهم وانتظام شملهم على الامتثال، وهو أسلوب القطع بأن عدم الفلاح ملازم لتولية المرأة أمراً من أمورهم.

ولا شك أن النهي المستفاد من الحديث يمنع كل امرأة في أي عصر من العصور أن تتولى أي شيء من الولايات العامة، وهذا العموم تفيده صيغة الحديث وأسلوبه، كما يفيده المعنى الذي من أجله كان هذا المنع.

وهذا هو ما فهمه أصحاب الرسول ﷺ، وجميع أئمة السلف، لم يستثنوا من ذلك امرأة ولا قوماً، ولا شأناً من الشؤون العامة، فهم جميعاً يستدلون بهذا الحديث على حرمة تولي المرأة الإمامة الكبرى، والقضاء، وقيادة الجيوش، وما إليها من سائر الولايات العامة.

هذا الحكم المستفاد من هذا الحديث ـ وهو منع المرأة من الولايات العامة ـ ليس حكماً تعبدياً يقصد مجرد امتثاله دون أن تعلم حكمته، وإنما هو من الأحكام المعللة بمعان واعتبارات لا يجهلها الواقفون على الفروق الطبيعية بين نوعي الإنسان: (الرجل والمرأة)، ذلك أن هذا الحكم لم ينط بشيء من وراء (الأنوثة) التي جاءت كلمة (امرأة) في الحديث عنواناً لها، وإذاً، فالأنوثة وحدها هي العلة فيه.

وواضح أن الأنوثة ليس من مقتضاها الطبيعي عدم العلم والمعرفة، ولا عدم الذكاء والفطنة؛ حتى يكون شيء من ذلك هو العلة؛ لأن الواقع يدل على أن للمرأة علماً وقدرة على أن تعلم كالرجل، وعلى أن لها ذكاء وفطنة كالرجل، بل قد تفوق الرجل في العلم والذكاء والفهم، فلا بد أن يكون الموجب لهذا الحكم شيئاً وراء ذلك كله.

إن المرأة بمقتضى الخلق والتكوين مطبوعة على غرائز تناسب المهمة التي خلقت لأجلها، وهي مهمة الأمومة، وحضانة النشء وتربيته، وهذه قد جعلتها ذات تأثير خاص بدواعي العاطفة، وهي ـ مع هذا ـ تعرض لها عوارض طبيعية تتكرر عليها في الأشهر والأعوام من شأنها أن تضعف قدرتها المعنوية، وتوهن من عزيمتها في تكوين الرأي، والتمسك به، والقدرة على الكفاح، والمقاومة في سبيله، وهذا شأن لا تنكره المرأة من نفسها.

ولا تعوزنا الأمثلة الواقعية التي تدل على أن شدة الانفعال، والميل مع العاطفة من خصائص المرأة في جميع أطوارها وعصورها.

فقد دفعت هذه الغرائز المرأة في أسمى بيئة نسوية إلى تغليب العاطفة على مقتضى العقل والحكمة.

وآيات من سورة الأحزاب تشير إلى ما كان من نساء النبي ﷺ، وتطلعهن إلى زينة الدنيا ومتعتها، ومطالبتهن الرسول أن يغدق عليهن مما أفاء الله به عليه من الغنائم؛ حتى يعشن كما تعيش زوجات الملوك ورؤساء الأمم، لكن القرآن قد ردهن إلى مقتضى العدل والحكمة، من ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

وآية أخرى من سورة التحريم تحدث عن غيرة بعض نسائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وما كان لها من الأثر في تغليبهن العاطفة على العقل؛ مما جعلهن يدبرن ما يتظاهرن به على الرسول ﷺ، وقد ردّهن القرآن إلى الجادة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤].

هذه هي المرأة في أسمى البيئات النسوية، لم تسلم من التأثر الشديد بدواعي العاطفة، ولم تنهض قوتها المعنوية على مغالبة نوازع الغيرة، مع كمال إيمانها، ونشأتها في بيت النبوة والوحي، فكيف بامرأة غيرها لم تؤمن إيمانها، ولم تنشأ نشأتها، وليس لها ما تطمع به أن تبلغ شأوها، أو تقارب منزلتها؟!

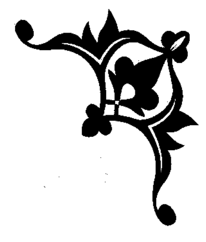
فالحق أن المرأة بأنوثتها عرضة للانحراف عن مقتضى الحكمة والاعتدال في الحكم، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بنقصان العقل، ورتب عليه ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ: أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل.

ومجمل القول في هذا كله: أن المرأة لا يجوز لها أن تباشر عملاً من

أعمال الولاية العامة مطلقاً، ولا يجوز لها كذلك أن تغشى الأندية والمحافل والمجتمعات العامة، مهما كان السبب الذي يدفعها إلى ذلك؛ لأننا أمة إسلامية، والإسلام يُلزمها هذه الحدود، ولا يجيز لها أن تتعداها.







الرفق بالحيوان
في الشـريعة الإسلامية[(١)]

كتب مندوب «الأهرام» الخاص يقول:

هذه مسألة لم يألف الناس أن يتحدثوا فيها؛ إذ الحيوانات عندهم لا حقوق لها، وهي عجماوات لا تفصح، وخرساء لا تبين، ونحن نضربها ضرباً مبرحاً أليماً؛ حتى لنكاد نمزق أجسادها بالسياط، ونحمل عليها ما يرهقها، وما يثقل كاهلها. وغايتنا أن نحمل أثقالنا، ولا يعنينا ماذا تكون.

ولقد أراد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر أن يعطي هذه الناحية بعض عنايته؛ إذ الحيوانات خلق مثلنا، وعوالم تتعاون معنا في هذه الحياة.

قال فضيلته: وهل جهل هؤلاء الذين يعنفون الحيوانات أنهم يخالفون قواعد دينهم، ويخرجون على تعاليمه السمحة؟

ثم استطرد فضيلته فقال: لقد أقام الإسلام هدايته على أساس الرحمة

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الخامس ـ المجلد الرابع والعشرون ـ جمادى الأولى ـ ١٣٧٢هـ = يناير كانون الثاني ١٩٥٣م.

* جريدة «الأهرام» العدد ٢٤١٥٧ تاريخ ٣ ـ ١ ـ ١٩٥٣م تحت عنوان: «الحيوان في نظر الشريعة الإسلامية ـ الإسلام يأذن بقتل الحيوانات الضارة، ولكنه يأمر بالترفق في القتل ـ الأستاذ الأكبر يبين ضروب الرفق، ويعدد ما يجب نحو أنواع الحيوانات».

المحفوفة بالحكمة، والرحمة تبعث النفوس مبعث الرفق والإحسان، والحكمة تقف بالرحمة عند حدود لو تجاوزتها، انقلبت إلى ضعف ورعونة. وعلى هذا الطريق الوسط جاءت الأحكام والآداب الإسلامية الخاصة بالتصرف في الحيوان.

فقد أذن الإسلام في قتل الحيوان المؤذي؛ كالكلب العقور، والفأر، لكنه أمر بالإحسان في قتله، فقد أمر النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء، فإذا قتلتم، فأحسنوا القتلة».

وأذن الإسلام في ذبح الحيوان؛ للاستمتاع بالطيب من لحومه، لكنه أمر بالإحسان في ذبحه، فقال ﷺ: «وإذا ذبحتم، فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

وقد ذكر أئمة المسلمين آداباً اقتبسوها مما جاءت به الشريعة في أصول الرفق بالحيوان، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «من الإحسان للذبيحة أن لا تجر الذبيحة إلى من يذبحها».

وقال ربيعة أحد فقهاء المسلمين وأئمتهم في المدينة: من الإحسان: أن لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها. ونص الفقهاء على: أنه يستحب للذابح أن لا يحد شفرته بحضرة الذبيحة، وأن لا يصرعها بعنف.

وأباحت الشريعة صيد الحيوان، ولكنها منعت أن ينصب الحيوان غرضاً (أي: هدفاً) ليرمى بالنبال والرصاص، وفي «صحيح مسلم» قول النبي ﷺ: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»؛ أي لتتعلموا به الصيد والرماية. وفي «صحيح مسلم» أيضاً: أن عبدالله بن عمر بن الخطاب مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه، وجعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم،

فلما رأوا ابن عمر، تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه روح غرضاً.

ومن الرفق بالحيوان: تجنب أذيته في بدنه بنحو الضرب الأليم. وورد النهي عن خصاء البهائم، كما جاء في «شرح معاني الآثار» للإمام الطحاوي من حديث عبدالله بن عمر: أن رسول الله ﷺ نهى أن يخصى الإبل والبقر والغنم والخيل. وحتى لو دعت الضرورة إلى ذلك في الحيوان الذي يخشى عضاضه، فإنه إذا وجد طريق لمنع أذاه من غير طريق الخصاء، فإنه لا خلاف في منع الخصاء حينئذ، لأنه تعذيب، وقد نهى الشارع عن تعذيب الحيوان.

ومن الرفق بالدابة: أن لا يتابع السير عليها متابعة ترهقها تعباً، فقد روى مسلم، وأبو داود عن النبي ﷺ: أنه قال: «إذا سافرتم في الخصب، فأعطوا الإبل حظاً من الأرض».

وورد في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت»، فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمة بالحيوان، وقال: إنه أمر بقطع القلائد من أعناق الإبل مخافة اختناق الدابة بها عند شدة الركض؛ لأنها تضيق عليها نفسها ورعيها، وكراهة أن تتعلق بشجرة، فتخنقها، أو تعوقها عن المضي في سيرها.

ومن المحظور: وقوف الراكب على الدابة وقوفاً يؤلمها؛ فقد ورد في «سنن أبي داود» عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله إنما سخرها لكم؛ لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس».

وحرمت الشريعة الإسلامية الإساءة إلى الحيوان بتحميله من الأثقال ما لا يطيق، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون أن من حمل دابة ما لا تطيق، حوسب

على ذلك يوم القيامة، حتى روى عن أبي الدرداء ﷺ: أنه قال لبعير له عند الموت: يا أيها البعير! لا تخاصمني عند ربك، فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك.

ولا يجوز الحمل على ما لم يخلق للحمل؛ كالبقرة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا خلاف في أن البقرة لا يجوز أن يحمل عليها، وذهب كثير من أهل العلم إلى المنع من ركوبها؛ نظراً إلى أنها لا تقوى على الركوب، إنما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو إثارة الأرض، وسقي الحرث.

ومن الرفق بالدابة: أن لا يركبها ثلاثة أشخاص يكون عبؤهم عليها ثقيلاً. أخرج ابن أبي شيبة عن الكندي أحدِ علماء التابعين في الكوفة: أنه رأى ثلاثة على بغل، فقال: لينزل الثالث؛ فإن رسول الله لعن الثالث.

وأخرج الطبري عن علي ﷺ: أنه قال: «إذا رأيتم ثلاثة على دابة، فارجموهم حتى ينزل أحدهم».

ومجمل هذه الآثار على حال ما إذا كان ركوب الثلاثة يرهق الدابة، فإن كانت تطيق ذلك؛ كالناقة، أو البغلة يركبها رجل وصبيان ـ مثلاً ـ، فليس به بأس، ولاسيما ركوبها في مسافة قصيرة، وهذا ما كان من النبي ﷺ حين قدم مكة راكباً على بغلته، فاستقبله أغيلمة من بني عبد المطلب، فحمل واحداً بين يديه، والآخر خلفه.

ومن الفنون التي يسلكها قساة القلوب في تعذيب الحيوان: تهييج بعض الحيوان على بعض؛ كما يفعل بين الكباش والديوك وغيرها، وهو من اللهو الذي حرمته الشريعة؛ لما فيه من إيلام الحيوان، وإتعابه في غير فائدة، وفي «سنن أبي داود»، والترمذي: «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»،

والتحريش بينها: إغراء بعضها ببعض.

وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه، قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَة ـ وهي طائر قد يسمى القُبَّرَة ـ معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تعرش ـ أي: ترتفع، وتظل بجناحيها ـ، فلما جاء رسول الله ﷺ، قال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد أحرقناها، فقال: «من أحرق هذه؟»، قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار».

ونص علماؤنا على حرمة تمكين الصبي من التلهي بالطير على وجه فيه إيلام له.

وروى الطبراني والبزار عن أنس: أن رسول الله ﷺ رأى حماراً موسوماً على وجهه، فقال: «لعن الله من فعل هذا». وقال المقداد بن معدي كرب: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن لطم خدود الدواب.

وفي «صحيح مسلم»: أن امرأة كانت على ناقة، فضجرت، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فأمر بإعراء الناقة مما عليها، وإرسالها؛ عقوبة لصاحبتها، وفي رواية أنه قال: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة».

ووردت الأحاديث عن النبي ﷺ في فضل سقي الحيوان وإطعامه، وعدهما من عمل الخير الذي تنال به الزلفى عند الله، فجاء في «صحيح البخاري»: أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فتأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة».

وفي «صحيح البخاري» أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي

بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: قد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكره الله، فغفر له»، فقالوا: يا رسول الله! وإن لنا من البهائم أجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

وفي «صحيحي البخاري ومسلم»، أن رسول الله ﷺ قال: «عُذبت امرأة في هرة لم تطعمها ولم تسقها، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض».

وقرر الفقهاء وجوب القيام على سقي الدابة وإطعامها، وصرحت طائفة منهم بأن القضاء الإسلامي يجبره على ذلك إذا قصر فيه، فإن لم يقم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها، باعها ولي الأمر، ولم يتركها تحت يده تقاسي.

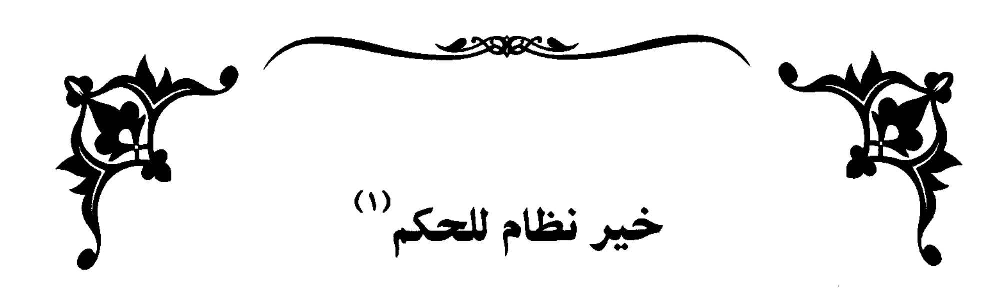
وفي «سنن أبي داود»: أن النبي ﷺ مر ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ـ أي: التي لا تقدر على النطق ـ، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة».

ويلغ من تأثر الصحابة والمسلمين الأولين بهذا الأدب في الرفق بالحيوان أن كان عدي بن حاتم يفت الخبز للنمل، ويقول: إنهن جارات، ولهن حق، روى ذلك النووي في «تهذيب الأسماء».

وبلغ من أدب إمام الشافعية أبي إسحاق الشيرازي في الرفق بالحيوان: أنه كان يمشي في طريق يرافقه فيه بعض أصحابه، فعرض لهما كلب، فزجره رفيق الإمام أبي إسحاق، فنهاه الإمام وقال: أما علمت أن الطريق بيني وبينه مشترك؟!.

وإذا كانت جمعية الرفق بالحيوان في إنجلترا قد تأسست سنة ١٨٢٤م، فإن الإسلام أيقظ عاطفة الرحمة بالحيوان في قلوب جميع المسلمين، فأسس منهم ـ منذ بضعة عشر قرناً ـ أعظم وأقدم جماعة في الدنيا للرفق بالحيوان، فضلاً عن الرفق بالإنسان، ولا يشذ أحد منهم عن ذلك إلا بعد أن يكون قد شذ عن آداب دينه وأوامر شريعته.





خير نظام للحكم[1]

أثيرت في الأيام الأخيرة بحوث حول نظام الحكم: كيف يكون؟ وعلى أي وضع يقوم؟ والحق أن هذا الموضوع من الدقة والخطورة بحيث يصح أن يستأثر بشيء كبير من عناية الباحثين. وقد كانت فرصة طيبة تلك التي أتيحت لي في مساء أمس؛ إذ التقيت بفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وتحدثت إلى فضيلته في هذا الموضوع الحيوي، وكان الأستاذ الأكبر صريحاً على عادته، فتحدث إلي يقول:

تجتاز مصر في أيامها التاريخية الحاضرة أعظم انقلاب اجتماعي مر بها منذ قرون؛ لأنه الانقلاب الوحيد الذي ينشد لمصر النظام؛ لتتمكن من الاستقرار عليه، والاستمرار فيه إلى الأبد.

ومما يلاحظ في هذا الموقف: أن التطورات الماضية لم تكن نتيجة طبيعية للوعي القومي، ولذلك كان الوطن يفاجأ بها مفاجأة، وكان نظام الحكم الذي يترتب على تلك المفاجآت يفرض على البلاد فرضاً، إما من استعمار قاهر، أو من مستبد متغلب. ولذلك قلما كان يلاحظ فيه حاجة الأمة واقتناعها، والأساليب التي ترتاح إليها، وتعتبرها منتزعة من روحها وذوقها، ومن المبادئ

(١) مجلة «الأزهر» الجزء السادس ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة جمادى الثانية ـ ١٣٧٢هـ = فبراير شباط ١٩٥٣م.

التي آمنت بها، ونشأت عليها، وترجع بذكرياتها وتقاليدها إلى ما حفظه التاريخ من مفاخرها وأمجادها، لذلك كان نظام الحكم في مصر في العصور الأخيرة بعيداً عن أمنية الاستقرار، وكان مؤيداً بالقوة القائمة عليه، لا بالاقتناع به، والطمأنينة له، والإيمان بصلاحه.

والآن قد عزمت مصر على أن تختار بمحض إرادتها، فمن سعادتها أن يكون نظامها المرتجى منتزعاً من مثلها العليا التي تؤمن بها، وترتاح إليها، بوازع من النفس، وإيمان من القلب، لا بوازع من سلطان القوة الصماء، ونصوص القانون التي كثيراً ما شكا أقطابه مواطن الضعف فيه.

ولقد أخذ كل عالم بمزايا نظام من الأنظمة الأجنبية يعرض على الرأي العام مزايا ذلك النظام، محاولاً إقناع الأمة بالأخذ به. إن هذه الأنظمة ـ مع كثرة عيوبها، وما يحف بها من مواطن الضعف ـ لا يتعاملون بها مع كل من يتعامل معهم من الشعوب القوية والضعيفة، والمشاهد من حالهم: أنهم مع الشعوب القوية في عداء متواصل، ومع الشعوب الضعيفة في بغي مخجل، وما هكذا يكون أصحاب المبادئ الإنسانية السليمة، والنظم البريئة التي يراد منها سعادة المجتمع في عصر يفتخر بحضارته وعلومه.

فالوصف النظري الذي نسمعه من فصحائنا وخطبائنا لبعض تلك النظم الأجنبية عنا، لا نرى آثاره في البلاد التي اخترعته، وعملت به، وقلبت جميع الأوجه في تعديله وترقيعه وتحويره لينتج لها السعادة، فكان أملها منه السعادة كأمل الظمآن بالسراب، فكيف بنا ونحن الأجانب عن تلك النظم المخترعة لغيرنا؟! ولو حاولنا استعارتها، لكانت لنا كما تكون الألبسة التي تستعار للممثلين.

إن الدعاة لتلك الأنظمة قرروا في مؤلفاتهم، وأعلنوا في صحفهم: أنها كل لا يتجزأ، وهم يدعون هذه الأمة إلى أن تأخذ بهذا الكل الذي لا يتجزأ، شاءت أو أبت، والأمة لها نظام فطري نظيف ينظر إلى الحق من حيث هو حق، وإلى الخير من حيث هو خير، وتدين لله بقول خاتم رسله: «أيها الناس! إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف، تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم، أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، قطع محمد يدها»، وقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة: «آس الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك».

هذا النظام الفطري الذي يقيم الحدود على الكبير والصغير سواء، لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وحث على استعمال الأصلح، واختيار الأمثل فالأمثل للولايات العامة والوظائف، وأوجب على ولي الأمر أن يقلد أعمال المسلمين لمن يجده صالحاً منهم؛ فقد قال النبي ﷺ: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، خان الله ورسوله». وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «من قلد رجلاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه، فقد خان الله، وخان رسوله، وخان المؤمنين».

وقد جاء كذلك عن عمر بن الخطاب: أنه قال: «من ولي من أمر المسلمين شيئاً، وولَّى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»، ومعنى هذا: أن النظام الذي يكفل المساواة بين جميع الأفراد في الحقوق والواجبات، ويجعل من الواجب على كل من ولي شيئاً من أمر المسلمين أن

يوجه في كل موضع، وفي كل عمل من الأعمال أصلحَ من يقوم به، ويؤديه الأداء الصحيح، فإن عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره؛ بسبب قرابة أو صدقة، أو موافقة في بلد أو مذهب أو طريقة، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو لضغينـة في قلبـه على الأحـق، أو لعـداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين.

وهو النظام الذي يشعر الحاكم والمحكوم بأنهما سواء، وهذا أبو عبيدة الجراح يضرب لنا أروع الأمثال في هذا الباب، فقد فتح بلد «حمص»، فجاؤوا له بطعام فاخر صنع له خصيصاً، فما كان منه إلا أن سأل: أهذا الطعام قد أطعم منه الجيش؟ فقالوا: كلا، وإنما هو لك. فقال: ردوه؛ فإني لا آكل طعاماً لم يأكل الجيش منه!!!

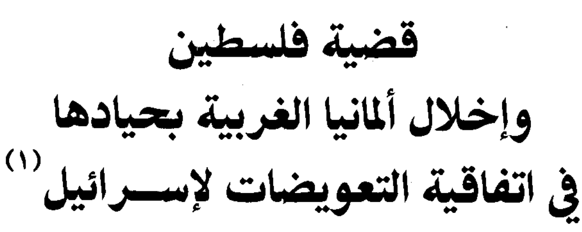
وقد جاء في الآثار: أن بعض خلفاء بني العباس سأل بعض العلماء أن يحدثه عما أدرك، فقال: أدركت عمر بن عبد العزيز، فقيل له: يا أمير المؤمنين! أفغرت أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيء لهم. وكان في مرض موته، فقال: يا بني! والله! ما منعتكم حقاً هو لكم، ولم أكن بالذي آخذ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إما صالح، فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح، فلا أترك له ما يستعين به على معصية الله، قوموا عني.

هذه هي الأمثال التي تضرب في معنى العدالة في ولاية أمور الناس، وكلها تجمع على أن الإسلام دين إنساني محض، وهو نظامنا الذي نؤمن به، خلافاً للأنظمة الأجنبية عنا، وإن العمل به ليحول هذه الأمة إلى كتلة فولاذية مؤمنة بنظامها كإيمانها بكعبتها وقرآنها، والأمر أعظم وأخطر من أن ترتجل فيه الخطط والنظم.

ونحن لا ندعو الأمة وأهل الحل والعقد فيها إلا إلى التروي والتفكير، والدرس والمقارنة، مع العلم بأن مصر لا تعلم منذ عشرة آلاف سنة إلى الآن حكماً أعدل ولا أرأف ولا أسعد من الحكم الذي بسط جناح رحمته عليها في المئة السنة الأولى من الفتح الإسلامي، ودليل عدله ورأفته وسعادته: أن مصر باختيار منها تحولت إليه بأرواحها وقلوبها وألسنتها، فكانت الدرة المتألقة في تاج الوطن العربي والإسلامي، ويرجو لها كل محب لها أن تبقى كذلك إن شاء الله إلى ما شاء الله.







قضية فلسطين وإخلال ألمانيا الغربية بحيادها في اتفاقية التعويضات لإسرائيل[1]

قال مندوب «الأهرام» الخاص:

أتيح لي أن أقضي بعض الوقت مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وهو رجل أحبه، وأوثره المودة والتقدير؛ لما جبل عليه من صفات الرجل المؤمن، وكان على غير عادته؛ إذ كان يبدو غضبان أسفاً. وقد أعرب حقاً عن ألمه البالغ حين تحدث إلي في مسألة إسرائيل، والتعويضات التي رأت ألمانيا الغربية أن تمدها بها.

قال الشيخ الأكبر في عنف وغضب:

لو أن المؤرخين أرادوا أن يؤرخوا أسوأ مثل لأقبح حادث أسيء به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن العشرين، لما وجدوا أبلغ من تاريخ هذا الحادث المروع الذي تألبت فيه بعض دول الغرب، وعاونت على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقولهم، ومتاجرهم ومصانعهم؛ ليحلوا

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء السادس ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة جمادى الثانية ـ ١٣٧٢هـ = فبراير شباط ١٩٥٣م.

* «جريدة الأهرام» العدد ٢٤١٧٥ تاريخ ٢١ ـ ١ ـ ١٩٥٣م تحت عنوان: «لتفتح ألمانيا الغربية أبوابها لليهود، وليعد المشردون من عرب فلسطين إلى وطنهم الشرعي، أما التعويضات التي يراد إعطاؤها لإسرائيل، فإخلال صريح بالحياد».

محلهم فيها أقواماً من اليهود الغرباء الذين كانوا أشتاتاً في مختلف أقطار الشرق والغرب، من بلاد روسيا إلى أقصى أودية اليمن وجبالها.

هذا الحادث الإنساني الأليم الذي كان من نتائجه أن العنصر اليهودي المتعرب الذي كان تعداده في فلسطين سنة ١٩١٤م أقل من عُشر السكان الشرعيين، فما زال يتزايد هذا العدد شيئاً فشيئاً بالحشود التي كانت تنضم إليهم من المهاجرين غير الشرعيين، الذين حملتهم الحركة الصهيونية بمعاونة المحتلين على مزاحمة أهل البلاد الحقيقيين في مساكنهم، وضيقوا عليهم الخناق في ممتلكاتهم ومعايشهم وحريتهم، حتى لقد أصبحوا الآن أصحاب الدولة في البلاد، بينما أضحى أصحاب البلاد مشردين فيها تحت كل نجم، يعانون آلام البرد والزمهرير شتاء، ولهب القيظ صيفاً، حتى صاروا في حالة من الضنك والهوان والبؤس والشقاء توجب الإشفاق والرحمة، من قلوب تشعر من معاني الرحمة بما لا تشعر به قلوب كبار ساسة الغرب.

إن إسرائيل الباغية على أهل فلسطين لا تزال في حالة حرب مع مصر والدول العربية والأمم الإسلامية، بسبب تلك الجريمة التاريخية، وكان ينبغي على الحكومات المحايدة ـ وفيها ألمانيا الغربية ـ أن تلتزم الحياد التام بين العرب وإسرائيل، فلا تعين إحداهما على الأخرى، ولا تبسط يد واحدة لتغل يد الأخرى، ولكن مما يؤسف له كثيراً: أن ألمانيا الغربية قد أخلت بهذا الحياد الذي كان واجباً عليها أن تلزم نفسها به، فجاءت تمثل فصلاً جديداً في هذه الرواية المخجلة للضمير الإنساني؛ إذ تقدمت بمبلغ ٨٣٠ مليوناً من الدولارات تعهدت بأن تسلمه إلى حكومة إسرائيل أقساطاً مقسطة، بعضها مال، وبعضها عتاد من منتجات مصانعها؛ بدعوى تعويض اليهود ـ الذين قيل:

إن هتلر طردهم من بلاده ـ عن الخسائر التي تكبدوها، مع أن هؤلاء اليهود الذين طردوا من ألمانيا كانوا رعايا ألمانيين.

والقوانين الدولية لا تلزم أية حكومة بدفع تعويضات من غير طريق القضاء، في الدعاوى التي تقام من أشخاص كانوا من رعايا تلك الدولة، وفضلاً عن ذلك، فإن إسرائيل التي يراد دفع هذه التعويضات إليها ليست هي التي تستحقها، وكان الوضع السليم يقضي على ألمانيا ـ بدلاً من أن تدفع هذه التعويضات ـ أن تفتح أبوابها ليعود إليها كل يهودي يثبت أنه أخرج من ملك كان له في ألمانيا، وأن يعود إلى فلسطين كذلك كل عربي يثبت أنه أخرج من ملك كان له في فلسطين، أما العدول عن ذلك إلى أن تعطي ألمانيا الغربية مئات الملايين من الدولارات لإسرائيل، وهي في حالة حرب مع مصر والدول العربية والعالم الإسلامي، فإن ذلك يعد من ألمانيا الغربية إخلالاً بقواعد الحياد، ويصورها في صورة الضالع مع أحد الطرفين المشتبكين في حرب ضروس سجال، وتعده الدول العربية تهديداً لها، وإطالة لحياة حكومة إسرائيل عشرة أعوام أخرى أو أكثر، بينما هي تعيش الآن على الصدقة والاستجداء، وسيكون هذا العمل من ألمانيا الغربية سابقة تستعين بها إسرائيل على أخذ تعويضات أخرى من بلاد يزعمون أن بني جلدتهم اضطهدوا فيها أيضاً، ومنها: النمسا، وألمانيا الشرقية، وهنغارية، ورومانيا، وبولندا... إلخ.

ويجب أن تعلم ألمانيا الغربية: أن مساعدتها هذه لإسرائيل ستخل بالتوازن الحالي في الشرق الأدنى، وتمكن إسرائيل من القيام بعدوان جديد على البلاد العربية، بينما الذين يدعون أنهم الأوصياء على السلام العام واقفون يتفرجون على هذه المهزلة التي لم يسبق لها نظير في العالم.

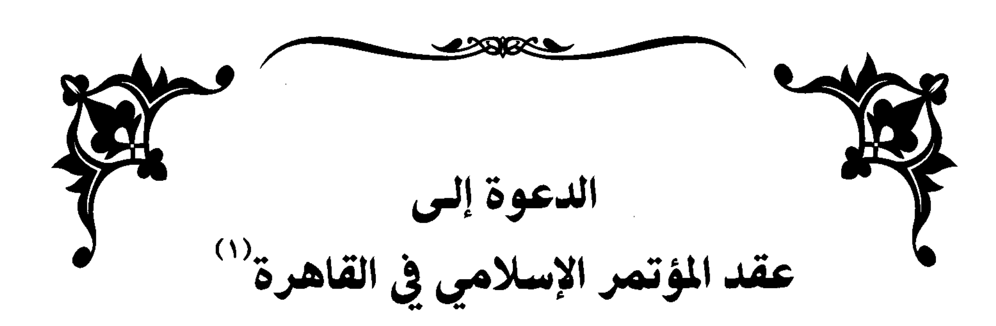
إن إسرائيل ليست وريثة لحقوق اليهود المزعوم أنهم تضرروا من حكومة هتلر، لذلك لا يجوز أن تعتبر طرفاً في تسوية مع ألمانيا الغربية، على حقوق يهود لم يكونوا يومئذ من رعايا إسرائيل، بل لم تكن حكومة إسرائيل هذه موجودة في الدنيا يوم وقع الاضطهاد المزعوم من ألمانيا على رعاياها اليهود.

وحكومة إسرائيل هذه لا تعترف بحق التعويض في القانون الدولي، ولو كانت تعترف بهذا الحق الموهوم بالنسبة لليهود الألمان الذين كانوا قبل وجودها، لكان ينبغي لها أن تعترف بالحق الأبلج الماثل أمام أعينها وأعين رجال حضارة القرن العشرين للاجئين العرب الذين أخرجوا من ديارهم وبساتينهم وحقولهم، ومتاجرهم ومصانعهم، وقررت الأمم المتحدة التعويض لهم، فهزأت إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة، وألقت بها في سفط المهملات.

إن يهود ألمانيا الموجودين الآن في فلسطين، وتزعم إسرائيل أنها تتقاضى التعويضات من ألمانيا الغربية باسمهم، قد هاجر معظمهم إلى فلسطين قبل اضطهاد هتلر لليهود، وقسم كبير منهم جاء إلى فلسطين بعد انقضاء حكم النازيين في ألمانيا، وقد جاؤوا إلى فلسطين في الحالتين عندما كانت فلسطين آهلة بأصحابها الشرعيين من العرب، فكان مجيئهم الاختياري إلى فلسطين اضطهاداً منهم للعرب، وبغياً عليهم، واغتصاباً لوطنهم، حتى بلغ عدد العرب الفلسطينيين الذين شردوا من وطنهم الشرعي تحت ضغط الصهيونية العالمية أكثر من مليون نسمة نساء ورجالاً، أطفالاً وشيوخاً، فانتزعت منهم ديارهم في غير شفقة ولا رحمة، ولأول مرة في التاريخ يشرد سكان متوطنون في بقعة ما؛ ليحل محلهم أناس غيرهم يزعم أنهم شردوا من بقاع أخرى.

إن النازي غير موجودين اليوم، فأعيدوا المشردين الألمان إلى وطنهم ألمانيا، وأعيدوا المشردين من عرب فلسطين إلى وطنهم فلسطين، وإلا، فإن دعوى الإنسانية والحق في بلاد الغرب المتمدنة تكون من أكبر الأكاذيب التي سيسجلها التاريخ لتخجل منها الأجيال الآتية ما دام للإنسانية ومبادئها أنصار صادقون في العالم.





الدعوة إلى
عقد المؤتمر الإسلامي في القاهرة[1]

كتب مندوب «الأهرام» يقول:

يعد اجتماع المؤتمر الإسلامي في مدينة القاهرة حدثاً تاريخياً له دلالته وأهميته، ولعل أولى نتائجه: أن الأمم الإسلامية سوف يتاح لها أن تجتمع في صعيد واحد؛ لتتدارس ما يعتورها، أو ما كان يعتورها من مختلف العوامل لتقول كلها كلمة واحدة، ولتضع نظاماً واحداً من شأنه توحيد الجهود لمقاومة العدو المشترك، سواء أكان هذا العدو مرضاً وفقراً وجهلاً، أم كان مستعمراً بجثو فوق رؤوسنا وصدورنا بعدده وعدته وخيله ورجله.

وقد رجعت إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر؛ لأقف منه على ما قد يعرض على هذا المؤتمر في اجتماعه المقبل من أمهات المشكلات المشتركة بين الأمم الإسلامية، والحق أن فضيلته قد تردد كثيراً في إجابتي إلى ما طلبت، وذكر لي: أن من الخير أن لا نتحدث عن مثل هذه المشكلات قبل أن يتخذ المؤتمرون فيها قراراً عملياً قد يكون له أثره المرتقب، ولكني

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء السادس ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة جمادى الثانية ـ ١٣٧٢هـ = فبراير شباط ١٩٥٣م.

* «جريدة الأهرام» العدد ٢٤١٩٣ تاريخ ٨ ـ ٢ ـ ١٩٥٣م تحت عنوان: «الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامي في القاهرة».

شرحت له أن هذا الاعتبار ـ وإن كان اعتباراً له قدره ـ إلا أنه لا يصح أن يقف حائلاً دون الإعداد والتمهيد، فقال فضيلته:

*** زعماء المسلمين:**

لقد تقرر أن يجتمع كبراء المسلمين، وزعماؤهم في مؤتمر عام يعقد في القاهرة، كما عقد في مدينة «كراتشي» في العام الماضي؛ للتفاهم، أو للتفكير والبحث في «التعاون» على البر والتقوى.

واستطرد فضيلته، فقال متسائلاً: فهل لنا أن نمهد لذلك بالتفكير في أنفسنا، ثم في بحوثنا عن سبل الانتفاع الصادق بهذه الرابطة التي عقدها الله بين قلوب خمس مئة مليون مسلم على الحق والخير، وأباح لهم جميعاً سبل التعاون على الانتفاع بكل ما في أوطانهم من نعمة مدخرة.

إن التفكير في ذلك من مصلحتنا، ومن أسباب سعادتنا، ولاسيما إذا استلهمناه من روحنا الأصيلة، ومن مبادئ ميثاقنا الأقوم، معتبرين الأخوة التي عقدها الإسلام بيننا خطوة إلى الإنسانية التي تنشدها الأمم اليوم وتتمناها، ولكن العصبيات القومية، والاختلافات الوطنية، والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب تحول بينهم وبين ذلك.

ولو وفقنا نحن إلى شيء من ذلك، لضربنا المثل به لأمم الأرض، فتستكشف بضوئه مسالكها إلى السعادة والتعاون في أسمى معانيه.

*** المسلمون أسرة واحدة:**

كانت الإنسانية في بدء تكوينها أسرة واحدة، تتعاون كما تتعاون الأسرة الواحدة، وتتراحم كما تتراحم، ثم تكاثرت واتسعت، فطرأت عليها العصبيات والاختلافات والتنافس على توافه المتع وسفاسف الرغائب.

وما زالت هذه العصبيات والاختلافات تنمو وتستفحل حتى نشأت عنها العداوات والإحن بين الأسر، فالمجازر والمذابح بين القبائل، حتى إذا تمكنت الأثرة والأنانية من النفوس، وانتقلت من القبائل إلى الشعوب، جاء الإسلام وهذا المرض الإنساني في مقياس واسع بين الروم والفرس، فكان من أعظم رسالات الله إلى الإنسانية على لسان خاتم النبيين: دعوة الأمم للرجوع بالإنسانية إلى وحدتها الأولى متآلفة بميثاق جديد، وهو ميثاق الحق حيثما كان، والخير كيفما يكون.

* **رسالة الإسلام:**

جاء الإسلام بهاتين الكلمتين: (الحق)، و(الخير) باسطاً يده إلى أمم الأرض، لا فرق بين أصفر وأحمر، وأبيض وأسود، فكل من دخل منهم في ميثاق الحق والخير، كان أخاً للداخلين فيه، لا فضل في ذلك لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بقدر مبادرته في الاستجابة لهذا الميثاق الإنساني، وتجنبه كل ما يخالفه أو يخل به.

* **الإخاء في الإسلام:**

وفي ظل هذا الميثاق الإنساني الأعظم كان الإسلام قد عقد الإخاء بين الأوس والخزرج، فكانوا جميعاً أنصار هذا الحق، ودعوة هذا الخير، ثم عقد الإخاء بين الأنصار والمهاجرين بما لم يسبق له نظير في تاريخ الإنسانية لما تتمناه الإنسانية من التواسي والتراحم والتعاون في أسمى معانيها، وإن هذا المثل الإسلامي الأعلى لا يزال مضروباً للناس جميعاً ـ وفي مقدمتهم المسلمون ـ؛ ليعودوا إليه، فيعظموا به، وليأخذوا بمبادئه، فيقوموا ويسعدوا.

روى الحسن بن أبي الحسن البصري: أن خطيب قريش سهيلَ بن عمرو،

أحدَ بني عامر بن لؤي، وأبا سفيان بن حرب بن أمية، والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي، وغيرهم من أشراف قريش كانوا بباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكان في بابه أيضاً بعض الموالي؛ كصهيب، وبلال، وغيرهما ممن شهد بدراً، فخرج إذنُ عمر للموالي، وأخر عنهم أولئك الأشراف، فامتعض بعض هؤلاء، وقال أبو سفيان: لم أر كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد، وتركنا على بابه لا يلتفت إلينا؟!. فقال سهيل بن عمرو ـ وكان من ذوي أحلامهم ـ: أيها القوم! إني أرى ـ والله ـ الذي في وجوهكم، إن كنتم غضاباً، فعلى أنفسكم فاغضبوا، دعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟!.

هذه هي أخوة الإسلام التي رفعت الضعفاء جزاء مبادرتهم في الاستجابة لدعوة الحق والخير، وساوت بلالاً وصهيباً وأمثالهما بأشراف قريش وساداتها، بل قدمتهم عليهم.

الحق والخير من مبادئ الإنسانية الأولى من الأزل، وسيبقيان جديدين إلى الأبد، وميثاق الحق الخير مدعوٌّ إلى الأخذ به كل إنسان يعرف قدر الإنسانية، والذي يستجيب لدعوته التي نادى بها الإسلام، يضمن بذلك السعادة لنفسه وذويه، والإسلام لا يطلب منه جزاء على ذلك، وأول من ينبغي لهم أن يستجيبوا لدعوة الحق والخير، وإحياء ميثاقهما: هم المسلمون، وسيجدون أنفسهم وبلادهم وأممهم بعد ذلك قد استحالت خلقاً آخر غير الذي كانت فيه.

وتعال نتساءل: ما بالنا ـ نحن المسلمين ـ لا نفكر في ذلك؟! وما بالنا لا نحسن إلى أنفسنا بالرجوع إلى مبادئ الإسلام الطيبة، وأساليبه الحكيمة

الطاهرة في الأخـوة والتعاون؟! ألسـنا نعلـن في كل يـوم: أن الناس بخيـر ما تعاونوا؟!.

لماذا نستحسن التعاون على قروش في مواد البقالة، ولا نجرب التعاون على السعادة بحذافيرها في مواد الحياة ومبادئها؟!.

لقد دعانا الإسلام لنكون إخوة متعاونين، لا على الأمور الصغيرة؛ كفتح دكاكين البقالة وحسب؛ فإن هذا التعاون مطلوب بعد الإيمان بمبدأ التعاون الاسمي فيما هو أسمى من ذلك، وأوسع نطاقاً، وأعظم آفاقاً.

نحن الآن أمة لا يقل عددها عن خمـس مئة مليون أو تزيد، فما أقوانا وما أسـعدنا لو تعاونا على كل ما نشـترك في الانتفاع به من معادن نفوسنا، ومرافقنا ومدخراتنا، وما أكثـرها وأعظمها وأثمنها! بل لمـاذا لا نتعاون في آلامنا وأوصابنا، وأوجاعنا، وما أشدها! وفي آمالنا لحاضرنا ومستقبلنا، وما أوسع آفاقها!.

لقد أنعم الله علينا بدولتين جديدتين مستقلتين: الباكستان، وأندونسيا، وفيهما أكثر من ربع عدد المسلمين في العالم، وأنعم علينا بتطهير أرض الكنانة من أسوأ نظام وأبشعه، وأنعم علينا باليقظة في كل مكان، والاستعداد للأخذ بما هو أحسن؛ حتى نصل إلى الاستقرار والطمأنينة، والرضا بالحق، والإقبال على الخير، وفي ميثاقنا الإنساني الأول الذي أنعم الله به علينا في أكرم رسالاته ما يحقق ذلك كله لنا على أتم الوجوه وأجملها، فلماذا لا نمد يدنا إلى هذا الماء النمير العذب الصافي فنغترف منه؟ وفي أوطاننا الإسلامية من أقصى أندونسيا إلى آخر دنيا المسلمين كل أنواع المعادن والمحصولات والمنتجات والمواد الأولية، فلماذا لا نتعاون مع إخواننا من أهلها على تبادل هذه المنافع، وإكمال

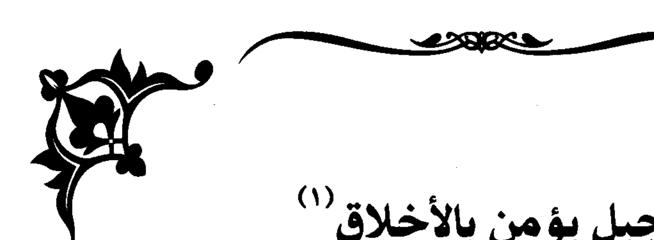
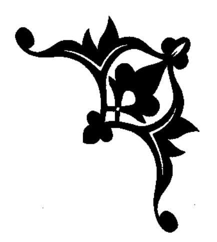
ما ينقصنا من أوطان إخواننا الذين يكثر ذلك عندهم؟ لماذا لا نعتبر الوطن الإسلامي وطناً واحداً في تبادل منافعه بالحق والخير، مع الاعتراف لأهل كل بقعة بأن الأقربين لها أولى بالمعروف، وأن عليهم أعباءها في مقابل ذلك، ثم علينا معاونتهم ولنا عليهم أن يكونوا في عوننا؟ ولماذا لا نفتح لهم قلوبنا ليفتحوا لنا قلوبهم، وبذلك نحصل على مفاتيح الخير كلها في السماوات والأرض؟

*** ميثاق الإنسانية:**

إن عقبة واحدة واقفة في طريق تحقيق ذلك، وهي أننا تناسينا ميثاق الإنسانية الذي عقدته رسالة الإسلام بين الأصفر والأحمر، والأسود والأبيض، وقد علّمنا الاستعمار في داخل فصول مدارسنا التي ننفق عليها من أموالنا بأن المسلمين أجانب عن المسلمين، وأن الإسلام نفسه شبح مخيف يجب أن نتنكر حتى للأخلاق التي يدعو إليها، وللمثل العليا في التاريخ التي ضربها أبطال التاريخ الإسلامي للعالم بما بنوا من أمجاد، وبما أقاموا من حق، وبما نشروا من دعوة الخير، فنشأ أبناؤنا ومعاصرونا غرباء عن هذا الجو، متخوفين من فتح نوافذهم إلى ناحيته، ولهذا بقي المسلمون متقاطعين فيما بينهم، ومقاطعين لميثاقهم الإنساني الأعظم، ومتجافين عن أخلاق دينهم التي بعث الله نبيهم ليتمم مكارمها، ويجمل الإنسانية بها.

وإذا كانت مدارسنا لا تحب أن تعلم هذه الأشياء لأبنائنا، فلماذا لا يقوم سليمو النية من أفاضلنا وأذكيائنا ومثقفينا بدراسة روح الإسلام من ناحيتها التعاونية والتعاملية، ويحاولون استنباط معادن الخير منها؛ لننتفع بها في أزماننا الحاضرة؟.

❏ ❏ ❏

جيل يؤمن بالأخلاق(١)

قال مندوب جريدة «الأهرام» الخاص :

حضر أمس الأول فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر اجتماعاً عاماً انتظم عديداً من ذوي المناصب العامة المختلفة؛ من ضباط الجيش، ورجال القانون والهندسة والطبابة، كان خطباء الاجتماع يتسابقون في تعداد الصفات التي يجب أن نتسلح بها لنواجه المستقبل الحافل بجسام الأمور. فتوجه فضيلته بالحديث إلي قائلاً :

إن الأمم الناهضة تحتاج نفوسها إلى الغذاء الجيد؛ من الأخلاق والسجايا؛ لتقوى به على مواصلة النهوض إلى المعالي، كما تحتاج أجسامها إلى الغذاء الجيد من الطعام؛ لتقوى به على مواصلة الكفاح في سبيل المعايش، والشجاعة غذاء من أغذية الأمة في طور التحرير، لا يتهاون به إلا صغار النفوس، والذين يستعذبون موارد العبودية، وإن لم تفرض عليهم، وأصل الشجاعة : أن تعرف الحق : حق الله، وحق الأمة، وحقوق المواطنين، وحقك الشخصي،

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء السابع ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة رجب ـ ١٣٧٢هـ = مارس آذار ١٩٥٣م.

* «جريدة الأهرام» العدد ٢٤٢٠٧ تاريخ ٢٢ ـ ٢ ـ ١٩٥٣م تحت عنوان : «العهد الجديد في حاجة إلى جيل يؤمن بالأخلاق».

فتوطن نفسك على أن تكون صادق العزم في إعطاء كل ذي حق حقه بالعدل والإنصاف.

وقد أوصى المسلمين بأن يكونوا أهل الشجاعة في مواقف الدفاع عن الحق، ما داموا يرجون لهذا الحق العزة والاستعلاء، فقال ﷻ في سورة النساء: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٠٤]، فأرشدهم الله إلى أنهم بما يرجون من إقامة الحق، ومعونة الله عليه، ينبغي لهم أن يكونوا أبعد من أعداء الحق عن الوهن والضعف؛ لأن المؤمن الذي يرجو الحق، ويعيش له، ويعد نفسه لإعلانه ونصرته، يجب أن يكون من أبعد الناس عن الوهن في سبيله.

ومن هنا يتبين لنا: أن الشجاعة العسكرية وليدة الشجاعة الأدبية؛ لأن كلا نوعي الشجاعة منبعث عن الولاء للحق، وتوطين النفس على إقامته ونصرته. وإن الرجل الشهم الذي يوطن نفسه على الدفاع عن الحق، ويؤدي الشهادة الصادقة على نحو ما علم، دون أن يهاب ذا جاه أو سطوة، لا يقل عن البطل الصنديد في موقفه بساحة العرب أمام نيران العدو مدافعاً عن حق أمته وملته ووطنه.

واستطرد فضيلته قائلاً:

إن المسلم الذي يعلم أنه لم يكن مسلماً إلا بشهادة الحق: (لا إله إلا الله) يوطن نفسه على ألا يشهد إلا بالحق، ولو على نفسه وعلى والديه، في كل المواقف، متمثلاً دائماً في ذهنه أمر الله ﷻ للمسلمين: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[البقرة: ٢٨٣].

ولما ربى الإسلام أبناءه على إقامة الحق ونصرته ومحبته، والشهادة به والإعانة عليه، ربى فيهم بهذه السجية، خلق الشجاعة في النفوس، فأخرج منهم أمة لا تهاب الخطوب، وترى الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق خيراً من ألف حياة يقضيها صاحبها في مشاهدة الباطل يمشي في الأرض مرحاً.

انظروا إلى قول الخليفة الأول أبي بكر الصديق في وصيته لقائده العظيم خالد بن الوليد: «احرص على الموت توهب لك الحياة»، فباقتحام موارد الموت في سبيل إقامة الحق تبرهن الأمة على أنها جديرة بالحق، وبهذا نكون من أهل الحياة، وأن الشهداء من رجالها أحياء عند ربهم، وأحياء في قلوب عباده، والذين لم ينالوا منهم نعمة الشهادة يتمتعون بالحق، وبما يفيضه عليهم الحق من نعمة الحياة. وإلى هذا المعنى يشير الفارس الشاعر حصين ابن الحمام، أحدُ بني سهم بن مرة:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

جلس القائد المجاهد الشهير مسلمة بن عبد الملك، مع أخيه الخليفة الأموي هشام، ذات ليلة، فقال له أخوه الخليفة:

«يا أبا سعيد! هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو؟»، فأجاب مسلمة: «ما سلمت في ذلك من ذعر ينبه إلى حيلة، ولم يغشني فيها ذعر سلبني رأيي»، فقال له هشام: «هذه هي البسالة».

ولما كان الحكم والسلطان في إسبانيا للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، رفع أحد التجار قضية على الخليفة إلى القاضي الأكبر في عاصمة الأندلس «قرطبة»، وهو العالم الفقيه الورع ابن بشير، فحكم ابن بشير للتاجر على الخليفة، ولم يكتف بإصدار الحكم، بل كان حريصاً على سرعة تنفيذه،

فذهب إلى الخليفة يخبره بنص الحكم الذي صدر عليه، وينذره بالاستقالة من القضاء إن لم يبادر الخليفة بالتنفيذ.

وحتى في أحط أدوار الدولة العبيدية بمصر، دخل الإمام أبو بكر محمد ابن الوليد الطرطوشي على الملك الأفضل، ابن أمير الجيوش بدر الجمالي ـ وكان الأفضل وزير مصر للمستنصر، والمستعلي، والآمر ـ، فتكلم الطرطوشي موجهاً الموعظة والنصيحة للملك الأفضل. ولاحظ في أثناء موعظته: أن إلى جانب الملك رجلاً لا يؤتمن على الدولـة، ولا تهمه مصلحـة الملة، فختم الطرطوشي موعظته بالحديث عن ذلك الرجل غير المؤتمن، وأشار إليه بيده، فلم يكن من الملك الأفضل ـ لما استشعر من صدق الإمام الطرطوشي وغيرته على الحق وشجاعته في إعلانه ـ إلا أن أمر ذلك الرجل الجالس إلى جانبه بأن يتنحى عن ذلك المقام.

إن الأمة الضعيفة المسكينة لا تستحق الحياة، وهي لا تقوى وترتقي وتعتز إلا إذا شاع في أفرادها ـ ولاسيما شبابها، خصوصاً المثقفين منهم ـ خلقُ الصدق، ومحبة الحق، وتوطين النفـس على نصرته، والصراحة فيه، والدفاع عنه. ومن هذا الخلق يولد الجيش الباسل الذي لا يغلب، بل من ذلك الخلق يولد الجيل الفاضل الذي لا يطمع في حق غيره، ولا يطمع غيره في حقه. والحق شطر الإسلام، بل هو عظامه التي تقوم بها بنيته، أما الشطر الآخر، فهو الخير، وهو في مقام اللحم والشحم من بنية الإسلام.

ولم يرد في الإسلام أمر ولا نهي إلا وهو يرجع إلى شعبة من شعب الحق، أو إلى شعبة من شعب الخير. والمسلمون لن يعودوا كإخوانهم الذين حملوا لواء الحق، ونشروا قانونه في الأرض إلا إذا تضلعوا من معين الحق،

وارتووا من موارد الخير، فأصبحوا يعرفون بين الأمم بأنهم أمة الحق والخير، وحينئذ يكون منهم الجيش الغالب الظافر الذي يقتحم كل عقبة تحول بينه وبين الحق، ويجتاز كل مخاضة تمنعه من الوصول إلى أهداف الخير.

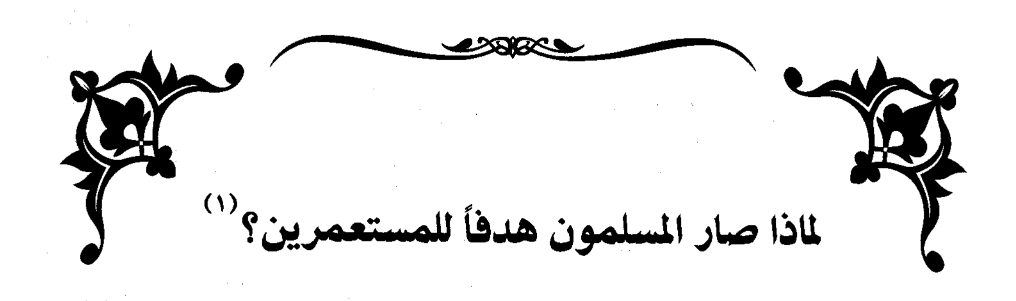
وكما ينبغي أن يجهز الجيش بالدبابات، والمدافع الضخمة، والطائرات النفاثة، والقنابل الذرية، فإن كل هذه المعدات لا تنفعه إن لم يستمد جنوده وضباطه من أمة تربَّت على الصدق، وآمنت بالحق، ووطنت نفسها على محبة الخير. بل إن تجهيز الأمة بسجية الصدق، وتربيتها على الإيمان بالحق، وعلى الإيمان بالخير، هو الذي ييسر لها الأسلحة من كل نوع، والأنصار من كل أمة، وهو الذي يملأ بالهيبة والحرمة لها قلوب الأمم جميعاً.

وهكذا الأخلاق لا تزال معيار الأمم، وهي مفتاح الأماني المغلقة، وهي السبيل إلى استرداد الحقوق، وتيسير السبل إليها.

إن إعداد شباب الجيل بسجية الصدق، وتربيتهم على الإيمان بالحق، وعلى محبة الخير، عنصر من عناصر الإسلام.

ولقد صرنا الآن إلى عهد قام بالأخلاق، وهو في حاجة إلى الاستعانة بجيل يؤمن بالأخلاق. والمصانع المصرية لتربية الأخلاق هي معاهد العلم التي يتوقف عليها نجاح هذا العهد، ويكون لأمتنا منها الجيش الظافر الذي هي بحاجة إليه في مصيرها القريب، وكل يوم تضيعه معاهدنا العلمية، وتحجم فيه عن البدء في مناهجها الصالحة، يكون خسارة على الأمة، وعلى حقوقها. إن الأمر جد، والوقت أثمن من أن يضيع بغير عمل.





لماذا صار المسلمون هدفاً للمستعمرين؟[1]

تفضل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فأدلى بالبيان التالي إلى جريدة «الأهرام»، ونحن ننقله عنها. قال:

إن مصر وجميع أقطار العالم الإسلامي تجتاز الآن دوراً من أعظم أدوار التاريخ، وكلما أدرك أهلها واجبهم، ووطنوا أنفسهم على القيام به، وبذل التضحيات الثمينة في سبيله، عجل الله لهم بثمراته الطيبة، وكافأهم بأضعاف ما كانوا يأملون.

والإسلام قد تكفل لأهله بالتوجيه السليم إلى كل ما يقيم لهم الكيان القوي، والمجتمع الصالح، والدولة العادلة المهيبة. ولو أنهم لم ينحرفوا في العصور الأخيرة عن التوجه الإسلامي في أنفسهم وجماعاتهم وحكوماتهم، لما وجد الاستعمار سبيلاً إليهم، فقد أراد الإسلام لأهله أن يكونوا أقوياء بالإيمان الصحيح، والأخلاق الكريمة، والعمل الصالح، وأقوياء بالاستعداد

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء السابع ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة رجب ـ ١٣٧٢هـ = مارس آذار ١٩٥٣م.

* «جريدة الأهرام» العدد ٢٤٢٢٠ تاريخ ٧ ـ ٣ ـ ١٩٥٣م تحت عنوان: «لماذا صار المسلمون هدفاً للمستعمرين؟ الإسلام يحض على التماسك والترابط والإلفة بين القلوب».

الحربي، والتأهـب دائماً للدفاع عن كيان الأمة وحقوقها. وقد كانوا بالفعل هم أهل العزة في الأرض، والهيبة في عيون الأمم، عندما كانوا منقادين لهذا التوجه الإسلامي، وعاملين به، فلما تهاونوا به في المئات الأخيرة من السنين، وقصروا في الاستعداد من كل نواحيه؛ لتقصيرهم في معرفة الحقوق التي أتاحها الإسلام لهم، والواجبات التي أوجبها عليهم، طمعت دول الاستعمار حينئذ في استعبادهم، واستغلال خيراتهم، وتذرعت بأوهى الأسباب لبسط سلطانها عليهم، وكان ما قد حدثنا عنه التاريخ من استيلاء الهولنديين على جزائر أندونسيا قبل نحو ثلاث مئة سنة، ومحاولة البرتغاليين السطو على سواحل العالم الإسلامي، وتوغل الإنجليز في الهند وغيرها، واستيلاء فرنسا على الجزائر، ثم على بقية شمال أفريقيا. وهذا كله لتقصير المسلمين في معرفة ما لهم من الحقوق، وما عليهم من الواجبات التي بيّنها الإسلام لهم، ثم لتهاونهم في متابعة التوجيه الإسلامي أفراداً وجماعات وحكومات.

ولقد كان رسول الله ﷺ ينظر إلى ذلك بنور الله ﷻ من وراء العصور الكثيرة، ويصدر في بيانه لأمته عن وحي صادق من الله فيما أنذرهم به، وذلك فيما رواه الإمام أحمد في «مسنده» من حديث ثوبان مولى رسول الله، وقد رواه عن ثوبان أيضاً الإمام أبو داود في الباب الخامس من كتاب: الملاحم من «سننه»: أن رسول الله ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت».

فالمسلمون لما وهنت قلوبهم في العصور الأخيرة؛ لإيثارهم توافه الدنيا على المثل العليا، ولتهيبهم الموت في سبيل حقائقهم وحقوقهم، نزع الله حينئذ من صدور الأمم ما كان يملؤها من مهابة المسلمين بسبب ما شاهده من موت هممهم، وانحطاطهم فيما كان أسلافهم يمتازون به من سمو الخلق، وعلو النفس، والغيرة على الحقوق والحقائق، فأصبح المسلمون بسبب ذلك كالغثاء التافه الذي يطفو على سطح الماء في الأنهار ومجاري السيول، وحينئذ طمعت فيهم الأمم المستعمرة، وتداعت لالتهامها كما يتداعى الجائعون إلى التهام الطعام.

ثم كان ما كان من جثوم الاستعمار كالكابوس البغيض على صدور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإن كان المحتل يجد في من ينتمي إلى الإسلام قلوباً يقلبها بأصبعه كما يشاء، وألسنة يحركها في أغراضه كما يريد، فإن تلك القلوب وتلك الألسنة ـ إلا من عصم الله ـ أصبحت مأمورة بالشعور الذي يريها الحقوق رأي العين، ويمنعها من أن تستخدم إلا في صالح المحتل، وتمكنه من احتلال ما شاء.

وفي الأمثال البديعة: أن أشجاراً رأت فأساً ملقى بجانبها، فانزعجت منه، فقالت لها شجرة منهن: لا تخافوا منه، فإنه لا يكسرنا إلا إذا دخل فيه عود منا[1].

---

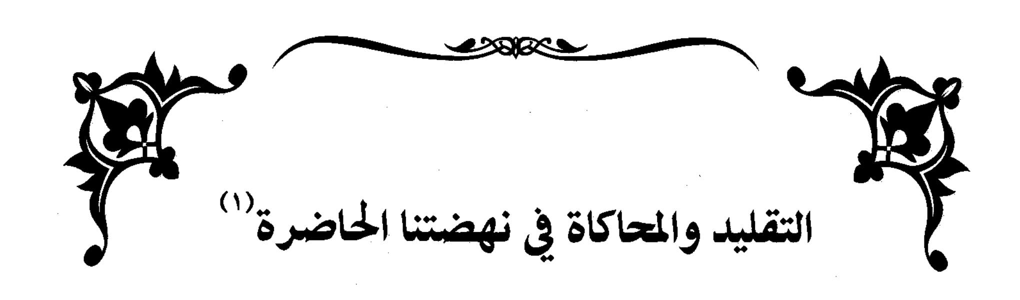
(١) وللإمام محمد الخضر حسين في معنى هذا المثل أبيات بديعة في ديوانه «خواطر الحياة»، وعنوانها: خائنو أوطانهم:

عجـــت يومـــاً بريـــاض أجتنـــي	عبـــراً ممـــا أرى أو أســـمع
فلمحـــت الفـــأس ملقـــاة ومـــن	حولهـــا أعنـــاق دوح خُـــضَّع =

والآن وقد أخذت اليقظة تدب في أرواحنا، وانتشرت الدعوة بيننا إلى معرفة حقوقنا، والاستمساك بها، والتعويل على الدفاع عنها بأي ثمن، فقد أصبح من الواجب على كل فرد منا أن ينتظم في صفوف هذا الدفاع في كل مكان. وقد رأى المسلمون بعد الحرب العالمية الأخيرة كيف أن الله ﷻ كافأ أهل كل قطر إسلامي هب للدفاع عن حقوقه، فوهبه الظفر بأمانيه، والتوفيق بالحصول عليها بأسرع مما كانوا يأملون. وإن قيام دولتي أندونسيا وباكستان أعظم شاهد ملموس في هذه السنوات على صدق ما وعد الله به الذين يجاهدون في سبيل حقوقهم من المسلمين. ومن سنَّة الله في هذه الأمة أن يعلي مقامها، على قدر ما تعرف من حقوقها، وتؤديه من واجباتها. والدنيا كلها بين حق وواجب، وما ضاع حق سعى له أهله من طرقه المعقولة الحكيمة، ولم يخيب الله أمة قامت له بما يجب عليها.



= دوحة تلحظها قائلة ... والأسى ساورها والفزع
هذه قاصمة الظهر متى ... نزلت بالدوح حان المصرع
فأجابت جارة تطفئ من ... روعها والروع نار تلذع
لا يروعنك الحديد الصلب في ... أرضنا ينحط أو يرتفع
فهو ما لم يلق من أعوادنا ... عضداً يسعده لا يقطع
قلت: مرحى حكمة لو ساغها ... خائنو أوطانهم لارتدعوا



التقليد والمحاكاة في نهضتنا الحاضرة[1]

تفضل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، فخص «الأهرام» بهذا المقال الذي ننشره فيما يلي:

نحن الآن في طور من أطوار التاريخ، عزمنا فيه على أن نعالج أسباب ضعفنا، وأن نأخذ ـ إن شاء الله ـ بجميع وسائل القوة؛ لنعود كما كنا أمة صالحة سليمة الاتجاه، سعيدة العيش، محترمة من الأمم، ومتبادلة معها صنوف المصالح والمنافع، ومتعاونة مع الجميع على التقدم بالإنسانية إلى أهدافها العليا.

وأول ما ينبغي لنا تمييزه في معالجة أسباب الضعف، والأخذ بوسائل القوة: أن نكون على بينة مما نأخذ عن غيرنا، وما ينبغي لنا التمسك به من أصولنا ومبادئنا، وما به قوام كياننا.

إن الإسلام يأمرنا أمراً دينياً بأن نكون أمة قوية بأخلاقها، قوية بعلومها النافعة، وصناعاتها التي عليها مدار العمران، قوية باستعدادها العسكري للدفاع دائماً وفي أي لحظة عن كل مالنا من حقوق، وما نؤمن به من حقائق.

فالأخذ بأسـباب القوة من جميع هذه النواحـي، والاضطلاع بالعلوم

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثامن ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة شعبان ـ ١٣٧٢هـ = إبريل نيسان ١٩٥٣م.

اللازمة له من طبيعة وكيمياء، وميكانيكا ورياضة، واقتصاد وإحصاء، فرض لازم على المسلمين؛ لأن دينهم أمرهم بأن يكونوا أقوياء، فأصبح ذلك واجباً عليهم، وكل ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب.

ومما ينبغي لنا في هذه الأمور: ألا نقتصر على المحاكاة والتقليد، بل الواجب أن نعد الأذكياء من أبنائنا وشبابنا للتقدم فيها، حتى يكونوا من أئمتها المبتكرين، وعلمائها المخترعين، وقد وهبهم الله من الألمعية والذكاء وعظيم الاستعداد ما يساعدهم على ذلك في سنوات قريبة ـ إن شاء الله ـ.

هذا هو الجد، وبهذا تتم النهضة، فنأخذ في طريق الفلاح، ونبلغ مقام الإمامة في العلوم، ونتأهل لما وراء ذلك، مما استخلف الله به الإنسانية الكاملة في الأرض.

أما الأمور التي بها قوام كياننا، والعمل بمبادئنا، والرجوع إلى أصولنا، فهذا مما لا يجوز لنا محاكاة غيرنا فيه، بل إن كل أمة تحترم نفسها، وتعتز بكيانها، تترفع عن محاكاة غيرها في أصولها ومبادئها، وإننا لا نزال نذكر ما وقع في إنجلترا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية؛ فإن أعضاء حزب العمال في وزارة (تشرشل) كانوا يطالبون بتجديد الانتخابات النيابية، وكان (تشرشل) يحب أن يتأنى في ذلك، فكتب إلى (مستر أتلي) يقترح أن يستعاض عن تجديد الانتخابات بعمل استفتاء عام، فأجابه (مستر أتلي) بكتاب لا يزال يرن صداه في الآذان حتى اليوم، إذ قال فيه: «إن فكرة الاستفتاء (اختراع أجنبي)، وليس من الخير أن يسمح له بدخول البلاد البريطانية». ولقد كان (مستر أتلي) على حق في هذا؛ لأن كل أمة ذات أصول ومبادئ تتصل بنظامها الخاص بها، وبكيانها الذي تعتز به في تاريخها، لا يجوز لها أن تفرط في أصولها ومبادئها

لتحاكي غيرها في شيء من ذلك، وهذا الاعتزاز بأصول الأمة ومبادئها من مظاهر قوة الأمة، بل هو من وسائل تلك القوة.

أما التفريط في ذلك، والتلون بالألوان الغريبة، فإنه من مظاهر الضعف، ومن وسائله، وهذه الحقيقة الاجتماعية قررها ابن خلدون في مقدمة «تاريخه»، وبرهن عليه، ولا تزال من حقائق الاجتماع إلى الآن، على أنه لو لم يكن هذا من حقائق الاجتماع، فإن الإسلام حتمه على أهله، وألزمهم بالتزامه، وكان أسلافهم أقوياء يوم كانوا ملتزمين به، ولو قيض الله لهذه الأمة علماء من أهل البصائر النيرة، يدرسون ما عندنا من هذه الأصول والمبادئ دراسة علمية بلا تعصب ولا غرض، لتبين لهم أنها هي المبادئ السليمة، والأصول الصحيحة التي تقوى بها الأمة وترقى، وأن التفريط فيها من مدارج الضعف، وأعراض الانحطاط.

ونحن إذا عمدنا إلى التفريط فيها، نكون متناقضين مع أنفسنا فيما نحاوله من أسباب القوة في مرافقنا المادية؛ من زراعية وصناعية، واقتصادية وعسكرية، وغير ذلك؛ إذ لا معنى لذلك إلا الجمع بين أسباب الضعف وأسباب القوة في وقت واحد.

إن هذه القاعدة المزدوجة ـ وهي الأخذ بكل ما وصلت إليه الأمم من علوم القوة والتقدم العمراني وأسبابهما، مع التمسك بالأصول والمبادئ الخاصة بنا، والموروثة عن أسلافنا ـ هي التي ينبغي لنا أن نعمل بها في أنفسنا أفراداً، وفي بيوتنا وأسواقنا ومجتمعنا ودولتنا، فالفرد منا يجهز نفسه وبيته بكل ما يحتاجه مما توصل إليه العلم؛ كالأدوات الكهربائية، والتليفون، وأمثال ذلك، وفي الوقت نفسه يتوقى كل ما لا يتفق مع آداب دينه؛ كاختلاط النساء بغير محارمهن.

وفي مصانعنا نستعين بكل ما وصل إليه العلم من آلات دقيقة وسريعة؛ لننافس الأمم بتقدمنا وجودة إنتاجنا، وفي الوقت نفسه نتعامل مع عمالنا وعملائنا بكل ما أرشد إليه ديننا من رفق وتراحم، وتعاون وإخلاص وأمانة، وحفظ للمواعيد، وتمسك بالعهود، وتجنب لنقيصتي البخل والإسراف، والمحاباة والإجحاف.

وفي مجتمعنا نتحرى المبادئ والقواعد الخاصة بنا في كل ما نحاوله من تنظيم وعمل، مع ما نحرص عليه من أسباب القوة والتقدم والنجاح؛ ليتصل حاضرنا بماضينا، ولنكون به قدوة لمن يأتي بعدنا من الأجيال.

إن النهضة التي تقوم على هذين الأساسين هي النهضة الصادقة الثابتة الخطا، الوثيقة الدعائم، وهي التي تتقبلها الأمة بالاستبشار؛ لأنها توافق مصلحتها، وتتفق مع راحة ضمائرها، وتكون بذلك عبادة؛ لأنها جمعت بين سعادة الدنيا، وفضائل الدين.

أما الذين يشغلون الأمة عن سعادة الاستعداد للنهوض بالتعرض لأمور تراها الأمة ماسة بأصول ومبادئ عزيزة عليها، وهي في الوقت نفسه لا دخل لها فيما نحن آخذون به للنهوض بالمرافق الصناعية والزراعية والعسكرية؛ كمحاولة محاكاة الأمم الأجنبية في نظام الأسرة، وشؤون الزواج، والأمور الشكلية؛ كالأزياء وما إليها، فإن ذلك كله ليس من مصلحة الوطن، ولا خير فيه لهذه الأمة، وهي في هذا الطور العظيم من أطوار نهوضها وتقدمها.

ومما ينبغي لجمهور الأمة أن يكون على علم به: أن كل ما طرأ علينا من عدوى أجنبية في حياتنا الاجتماعية؛ كالإضراب عن الطعام احتجاجاً على أمر من الأمور، أو الإضراب عن العمل لاختلاف بين العمال وأصحاب الأعمال،

فإنه مما لا يليق ببلد إسلامي ؛ لأن الإضراب عن الطعام انتحار، والانتحار يسخطه الله، وصاحبه يبتعد عن حياة الدنيا وحياة الرضا في الآخرة، والإضراب عن العمل قتل للوقت، وسخط للرزق، وتعطيل لمصالح الأمة، وما دامت أبواب العدل مفتوحة، ومرافق الدولة مستعدة للنظر في الشكاوى، والتوفيق بين المصالح، فذلك هو الطريق للوصول إلى الحقوق العادلة، وإن هذا الشرق الإسلامي في حاجة إلى أن يأخذ عن غيره أسباب القوة، لا وسائل التعطيل والانتحار، ومن أدق موازين الحكم على الوعي القومي، والنضوج الاجتماعي: مراقبة ما تأخذه الأمة عن غيرها من خير، وما تتجنبه مما لا خير فيه، ونحن اليوم في هذا الطور من أطوار التاريخ، والتاريخ يراقبنا في هذا الامتحان ليرى ما نأخذ وما ندع.





الأزهريون والتدريبات العسكرية(١)

زخرت إدارة المعاهد الدينية بجماهير حاشدة من العلماء والطلاب الأزهريين، وقد قابلوا فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، وذكروا لفضيلته رغبتهم في الانضمام إلى التدريبات العسكرية التي تنتظم في هذه الأيام طوائف الأمة على بكرة أبيها، وقالوا: إنه يجمل بهم أن يكونوا في مقدمة تلك الطوائف مراناً على حمل السلاح للجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن، وقد استمع فضيلة الأستاذ الأكبر لرغباتهم، ثم ذكر: أن ما يرغبون فيه واجب مقدس في سبيل الوطن، وعليهم أن لا يدخروا جهداً في سبيل الانضمام إلى معسكرات التدريب، وأن يكسبوا من المران على حمل السلاح وغيره من أدوات الجهاد ما يكفيهم في ميدان الدفاع عن الوطن.

وقد رأى مندوب «الأهرام» أن يرجع إلى فضيلته؛ ليقف على رأي الإسلام في هذه التدريبات العسكرية، فقال فضيلته:

الدفاع عن الوطن ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائض عباداته، وإن الاستعداد له، والتمرن على حمل السلاح، وحسن استعماله؛ للقيام بذلك عند الحاجة، معدود من لوازم هذه الفريضة، والعلماء مطالبون بالعمل به

(١) مجلة «الأزهر» الجزء التاسع ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة رمضان ـ ١٣٧٢هـ = ماي أيار ١٩٥٣م.

كغيرهم من سائر المسلمين، بل قبل غيرهم من إخوانهم أفراد الأمة، ولذلك كان علماء الصحابة أسبق الناس إلى ساحات الجهاد، وأولهم استعداداً له، ومبادرة لإجابة دعوة الداعي إليه.

ولما استعر القتال باليمامة[1] وغيرها أيام فتنة الردة، كان علماء الصحابة، وحملة كتاب الله في طليعة المجاهدين والشهداء، ولذلك بادر الصحابة إلى جمع القرآن وكتابته؛ لئلا يضيع شيء منه مع حُفَّاظه من علماء الصحابة الذين كانوا أسرع من غيرهم إلى نيل مقام الشهادة في سبيل الله.

وما من حرب نشبت في صدر الإسلام إلا كان علماء الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان في طليعة المجاهدين، وأسماؤهم في السطور الأولى من قائمة الشهداء، ومواقفهم في ساحات القتال، وعلى الحدود، وفي الثغور معلومة مشهورة.

ولما فتح المسلمون صقلية[2] سنة ٢١٢هـ، كان قائد أسطولها، والرئيس الأعلى لجيوش الفتح البرية والبحرية إماماً من أئمة الفقه، وقاضياً من قضاة الشرع، هو الإمام أسد بن الفرات تلميذ الإمام مالك بن أنس، والإمام محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة، وطبقتهما، فهو الفاتح الأول لهذه الجزيرة الإيطالية المنيعة التي نعمت بسببه بالحكم الإسلامي الرحيم زمناً طويلاً، فكان

---

(١) بلاد وسط الجزيرة العربية من مقاطعات نجد، ويقال: إن الاسم يرجع إلى زرقاء اليمامة الرائية الشهيرة، سكنها بنو جديس في الجاهلية، ثم بنو حنيفة بن لجيم الذين اعتنقوا الإسلام.

(٢) جزيرة في البحر المتوسط لا يفصلها عن أوربة إلا مضيق مسينا، دخلها أسد بن الفرات على رأس الجيش في ربيع الأول سنة ٢١٢هـ.

فاتحها الفقيه الإمام الكبير من أبرع حملة السلاح بيمينه التي اشتهرت قبل ذلك بتدوين أحكام الشرع وبتبيين آداب الإسلام وسننه الرفيعة.

واستشهد أبو الربيع الكلاعي في واقعة أثيجة بالأندلس، وهو يتقدم الصفوف، وينادي بالجند: أعن الجنة تفرون؟ حتى قتل صابراً، وكان حافظاً للحديث، مبرزاً في نقده. وقال ابن خلدون في «مقدمته»: ربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف.

وكان القاضي يحيى بن أكثم يخرج أيام المأمون بالطائفة إلى أرض الروم، وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرحمن الناصر من بني أمية بالأندلس.

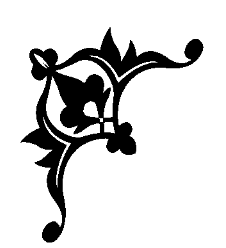
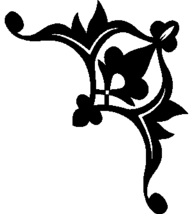
هكذا كانت حال علماء الإسلام في كل عصر ومصر، وعندما حشد صلاح الدين الأيوبي الجيوش الإسلامية سنة ٥٨٣هـ لقمع الصليبيين، وإجلائهم عن فلسطين، كان في جحافله عدد لا يحصى من العلماء والفقهاء، والصالحين، نذكر منهم: الإمام موفق الدين عبدالله بن قدامة المقدسي مؤلف أجود الكتب وأشهرها في الفقه الحنبلي، وأخاه الأكبر الشيخ أبا عمر مؤسس المدرسة العمرية الشهيرة في سفح جبل قاسيون بدمشق وكانت لهما ولتلاميذهما في معسكر صلاح الدين خيام تتنقل مع الجيش من معركة إلى معركة، ومن نصر، إلى نصر حتى ختم الله ذلك الجهاد بموقعة حطين الفاصلة التي انتهت بإخراج جميع الأوربيين من فلسطين.

ولما عظم البغي من وثنيي التتار، وزحفت جيوشهم على الشرق العربي، كان الإمام تقي الدين بن تيمية هو معلن النفير بالجهاد العام، وهو الذي قدم من الشام إلى مصر لاستنفار حكومتها وشعبها وجيشها للاشتراك في الدفاع، وكان ابن تيمية في تلك الحرب أول شاهر بالسيف مقاتل به، على ما هو معروف

من سيرته، فكان بذلك من أعلام المجاهدين بالسيف، كما كان من أعلام المجاهدين بدروسه ومؤلفاته.

إن جهاد علماء المسلمين في كل كتيبة خاضت غمرات الحرب استمر من صدر الإسلام في كل عصوره، حتى في العصور المتأخرة اشتهر جهاد الإمامين الشهيدين: السيد أحمد بن عرفان من تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي، وصنوه الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي؛ فقد قاما في الهند على رأس جيش من المسلمين في الدفاع عن حياة الأمة ببسالة منقطعة النظير إلى أن نالا مقام الشهادة في سبيل ذلك، وهما من العلماء الأعلام في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، فكان جهادهم امتداداً لما سبقهم إليه أئمة الإسلام وعلماؤه من أقدم عصوره، وكانوا في ذلك المثل الأعلى لجهود المسلمين في التضحية والجهاد، وحفظاً للأوطان، وإرضاء للرحمن، وعلى غرار هؤلاء الأسلاف يسير العلماء وطلبة العلم الإسلامي في مصر وغيرها، كلما دعاهم داعي الجهاد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.



الإسلام لا يقر المحسوبية[1]

إن عناية الإسلام بالناحية الخلقية للفرد والجماعة من أبرز النواحي التي تناولتها نصوصه؛ لأن من أكبر مقاصده: تكوين الأمة الصالحة، وأول وسائل ذلك: تقويم أخلاق أفرادها وجماعاتها، وحسن توجههم إلى كل ما يرضي الله ﷻ من مكارم الأخلاق، لذلك كانت المحسوبيات والوساطات للتوصل إلى المقاصد من غير استحقاق لها في مقدمة ما قاومه الإسلام، وصان أهله عن الانزلاق فيه. ولو لم يكن منع الإسلام للوساطات والمحسوبيات داخلاً في رسالة الإسلام الخلقية التي قال فيها الرسول ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فإنها داخلة في إقامة الحق الذي هو ركن عظيم من أركان الإسلام، وقد سماه الله ﷻ: ﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾[التوبة: ٢٩] في مواضع متعددة من كتابه الحكيم.

وأي غمط للحق أكبر من إيثار امرئ بما لا يستحقه من المنافع أو المناصب لأنه محسوب لجهة لا يمت إليها آخر هو أكثر استحقاقاً وأهلية لتلك المنفعة، أو ذلك المنصب؟ وأي غمط للحق أعظم من أن يحابى امرؤ في درء حد من حدود الله عنه، أو إعفائه من حق وجب عليه؛ رعاية لجهة قوية

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء التاسع ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة شوال ـ ١٣٧٢هـ = جوان حزيران ١٩٥٣م.

ينتمي إليها، أو وساطة ذي مكانة ما كان لولاها ليعفى من القيام بالحق الذي وجب عليه؟.

وأكثر المسلمين يحفظون في ذلك موقف النبي ﷺ من المرأة المخزومية التي سرقت، فخاطبت قريش أسامة بن زيد؛ ليكلم رسول الله ﷺ في إسقاطه الحد عنها، فقال ـ صلوات الله عليه ـ: «أتشفع في حد من حدود الله؟!»، ثم أتى المسجد، فخطب خطبته المشهورة التي قال فيها: «أيها الناس! إنما هلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم، تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم، أقاموا عليه الحد، وايم[1] الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها».

ومن هذا الينبوع أخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المبدأ الإسلامي العظيم الذي قرره في رسالته إلى أبي موسى الأشعري واليه على البصرة، فقال له فيها: «آس بين الناس في مجلسك، وفي وجهك، وفي قضائك؛ حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييئس ضعيف من عدلك».

ثم مضى على هذا المبدأ أئمة المسلمين وولاتهم وقضاتهم، وقد رأس القضاء بأجمعه في الفسطاط[2] عاصمة الوطن المصري، عظيمٌ من فقهاء الإسلام، وهو إبراهيم بن أبي بكر الأجنادي، فكان مما قال مترجموه في وصفه: «كان لا يقبل وساطة ولا شفاعة، بل يصدع بالحق، ولا يولي إلا مستحقاً».

وإبراهيم بن إسحاق قاضي مصر ذكروا في ترجمته: أنه حكم في قضية

---

(١) اليمين، يقال: يمين الله، وأيمُن الله، وأيمُ الله.

(٢) أول مدينة أسسها العرب في مصر، بناها عمرو بن العاص بين النيل وتلال المقطم نحو ٦٤٣هـ، وبنى فيها مسجداً وداراً للإمارة.

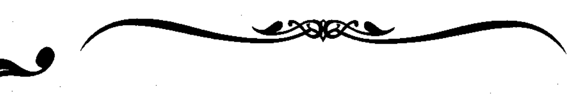
لرجل على آخر، وكان المحكوم عليه قريب الصلة بالأمير، فتشفع المحكوم عليه بالأمير ريثما يصطلح المتقاضيان. فما كان من القاضي إبراهيم بن إسحاق إلا أن أقفل باب المحكمة، وترك القضاء، وذهب إلى منزله، فأرسل إليه الأمير يسأله الرجوع قائلاً للقاضي: إني لا أعود إلى الوساطة في شيء أبداً، وليس في الحكم شفاعة.

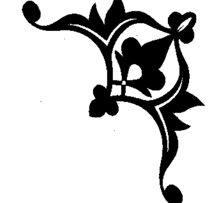
ومن المعلوم في أحكام الفقه الإسلامي: أن الحاكم ليس له أن يشير على الخصوم بالصلح إلا إذا لم يتبين له الحق.

وقد بقيت هذه الأخلاق في علماء المسلمين حتى أيام الدولة العثمانية، فقد ذكر التاريخ: أن السلطان بايزيد حضر إلى المحكمة بين يدي شمس الدين محمد بن حمزة الفناري قاضي القسطنطينية ليشهد في قضية رفعت إليه، فما كان من القاضي الفناري إلا أن رد شهادة السلطان، ولم يقبلها، ولما سأله السلطان عن وجه ردها، قال له: إنك تارك للصلاة مع الجماعة، فبنى السلطان في الحال جامعاً أمام قصره، وعين لنفسه موضعاً فيه، ولم يترك صلاة الجماعة بعد ذلك.

فالمسلم الذي يأمره إسلامه برد شهادة شاهد لسبب من الأسباب، فيرد شهادته، مع أنه صاحب السلطان المطلق عليه، لا شك أنه ذو دين قد ربي أهله على إقامة الحق في كل الظروف، وعلى ألا ينحرف أحد منهم عن الحق لأية عاطفة من عواطف الحب والبغض، والرغبة والرهبة.







الجهاد أعلى مراتب العبادة[1]

أعد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بياناً في توضيح مراتب الجهاد في الإسلام، وتبيان نظامه العسكري في زمن النبي محمد ﷺ، وكيف أنه كان يستعرض بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام، وكيف كان يعُدُّهم وهم في الحول الخامس عشر رجالاً مكلفين بأداء ضريبة الدم، ويجيز لهم حمل السلاح تحت إشراف القيادة، ونحن ننشر هذا البيان فيما يلي:

الرسالة الإسلامية رسالة (سلام)، ومنه اشتق الله اسم (الإسلام)، غير أنها قبل أن تكون رسالة سلام، كانت رسالة (الحق)، ومن تمام رسالة الحق: حمايته.

وقد جمع الله سبحانه بين هاتين الحقيقتين في آيتين متعاقبتين من سورة الأنفال، فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾[الأنفال: ٦٠]، ثم قال بعدها:

﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[الأنفال: ٦١].

فالحق والسلم هما غاية الإسلام، ولما كان من دأب الإنسانية أن أهل الحق معرضون فيها دائماً لبغي أهل الباطل عليهم، وطمعهم فيهم، واعتدائهم

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء التاسع ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة رمضان ـ ١٣٧٢هـ = ماي أيار ١٩٥٣م.

على حقهم، فقد أمر الله أهل الحق بالاستعداد لحمايته بكل ما في طاقتهم، وبكل ما يصل إليه العقل البشري، والعلم الإنساني من وسائل القوة وفنونها، وأنظمتها وصناعاتها، بحسب ما تقتضيه حاجة العصر، وعلى قدر ما تمس إليه الحاجة.

وبالفعل صار هذا (الاستعداد) من آداب الإسلام، ومن شيمة المسلمين.

لقد كان من نظام الإسلام العسكري في زمن النبي ﷺ: أن يستعرض النبي بنفسه أبناء المسلمين مرة في كل عام، فمن بلغ منهم الخامسة عشرة، عدّه من الرجال المكلفين بضريبة الدم، وأجازه ليحمل السلاح تحت إشراف القيادة، وأمره بالاستعداد لإبراز نشاط رجولته، ومن كان دون الخامسة عشرة، ردّه إلى أن يبلغ هذه السن، وكان غلمان المهاجرين والأنصار يتنافسون في هذه الشهادة لهم بأنهم صاروا رجالاً، وأنهم نالوا شرف الانخراط في سلك المجاهدين، ويحزن الغلام منهم أشد الحزن إذا أرجئ إلى سنة أخرى، حتى إن سمرة بن جندب لما ردّه النبي ﷺ؛ لأنه لم يبلغ الخامسة عشرة، قال له: يا رسول الله! أجزت فلاناً، ورددتني، ولو صارعني، لصرعته! فتبسم ﷺ وقال له: «صارعه»، قال: فصارعته، فصرعته، فأجازني!.

وهكذا كان المسلمون أمة دفاع وكفاح، وجهاد وتحرير، من يوم يبلغون الحلم إلى أن يلقوا الله. فهم في حربهم أمة عسكرية لا يتخلى فيها عن ضريبة الدم أحد من عالم، أو تاجر، أو سري، أو عامل، أو زارع، إلا أن تشغله الدولة في جهاد آخر هو من لوازم الجهاد العام، وفي حالة السلم يتمرنون باستمرار على فنون الحرب واستعمال السلاح.

روى البخاري في «صحيحه» من حديث سلمة بن الأكوع: أن النبي ﷺ

خرج على نفر من قبيلة أسلم وهم ينتضلون (أي: يترامون بالسهام على سبيل التمرين)، فقال لهم: «ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان»، فلما قال ذلك، أمسك الفريق الآخر عن الرمي، فقال لهم: «ما لكم لا ترمون؟»، قالوا: كيف نرمي وأنت معهم، قال: «ارموا وأنا معكم كلكم».

وفي كتب السنن من حديث عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ قال: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه، والرامي به، والممد به ـ أي: الذي يناول الرامي النبل للرمي به ـ»، ثم قال: «ارموا، واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إلي من أن تركبوا، كل لهو باطل إلا ثلاثاً: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله. ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها».

وفي «صحيح مسلم» من حديث عقبة بن عامر أيضاً: أن فقيماً اللخمي قال له: تختلف بين الغرضين ـ أي: بين الهدفين اللذين تسدد السهم نحوهما ـ وأنت شيخ كبير يشق عليك؟ فقال له عقبة: لولا كلام سمعته من رسول الله ﷺ، لم أعانه، سمعته يقول: «من علم الرمي ثم تركه، فليس منا».

وفي «صحيح البخاري ومسلم»، وغيرهما من حديث عروة بن الجعد: أن النبي ﷺ قال: «الخيل معقود في نواصيها الخير ـ الأجر والمغنم ـ إلى يوم القيامة».

وفي «سنن أبي داود» من حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب: أن النبي ﷺ كان يضمر الخيل يسابق بها.

والاستعداد للجهاد من تمام الجهاد. بل هو كالسلاح، عنصر أساسي

من عناصره، وممارسة الاستعداد بنية الجهاد عبادة كعبادة الجهاد؛ لأن المجاهد إذا لم يستعد للجهاد بالتمرين، وممارسة استعمال السلاح، لا يقوى على هذه المهمة عند الحاجة إليها.

والمسلمون الأولون كانوا دائماً على قدم الاستعداد لكل طارئ حربي، فلم يستطع عدو أن يفاجئهم بسوء وهم على غرة.

وإن النبي ﷺ كان مفطوراً على اليقظة للطوارئ ، وهو أعظم استعداداً لاستقبالها منهم جميعاً.

روى البخاري ومسلم، وأصحاب السنن، ومؤلفو كتب السيرة النبوية: أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة لصوت استغاثة سمعوه، فانطلق ناس منهم إلى جهة الصوت، فما راعهم إلا أن رأوا النبي ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى جهة الصوت، واستبرأ الخبر على فرس عُرْي لأبي طلحة، والسيف في عنقه وهو يقول: «لن تراعوا».

وتنظيم الصفوف عند القتال، وفي التمرين للاستعداد له من أعظم القربات عند الله. والنبي ﷺ كان يقوم به بنفسه، ويندب له خاصة رجاله.

وقد ذكر الإمام أبو منصور الماتريدي وغيره في تفسير آية: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران: ١٢١]: أنها تشريع في تعاهد ولاة الأمر أحوال الجند، وتنظيمهم، ودفع الخلل والضياع عنهم، وأن على الأمة طاعة الأئمة في هذا التنظيم.

وللإمام أبي الوليد الطرطوشي فصل في تفصيل ذلك بحسب نظام الجند في زمانهم، وهو في كتاب «سراج الملوك»، وهو يقول: إن على كل أمة إسلامية أن تقوم بالتنظيم العسكري اللائق بزمانها. ونقل قول الحكماء:

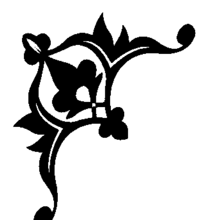
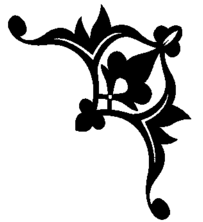
«الملك بناء، والجند أساسه، فإذا قوي الأساس، دام البناء، وإذا ضعف الأساس، انهار البناء».

وكل الذي تقدم خاص بالاستعداد والتمرين في زمن السلم، أما الجهاد عند وقوع الحرب، فهو أعلى مراتب العبادة في الإسلام، والنصوص على ذلك تملأ الكتب.

روى البخاري ومسلم من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات ربه لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع».

وروى البخاري من حديث عبدالله بن عباس: أن النبي ﷺ قال: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله، فتمسه النار».



الاستعمار يقرب من نهايته[1]

خاض الغرب معركة استعماره للشرق في القرنين الماضيين مستعيناً بما كان يسود ظروف تلك المعركة من متناقضات. فالغرب كان قد أخذ يستنير بمعارفه المادية، ويقوى بآلاته الصناعية، وأنظمته المبتكرة، وأسلحته الجديدة. غير أن لجج الظلام كانت قد بدأت تغمره بنزعات الإلحاد والتحاسد، والجشع والبغي، والفراغ السياسي من الدافع الأعلى، كما يقول المؤرخ (ولز)، بينما الشرق كان قد أخذ ينحط بضعف حكوماته، وتخلفها وتقاطعها، وإن كانت شعوبه لم تزل يومئذ ممتازة ببقية كريمة من الأخلاق النبيلة؛ كالقناعة، والتراحم، والأمانة، والثقة، حتى لقد شهد (المسيو جومار) أحد مهندسي الحملة الفرنسية على مصر بأنه رأى بعينه الغلال وبضائع التجار تكدس على ساحل النيل في فرضة بولاق التي كان فيها جمرك القاهرة، فلم يكن يمسها أحد بسوء ليلاً ولا نهاراً، مع أنها متروكة في العراء بلا حراسة ولا خفراء.

فالاستعمار كان في القرنين الماضيين بغياً من القوة المادية على شعوب ذات فضائل وأخلاق، منتهزاً فرصة الضعف الذي دب إلى حكومات تلك الشعوب الطيبة الأعراق، الآمنة في أوطانها، السعيدة بقناعتها وأمانتها وتراحمها.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء العاشر ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة شوال ١٣٧٢هـ ـ جوان حزيران ١٩٥٣م.

وكان الغرب يمنّ على الشرق في استعماره؛ بأنه حمل إليه الحضارة والنظام والمعارف، وهو لم يحمل إليه من الحضارة إلا قشورها، ومن النظام إلا ما يجعل الشرق آلة في يد الغرب، ومن المعارف إلا ما يستعمر به القلوب والعقول بعد استعمار الأرض وخيراتها، وبذلك كان الغُنم في كل هذه الأمور للمستعمر، وغُرمها على الشعوب التي رُزئت باستعماره بلادها، واستغلاله كنوزها وخيراتها.

هذه هي قصة استعمار الغرب للشرق في سيرة هولندا مع الأندونسيين، وفي سيرة إنجلترا مع الهنود، وسكان ملايو، والمصريين، والسوادنيين، وفي سيرة فرنسا مع الجزائريين، والتونسيين، والمراكشيين.

إن استيلاء فرنسا على الجزائر مثال من أمثلة التاريخ على الظروف المتناقضة التي نشأ عنها الاستعمار، فالشعب الجزائري كان يومئذ من أقوى شعوب الأرض بأخلاقه وحيويته، بينما حكومة الجزائر التي كانت تتولى أموره كانت من أفسد الحكومات في الأرض، وأضعفها وأحمقها، والمستعمر كان يستعد قبل ذلك طويلاً للبغي على الجزائر، ويتخذ لذلك مختلف الذرائع التي تنافي الدافع الأعلى.

فلما وقعت الواقعة، خارت قوى القائمين بالحكم على الجزائر، وتخلفت الحكومة العثمانية التي كانوا تابعين لها من أن تؤدي واجبها في هذا الموقف، وهنا تجلت حيوية الشعب الجزائري وأخلاقه، فنظم صفوف جهاده بقيادة الأمير عبد القادر، وظل يجاهد ببطولة منقطعة النظير مدة ثمانية عشر عاماً، ومن ذلك الحين إلى الآن والحوادث تبرهن على ضعف المستعمر الأدبي، وفراغه السياسي من الدافع الأعلى، وعلى قوة الشعب الجزائري الأدبية، وحيويته في

مقاومة ما لا يستطيع مقاومته إلا أعظم الأمم بطولة من صنوف البغي الاستعماري الذي لا يجنح إليه إلا أضعف الدول في أخلاقها ومبادئها الأدبية.

وقِس على حيوية الجزائر حيوية جارتها في الشرق والغرب، تونس، والمغرب الأقصى، ولو أن مؤرخاً من الحكماء أمثال (فولتير، وجيبون، وولز) أراد أن يقارن بين قوة فرنسا وضعفها في بداية استعمارها لشمال أفريقيا ونهايته، وبين قوة المغاربة وضعفهم بين تلك البداية والنهاية، لحكم مطمئناً بأن فرنسا اليوم تعاني في شمال أفريقيا أعراض الاضمحلال بالنسبة إلى ما كانت عليه في سنة ١٨٣٠م. بينما ضحايا بغيها من المغاربة لم يزدهم البغي إلا قوة وحيوية، وقد استيقظوا من غفلتهم، وتخلصوا من ضعف حكوماتهم، وأصبحوا من نتائج الفوز والفلاح قاب قوسين أو أدنى.

وما يقال عن فرنسا في شمال أفريقيا يقال مثله عن الهند التي شاهدنا بأعيننا، وشاهد التاريخ معنا عواقبَ الاستعمار البريطاني فيها، واضطراره إلى الانسحاب من تلك الربوع، وازدهار الحيوية في باكستان والهند، حتى صارت منهما دولتان من كبريات الدول، وشاهدنا كذلك عاقبة الاستعمار الهولندي في أندونسيا، بعد أن رسخت أقدامه فيها ٣٠٠ سنة، فاضطر أخيراً إلى التسليم بالأمر الواقع.

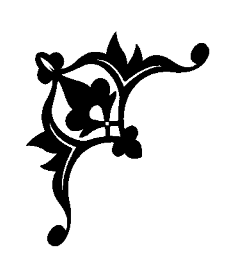
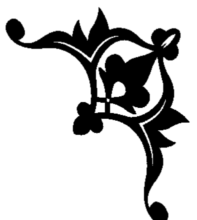
لقد شب عمرو عن الطوق، بل لقد استيقظ العملاق من نومه، فأخذ يبحث عن مكانه اللائق بين الأمم، وإن الحوادث المتكررة برهنت على أن اعتماد الاستعمار على قوته المادية لا تجديه نفعاً، وأنه إنما أتي من ناحية ضعفه الأدبي؛ لأنه قائم على البغي، وآخر الشواهد على ذلك: هذه المؤامرة الاستعمارية على إخراج نحو تسع مئة ألف فلسطيني من وطنهم الذي هم

أصحابه منذ دهور، وتشريدهم في العراء لإحلال أجانب غرباء في أرضهم وأملاكهم الشرعية، ومثل هذه المؤامرة لا يمكن أن يرضى بالاشتراك فيها إلا الذين يعيشون في فراغ سياسي من الدافع الأعلى، كما يقول المؤرخ (ويلز)، والاستعمار الذي يعيش في هذا الفراغ المخزي لا شك أنه اليوم أضعف مما كان في بداية بغيه قبل مئة سنة.

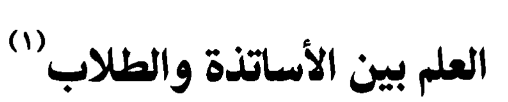
أما فريسة الاستعمار التي وقعت فيما مضى بين يديه بسبب ضعف حكوماتها المتهافتة، وأخذت تنقه من الضعف الذي جرتها إليها تلك الحكومات، وقد نهض فيها رجال يحسنون التعاون مع شعوبهم، ولا شك أن يقف الجميع معاً أمام الاستعمار الضعيف موقف المؤمن بحقه، الحازم في دفاعه عنه، المصمم على التخلص من هذا العدو الذي أنهكه جشعه.

وإني أقدم لأمتي النصيحة مخلصاً؛ بأن أقوى أسلحتها لمقاومة الاستعمار إنما هو الأخلاق، والدين هو الذي يهدي إلى مكارم الأخلاق، وإذا كان على ولاة الأمور أن يفكروا في توفير أسباب القوة المادية، وتنظيم استعمالها، فإن على كل فرد من أفراد الأمة أن يتسلح بالأخلاق، وأن يتعامل بها مع أفراد أمته، وأن يعلم أن أعظم رسالات الله، وأكملها، إنما جاءت للتعامل بمكارم الأخلاق.



العلم بين الأساتذة والطلاب[1]



في هذه الفترة بين عام دراسي أوشك أن ينقضي، وبين عام جديد يستقبله المدرسون والطلبة بعد أشهر الاستجمام، رأيت أن أتحدث إلى إخواني مدرسي المعاهد وأبنائهم الطلبة بما ينبغي للفريقين أن يطيلوا التأمل فيه، عندما يفرغون من فترة الاستجمام؛ استعداداً لاستئناف عهد جديد في الحياة الدراسية.

إن أجمل ما فهمه المسلمون من معاني (العلم) قول أبي حامد الغزالي فيه: إنه عبادة القلب، وصلاة السر، وقربة الباطن إلى الله، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر من الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق.

وهذا الفهم الجميل لمعنى العلم في الإسلام، إذا كان ينبغي لمدرسي المعاهد الأزهرية وطلبتها أن يجعلوه دستوراً لهم في حياتهم الدراسية في جميع المعاهد، فإن أولى ما ينبغي لهم أن يتخذوه دستوراً في هذا العهد الذي أخذ يتجدد فيه نظر الأمة إلى جميع أوضاعها؛ استعداداً لاستئناف حياة سعيدة مباركة

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء العاشر ـ المجلد الرابع والعشرون ـ غرة ذي القعدة ـ ١٣٧٢هـ جويليه تموز ١٩٥٣م.

النتائج، ويانعة الثمرات ـ إن شاء الله ـ.

من المأثور عن رسول الرحمة ﷺ: أنه كان يقول لأصحابه ـ وهم الطبقة الأولى من طلبة العلم في تاريخ الإسلام ـ: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده».

وإن المدرس في المعاهد الإسلامية ينبغي له أن يستقبل سنته الدراسية المقبلة بهذه الروح العالية، وبهذا الأدب الإسلامي الرحيم، فيكون لطلبته مثل الوالد مع الولد.

روى الذين دونوا ترجمة الإمام الفاتح أسد بن الفرات: أنه لما كان يأخذ العلم عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة، كان الإمام محمد بن الحسن إذا رأى تلميذه أسد بن الفرات غلب عليه النوم، وهو يسهر في تلقي العلم عنه، نضح على وجهه رشاشاً من الماء؛ ليجدد له نشاطه؛ شفقة عليه، ورغبة منه في أن ينهض إلى مستوى الإمامة في العلم. ولولا أن محمد ابن الحسن تأدب بأدب الإسلام، وعمل بالمبدأ المحمدي في أن يكون لتلميذه كما يكون الوالد لولده، لانتهز فرصة غلبة النوم على تلميذه، وأرجأ الدرس إلى الليلة الثانية، هذا ما نعلمه من مقام الإمام محمد بن الحسن في الدولة، وكثرة أعماله العلمية، لكنه لما كان يعلم أن من أدب الإسلام أن يكون التلميذ بمنزلة الولد من الوالد، التزم مع أسد بن الفرات هذا الأدب الرحيم، وكان من نتيجته: نبوغ أسد بن الفرات، وقيامه للملة الإسلامية بما لا يقوم بمثله إلا أفذاذ النوابغ من صفوة البشر.

وهذا الشيخ ابن التلمساني، أحد كبار علماء شمال أفريقية سأله السلطان عن مسألة، فقال: إن تلميذي فلاناً يحسن الجواب عنها، فوجه السلطان السؤال إلى تلميذ ابن التلمساني، فأحسن الجواب، فأجازه، وأحسن منزلته، وكان ابن

التلمساني أعلم من تلميذه فيما سأله عنه السلطان، لكنه لاعتباره تلميذه بمنزلة ولده، أراد أن ينوه به في حضرة السلطان كما لو كان ولده حقاً.

والطلبة في دستور الإسلام عرفوا كيف يقابلون هذا العطف الأبوي من أساتذتهم بما يكافئه من حرمة ومحبة وإجلال.

ومن أقدم الأمثلة على ذلك: ما رواه الشعبي: أن زيد بن ثابت صلّى على جنازة، ثم قربت إليه بغلته ليركبها، فبادر إليه عبدالله بن عباس، فأخذ بزمام البغلة ليساعده على الركوب، فقال له زيد: خلِّ عنه يا ابنَ عم رسول الله، فأجابه ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء.

وقد حافظ ذرية ابن عباس على هذا الأدب من التلاميذ نحو أساتذتهم، بعد أن صار بنو العباس ملوك الدنيا، فقد نقل برهان الإسلام الزرنوجي، في كتاب «تعليم المتعلم»، وهذا الكتاب ترجمه (رولاند) إلى اللغة اللاتينية، وطبعه في مدينة «أوتراخت» بألمانيا قبل نحو مئتين وخمسين سنة: أن أمير المؤمنين هارون الرشيد بعث ابنه إلى الأصمعي؛ ليعلمه العلم والأدب، فرآه يوماً يتوضأ، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعتب الخليفة على الأصمعي؛ لأنه لم يأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه، ويغسل رجل أستاذه باليد الأخرى، ورأى أن تقصير ابنه في ذلك تقصير في أدب التلميذ مع أستاذه.

وروى الزرنوجي في هذا الكتاب أيضاً عن شيخه برهان الدين، صاحب «الهداية»: أن أحد كبار أئمة «بخارى» وهو في حلقة درسه في المسجد رأى ابن أستاذه يمر أمام باب المسجد، فقام له؛ تعظيماً لحق أستاذه.

وقد علمنا من سيرة ابن خلدون: أنه لما رزئ بوفاة كبار شيوخه، «وكان منهم: قاضي القضاة محمد بن عبد السلام، والرئيس أبو محمد الحضرمي،

والعلامة محمد بن إبراهيم الأبلي، ضاق به وطنه، فترك مقامه الوجيه الذي وصل إليه في قصر الإمارة، ورحل عن تونس إلى الجزائر والمغرب الأقصى؛ لأن مقام أساتذته كان في نفسه فوق كل مقام.

وهذه المحبة الصحيحة التي يكنها التلميذ لأستاذه هي التي حملت العالم أحمد بن القاضي على أن يقول في شيخه المنجوري: «وصارت الدنيا تصغر بين عيني، كلما ذكرت أكل التراب للسانه، والدود لبنانه».

ومن ذلك قول ابن عرفة:

إذا لم يكن في مجلس الدرس نكتة ... وإيضاح إشكال بأحسن صورة

الأبيات، فيجيبه تلميذه الأُبِّي بقوله:

يميناً بمن أولاك في العلم رتبة ... وزان بك الدنيا بأحسن زينةِ

لمجلسك الأعلى كفيل بكلها ... على حينما عنه المجالس ولَّتِ

ووقت خروج جنازة أستاذنا الشيخ عمر بن الشيخ من منزله ليصلَّى عليها في جامع الزيتونة، ذكرتُ خروجه منه لدرس كتاب «المواقف»، والشيوخ ينتظرونه بموضع الدرس، وذكرت قول أحد الأساتذة في قصيدة ألقاها عند ختم الكتاب:

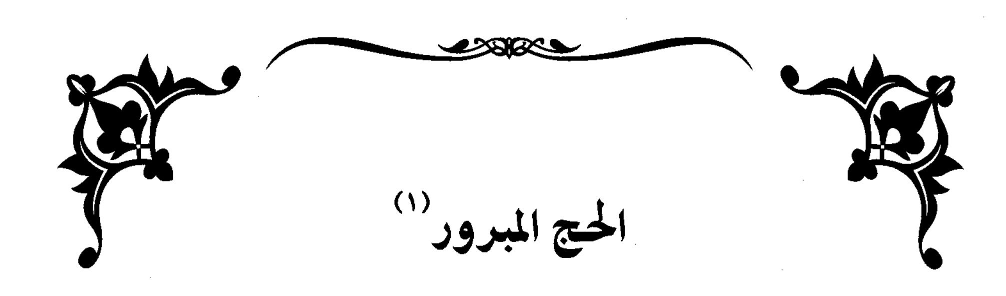
إذا عمر بن الشيخ وافى لدرسه ... تعال التقط دراً بملء جفانِ

ففاضت عيناي بالدموع.

إن هذا الأدب الإسلامي الذي جعل من الطلبة أبناء للأساتذة كفلذات أكبادهم، وجعل من الأساتذة آباء لتلاميذهم، يعطفون عليهم أكثر من عطف الآباء على أبنائهم، هو الأدب اللائق بنا أن نرجع إليه لنجدد في تاريخنا عهداً

سعيداً، فننعم به، ونسعد بنعمته، والطلبة الذين يكتسبون من دراستهم مثل هذا الأدب ينالون به من السعادة أضعاف ما ينالون به من دراسة العلم مهما تقدموا فيه.





الحج المبرور[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ورد في «صحيحي البخاري ومسلم» عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «إيمان بالله وبرسوله»، قال السائل: ثم ماذا؟ قال: «ثم الجهاد في سبيل الله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «ثم حج مبرور».

وقد ثبت في «صحيحي البخاري ومسلم» أكثر كتب السنة المعتبرة: أن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

والحج المبرور: هو الذي وُفيت أحكامه، ولم يخالطه شيء من الإثم.

والذي يستعرض أعمال الحج وأحكامه يجدها ترجع إلى عناصر يكمل كل منها الآخر، ومدارها على أن يجدد المسلم حياته بالحج، فيقطع صلته بكل ما كان يعلق بها من شوائب الإثم، أو الانحراف عن طريق الله ووسائل مرضاته، ويبدأ حياته جديدة نقية، بنفس راضية تقية، بعد توبة نصوح

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الأول ـ المجلد الخامس والعشرون، غزة المحرم ١٣٧٣هـ ـ سبتمبر أيلول ١٩٥٣م.

يُشهد الله عليها في أطهر بقاع الأرض، مخاطباً ربه ﷻ قائلاً: «لبيك اللهم لبيك»، وملتزماً أن لا يعمل من ذلك الحين إلا ما يرضي الله من عمل، وأن لا يقول إلا ما يقربه إلى ربه من خير وحق، وأن لا يعود إلى أهله ووطنه إلا وهو إنسان آخر، يؤثر مرضاة الله في كل ما يصدر عنه، ويكون في جانب الحق في كل ما يصطدم فيه الحق والباطل، ويحرص على أن يكون من أهل الخير، كلما دعته الظروف، وسنحت له الفرص لعمل الخير.

كما أن المدرسة مصنع يدخله غير العارفين، ثم يتخرجون منه علماء عارفين، كذلك الحج فرصة من فرص الحياة يتعرض لها المسلمون بما ارتكبوا في حياتهم من هفوات، وما وقع منهم مما لا يرضى الله عنه، فيجددوا توبتهم العظمى في البلد الحرام، والشهر الحرام، ويهتفون من أعماق قلوبهم معاهدين ربهم على التزام أوامره واجتناب نواهيه قائلين: «لبيك اللهم لبيك»، فلا ينتهون من مناسكهم إلا وهم على عهد مع الله ﷻ بأن يكونوا من أهل الاستقامة في حياة جديدة قامت مناسك الحج حائلاً بينها وبين شوائب الماضي، فيعفو الله عما سلف على قدر ندم صاحبه عما فرط منه، وعلى قدر ثباته على عهده مع الله بأن يكون من أهل السلامة والاستقامة والتقوى.

إن عشرات الألوف من المسلمين يقفون بين يدي الله ﷻ في عرفة، في البقعة المباركة التي وقف بها رسول الله ﷺ وصفوة خلق الله من أصحابه الأكرمين والتابعين لهم بإحسان.

وهذه الألوف التي لا تحصى، ترفع أصواتها بالدعاء إلى الله الرحمن الرحيم معلنة أنها أجابت دعوته، وأنها تعاهده ﷻ على أن تتوخى رضاه في أقوالها وأفعالها. ولن تكتفي هذه الجموع العظمى بهذا العهد العظيم مع الله،

بل إنها بعد الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة تدفع من مزدلفة إلى منى قبل أن تطلع الشمس، وفي منى تعلن مقاطعتها للشيطان، وترمز لهذه المقاطعة برميه عند الجمرة الكبرى، ثم عند الجمرة الوسطى، وجمرة العقبة في أيام التشريق، وهي الأيام الثلاثة التي بعد يوم النحر.

هذه المقاطعة الرمزية للشيطان في كل ما ينتظر أن يسول به للمسلم في حياته من شر أو إثم، يقوم بها الحجاج بعد ذلك العهد الذي قطعوه لربهم كلما هتفوا له: «لبيك اللهم لبيك»، فتخرج نفوسهم نقية طاهرة منيبة إلى الله، مستريحة من أوزار الماضي، ومستقبلة حياة جديدة صالحة، وأياماً سعيدة هنيئة.

هذا هو الحج المبرور؛ لأنه يرجع بالمسلم إلى الله، ويرجع المسلم إلى سعادته التي كفلها له الإسلام، ودله على طريقها، وضمن له الجنة إذا التزم هذا الطريق فلم يخرج عنه.

يا حجاج بيت الله الحرام! إن الله ﷻ قد هيأ لكم الفرصة الثمينة لتجددوا أنفسكم، وترجعوا إلى ربكم، وتكونوا من خيرة أبناء بلادكم وأمتكم، فتسعدوا في الدنيا، وتكونوا من أهل الجنة في الآخرة. وسبيل ذلك: أن تكونوا من أهل الحج المبرور، ولا يكون حجكم مبروراً إلا بالتوبة الصادقة، ومقاطعة الشيطان إلى الأبد، وفي كل شيء.

نسأل الله ﷻ أن يتم عليكم هذه النعمة، وأن يجعلكم من عباده الصالحين.

والسلام عليكم ورحمة الله.



جددوا أنفسكم
في هذا العيد كما جددتم ثيابكم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسـلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون!

في مثل هـذا اليوم المبارك من حجـة الوداع خطب رسـول الله ﷺ في المسلمين الأولين، وكانوا بشهادة الله لهم خير أمة أخرجت للناس، فأعلن فيهم بدء حياة جديدة، يتناسون فيها ما كان بينهم من إحن وشحناء، وترات وبغضاء، وتعامل بما لا يرضي الله، واختلاف بالباطل على الأموال، وتعامل بالربا، وخروج عن سنن الإسلام إلى سنن الجاهلية. وبذلك جدد فيهم الأخوة والمحبة، والتعاون على الخير، والتعامل بشرع الله وأخلاق الإسلام، وجعل ذلك نظاماً لأمته جميعاً، من حضر منهم تلك الخطبة النبوية العظيمة، ومن غاب عنها. وقد فعل ذلك بأمر من الله، ولذلك أشهد الله على ما فعل، وأمر الذين شهدوا خطبته وسمعوا مقالته أن يبلغ الشاهد الغائب.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الأول ـ المجلد الخامس والعشرون، غزة المحرم ١٣٧٣هـ ـ سبتمبر أيلول ـ ١٩٥٣م. حديث أذيع من دار الإذاعة المصرية.

وإذا كنا نحن ـ أيها المسلمون ـ ممن غاب عن تلك الأوامر والإرشادات المحمدية، فقد أبلغنا ذلك الرواة الثقات العدول.

أيها المسلمون!

إن أمل نبيكم فيكم لعظيم، وإنكم أمة مباركة، أولها خير وآخرها، ولذلك قال ﷺ في خطبته التي خطبها في حجة الوداع: «ربَّ مبلغ أوعى من سامع». وها أنتم هؤلاء ممن بلغتهم دعوة نبيكم ﷺ إلى أن تجددوا أنفسكم في هذا العيد المبارك كما جددتم ثيابكم، فاجعلوا نفوسكم نقية طاهرة، كما جعلتم ثيابكم وبيوتكم طاهرة نقية، كونوا من أمة نبيكم المباركة؛ لتكونوا من أهل الخير كما كان سلفكم الأول من أهل الخير، وكونوا من أهل الوعي لهذا الإرشاد العظيم؛ لتسعدوا به، ولتكونوا ممن قال فيهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ: «رب مبلغ أوعى من سامع».

أيها المسلمون!

إن هذا العيد يفرح فيه المسلمون بما كتب الله لإخوانهم حجاج بيت الله الحرام من تجديد في حياتهم بما خلعوا عنهم من سيئات الماضي وآثامه، وبما عاهدوا الله عليه عندما هتفوا له: «لبيك اللهم لبيك» بأن يكونوا من أهل مرضاته. فهذا العيد هو عيد الفرح بأن هذا الجمع الأعظم من المسلمين الذين حجوا بيت الله الحرام قد طهروا نفوسهم وقلوبهم من درن الآثام، وصاروا من صالحي أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وإذا كان هذا مما يفرحنا، ونعيِّد لأجله، فلماذا لا نشاركهم في هذا العيد الذي نعقده مع الله ﷻ بأن نكون نحن أيضاً من أهل الخير، وأن نتعامل فيما بيننا بما يرضيه، وأن نتعاون على البر والتقوى؟.

أيها المسلمون!

عاهدوا ربكم على ذلك، وجددوا حياتكم؛ لتلقوا الله وأنتم من أهل السعادة، وإذا عاد إليكم حجاج بيت الله الحارم، فراقبوهم، وصاحبوهم، وكلما هفا أحد منهم هفوة تخالف ما عاهد الله عليه عندما نادى ربه قائلاً: «لبيك اللهم لبيك»، فذكـروه بعهـده مع الله، وتعاونـوا على ما يرضي الله؛ لتكونوا بعد اليوم أمة صالحة سعيدة، تعيش الحق وللحق، وبما يرضي الحق، جلت عظمته، وعز سلطانه.

أيها الأغنياء من المسلمين!

إن نبيكم ﷺ كان يضحي في هذا العيد المبارك بكبشين سمينين عظيمين، فإذا صلى وخطب الناس، أُتي بأحدهما وهو قائم في مصلاّه، فذبحه، ثم يقول: «اللهم إن هذا عن أمتي جميعاً؛ ممن شهد لك بالتوحيد، وشهد لي بالبلاغ»، ثم يؤتى بالكبش الآخر، فيذبحه ويقول: «هذا عن محمد وآل محمد»، فيطعمهما جميعاً للمساكين، ويأكل هو وأهله منهما.

فالنبي ﷺ كان يعيش لأمته، ويحمل عن أمته.

فيا من أغناهم الله! اشكروا نعمة الله عليكم؛ بأن تعيشوا أيضاً لأمتكم، وتحملوا عن أمتكم، وإن الزمان قد استدار، وإن أمتكم قد عزمت بحول الله وحسن توفيقه على أن تبدأ حياة جديدة يدعمها كل فرد منا بما يستطيعه من الناحية التي هو فيها، وبالموهبة التي وهبها الله له من مال أو علم أو صناعة، أو غير ذلك من نعم الله عليه.

فكل فرد من أفراد الأمة مدعو إلى بذل ما يستطيعه، وما يتيسر له من تضحية؛ ليتمتع هو الآخر من مجموع تضحيات.

وعيد الأضحى رمز إسلامي قديم لمعنى التضحيـة، ولما يجب على المسلم من بذل في دائرة مقدوره، وبمجموع ذلك يكون التعاون، وإن الحياة بهذا التعاون وهذه المحبة تكون جميلة وسعيدة، وفي أيدينا أن نكون من أهل السعادة ـ إن شاء الله ـ، وهذا العيد المبارك يذكرنا بهذا كله، أعاده الله عليكم بالهناء والسعادة، وتحقيق الأماني.





موقف الإسلام
من حوادث مراكش ومعاهدة ليبيا[1]

قال مندوب «الأهرام»:

أديت فريضة المغرب أمس مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر.

وعقب الصلاة اتجه إلى الله رافعاً يديه نحو السماء، داعياً أن ينصر الإسلام، ويحرر بلاد العرب من الاستعمار والمستعمرين، ويخلصها من الأذناب الموالين للأعداء.

*** أذناب الاستعمار شر خلق الله:**

ثم التفت فضيلته إليَّ وقال: إن شر ما تصاب به الأمم المستعمَرة: أن يجد أعداء البلاد من بنيها أتباعاً وأشياعاً وأذناباً يخونون ربهم ووطنهم، ويفقدون كرامتهم وإنسانيتهم، فيعملون في خدمة أولئك الأعداء على حساب البلاد التي نبتوا فوق أرضها، واستظلوا بسمائها، وشربوا ماءها، وهؤلاء هم شر خلق الله، وأبعدهم من رحمته ورضاه؛ لأنهم منافقون؛ يقابلون مواطنيهم بوجه وطني، ويقابلون أعداء البلاد بوجه استعماري، لا يثقون في أنفسهم،

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الأول ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة المحرم ١٣٧٣هـ ـ سبتمبر أيلول ـ ١٩٥٣م.

ولا يؤمنون بوطنهم، ويدعون إلى الهزيمة والخيانة: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٠].

* **حوادث مراكش:**

فسألته عن رأي الإسلام في الأحداث الجارية في مراكش، وما تمخضت عنه من خلع سلطانها الشرعي.

فقال فضيلته: إن مراكش وبلاد المغرب الأقصى تعد من أعرق الدول الإسلامية في التاريخ، ولقد أخذت طريقها إلى مجدها ونهضتها من قديم، حتى ضرب عليها الاستعمار الفرنسي حمايته قبيل الحرب العالمية الأولى، وكاد لأهلها شراً، وأبى الوطنيون المسلمون أن يخضعوا لهذه الحماية التي يأباها الإسلام، وترفضها كرامة العروبة، فسقط في ميدان الجهاد كثيرون من أبنائها، وشرد المجاهدون وسجنوا، وسجل الاستعمار وثيقة حمايته للبلاد قسراً، وفرض عليها قيوداً، وما من يوم مر بتاريخ هذه البلاد إلا سجل فيه الاستعمار خزياً جديداً، واعتداء سافراً على حقوق الوطن والوطنيين في تونس ومراكش.

ولما أعيتهم الحيل، لجؤوا إلى أحدث أساليب الاستعمار، فمزقوا وحدة أبنائهما المسلمين، وخلقوا منهم شيعاً يضرب بعضهم رقاب بعض لصالح الاستعمار نفسه.

ووجد الخونة الذين يبيعون بلادهم بأبخس الأثمان للمحتلين، ويعينونه على خلع السلطان الشرعي للبلاد، ولا شك أن الإسلام يأبى الخضوع للمستعمرين، ويطالب بتقليم أظافر المعتدين.

*** المعاهدة البريطانية في ليبيا:**

وسألت شيخ الأزهر عن رأيه في المعاهدة الإنجليزية التي عقدتها ليبيا أخيراً.

فقال فضيلته: إن الاستعمار ملة واحدة، والذي يقرأ نصوص المعاهدة الليبية يدرك تماماً أهداف المستعمرين من تثبيت قدم الاحتلال في هذه المنطقة العربية. ولقد صدر بيان هيئة كبار العلماء، وحدد المسؤولية الإسلامية بشأن هذه المعاهدة، والأحداث الجارية في مراكش.

*** الدول تنحرف كالأفراد:**

ثم أضاف فضيلته قائلاً: إن الدول تنحرف أحياناً كما ينحرف الأفراد، وتعاقب على خيانة العهد وموالاة الأعداء، ومن نكد الدنيا، وفساد الطبائع، أن يجد أعداء الإسلام من أرباب المنافع الشخصية في البلاد قوماً يودونهم ويوالونهم، ويعملون لدعم قواعد احتلالهم لأوطانهم، وتحقيق أهدافهم الاستعمارية، ومعاونتهم في القضاء على الدين والدولة والأوطان، إما جرياً وراء نفع مادي، وإما خشية سوء العواقب. وذلك على الحالين مرض في القلب، وخيانة لله والرسول، ونفاق يأباه الشرع، وتمقته المروءة، ويرفضه القرآن الذي قال عنهم: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[المائدة: ٥٢].

*** لا مودة لأعداء الله والوطن:**

واستطرد فضيلته فقال: لقد حرم الإسلام مودة أعداء الله ورسوله بالغةً ما بلغت صلتهم بالإنسان، حتى لو كانوا آباء أو أبناء، أو أهلاً أو عشيرة،

فما بالك بأعداء لا تربطنا بهم إلا أسوأ صلة هي صلة الاستعمار والاضطهاد؟.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يأمرنا بالاستعداد دائماً لمحاربتهم، ومقابلة قوتهم بالقوة، فيقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠].

ويجرد أنصارهم من الإيمان، فيقول الله تعالى في قرآنه العظيم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[المجادلة: ٢٢].

*** وجوب التكتل لمواجهة الاستعمار:**

وقد أمر الله المسلمين في جميع بقاع الأرض بأن يتكتلوا، وأن يواجهوا أعداءهم صفاً واحداً، وأن يقلموا أظافر الخونة الذين يوالون أعداء الدين والوطن، وأن لا يضعفوا أمام أية عاطفة في سبيل جهادهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة: ٢٤].

*** الإسلام ومعاهدة الأعداء:**

وقلت لفضيلة الشيخ الأكبر: إني أطلب رأياً في هذه المعاهدات التي تعقد بين هذه الدول الغادرة، والبلاد العربية المنكوبة، وهل هي نوع من ولاية الكافر على المؤمن؟ وما هو رأي الإسلام فيمن يتولى عقدها مع هؤلاء الأعداء خشية بطشهم، أو قصد الحصول على أموالهم، في سبيل بيع حرية البلاد، ويفضلهم على بني جنسه وعروبته؟!.

فقال فضيلته: لقد أجاب القرآن الكريم إجابة حاسمة عن كل هذا في آية صريحة واضحة لا شبهة فيها ولا التباس، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٣٩].

*** قصيدة للأستاذ الأكبر:**

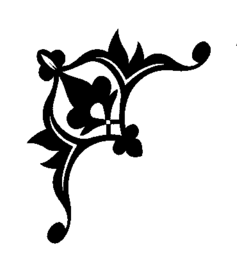
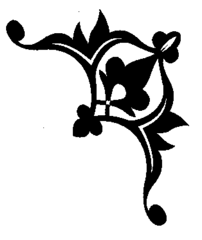
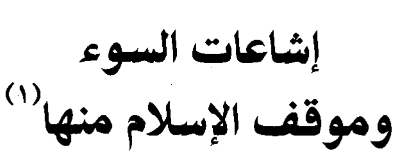
وختم الأستاذ الأكبر حديثه بأن أنشد قصيدته الجديدة التي صاغها لمناسبة الأحداث الجارية في مراكش وليبيا وتونس، وقد جاء فيها:

لا تسامى كلما خضتَ غِمَاراً	وإذا رُضْتَ جواداً لا يجارى
هاتِ من عزمك ما ترقى به	أمة هيضت جناحاً وفقارا
إن يصح العزم من قوم فلا	يلتقي شانِئُهُم إلا تَبارا
ولقاء الموت في ذودك عن	ساحه يكسب ذكراك فَخارا
فاسأل المغرب كيف امتلكوا	بعد الاستعمار زرعاً وعَقاراً
أبرموا العهد ولم يوفوا على	أنهم لاقوا كراماً وخيارا
ورعينا منهم الجارَ ولو	أنصفونا حمدوا منا الجوارا
لا رعى الله عهوداً قد كست	بلظى الضيم صِغاراً وكبارا

وختم الأستاذ الأكبر حديثه قائلاً: «إنني أتمنى على الله أن أعيش حتى أشهد مصرع الاستعمار في كل البلاد الإسلامية والعربية».

فقلت لفضيلته: حياك الله، وأحياك حتى تبلغ مناك، فهي مُنى جميع العرب والمسلمين.

❐ ❐ ❐

إشاعات السوء وموقف الإسلام منها[1]

إشاعات السوء عن شؤون الأمة وسير أعمالها، وأهداف إصلاحاتها، ومقاصد رجالها، لا تقل ضرراً في كيان الأمة وسلامة الوطن عن التجسس للعدو على دخائلها، ومواطن قوتها وضعفها. فكل ذلك خدمة للعدو، وموالاة له. وقد خاطب الله المسلمين بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة: ١].

بل إن موالاة العدو ـ في حال عدوانه ـ، وترويج ما ينفعه في مضرة الإسلام وأهله تُخرج الموالين له عن تبعيتهم لأمتهم، وتلحقهم بأمة عدوهم. وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١].

*** ترويج إشاعات السوء:**

ومن أشد ما يوالي به المنافقون من يكيد للأمة من أعدائها: ترويج إشاعات السوء، والإصغاء إليها، وقد ورد في ذلك قول الله ﷻ: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾[الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١].

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والعشرون ـ صفر ١٣٧٣هـ ـ أكتوبر تشرين الأول ـ ١٩٥٣م.

وكان مما كانوا يرجفون به: ما ذكره الله عنهم في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب: ١٢].

ولهؤلاء المنافقين خلفاء في كل عصر من عصور الإسلام، وفي كل وطن من أوطانه، يخذِّلون الناس عن أئمتهم وولاة أمرهم، ويشيعون السوء عن برامجهم وخططهم، وهذا مرض في القلوب كما وصفه الله ﷻ، وعلى من يصاب بهذا المرض أن يعالج نفسه قبل أن يعالج بأحكام الله.

وفي هؤلاء أيضاً ورد قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[النساء: ٨٣]؛ أي: أفشوه؛ حيث لا يكون من المصلحة العامة إذاعته وإفشاؤه، وقد يكون ما يذيعونه كذباً ومضراً بالمصلحة، فيكون ذلك من الإثم المزدوج الذي طهر الله قلوب المؤمنين منه.

واللائق بالمسلمين إذا سمعوا قالة السوء أن يكونوا كما أراد الله للمسلمين في قوله ﷻ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[النور: ١٢]، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥ ـ ١٦].

ولما عاد المسلمون من غزوة أحد، كان فيهم من اختلفوا في الحكم على المنافقين والمرجفين، فقال فريق للنبي ﷺ: «اقتلهم»، وقال فريق: «لا تقتلهم»، فنزل في ذلك قول الله ﷻ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾[النساء: ٨٨]، وفي ذلك ورد الحديث النبوي: «إنها طيبة ـ أي: المدينة ـ تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الحديد»، وفي رواية: «خبث الفضة».

وأول فتنة في الإسلام، وهي الجرأة على خليفة رسول الله وصهره

سيدنا عثمان، كان منشؤها إشاعات السوء الكاذبة، وتضليل البسطاء وضعاف الأحلام، فجرّ ذلك على الأمة من الضرر ما لم تتوصل إلى مثله الدول المعادية بما لديها من جحافل وقوات حربية.

وفي الليلة الأخيرة قبل نشوب حرب الجمل، توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهم على ما يرضي الله ﷻ من إقامة الحدود الشرعية على من يثبت عليه أن له يداً في مصرع أمير المؤمنين عثمان، وبات أبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة، وأسعدها، وأرضاها لله، فما كان من قتلة عثمان، ومن يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبوا القتال في الصباح الباكر، وأشاعوا في كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثاني هو المهاجم له، على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس، وبذلك كانت الإشاعات بين الطرفين أفتكَ بهما، وأضرّ على الإسلام من أسلحة البغاة الفاتكة.

أيها المسلمون!

إن إشاعات السوء سلاح العدو، والذي يصغي إليها يمكن العدو من الفتك بالأمة والوطن، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥]. فاعملوا في ذلك بهداية الله ﷻ وإرشاده حين يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٦].

وعلى ولاة الأمر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبيه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾[الأحزاب: ٦٠ ـ ٦١].

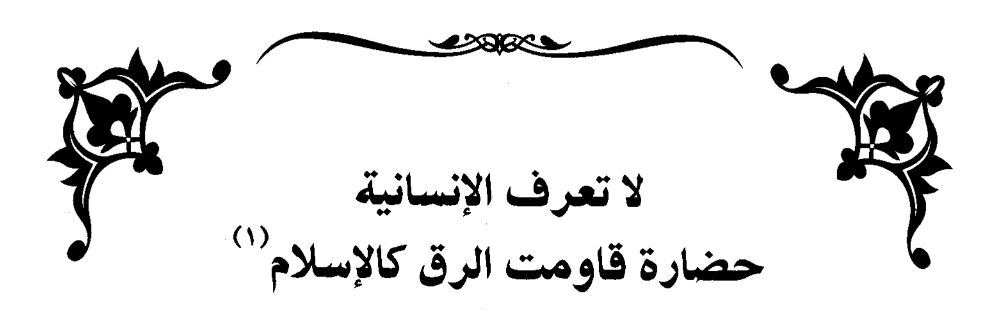
إن الأمة تجتاز اليوم مرحلة من أدق مراحلها في تاريخ نضالها العنيف،

هي مرحلة تقرير المصير. وهذه المرحلة ـ بما لها من الخطر والأثر في مستقبل الأمة وحاضرها ـ تقتضي منا أن نتيقظ لكل ما يراد بنا، سواء من العدو الغاصب، أو من أعوانه، وأن نحذر دعاة الفتنة، والذين يعملون على إشاعتها بين طبقات الأمة، ولنعلم أن هؤلاء وأولئك يستهدفون غرضاً واحداً، ويعملون لغاية واحدة، هي: تمزيق الشمل، وتشتيت الجمع، وتفريق الكلمة، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم، وإلقاء العداوة بين المؤتمين والمأموم. وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها، فإذا ما تحققت غايتهم، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم، ولا تصيب طائفة دون أخرى، وإنما هي تصيب الأمة بأسرها.

وقد حذرنا الله تعالى منهم ومن فتنتهم، فقال ـ جل شأنه ـ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[الأنفال: ٢٥]، واتقاء الفتنة يكون بدفعها وإدحاضها، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبباً فيها، أو في عنصر من عناصرها، ويرى علماء الشافعية أن تكون العقوبة هي (الإعدام) لكل من يثبت عليه أنه أحدث بين المسلمين فتنة. وأما علماء المالكية، فإنهم يتركون الحد على هذه الجريمة لاجتهاد الإمام؛ أي: الحاكم، ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة في إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف؛ مناصرة لعدو البلاد الأكبر، وهو المستعمر الغاصب.

فلنتق الله في أمتنا ووطننا، وتقوى الله تدفع كل شيء، وتحول دون أي مكروه، والله يوفقنا، ويسدد خطانا إلى ما فيه النجح والرشاد.

وإلى هنا كان الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية، وأصاب المحز، فأماط اللثام عن حكم الله في مثل هذه الطامة الكبرى، فشكرت لفضيلته، واستأذنت في نشره، فتفضل وأذن.



لا تعرف الإنسانية حضارة قاومت الرق كالإسلام[1]

استعباد البشـر للبشر قديم جداً، لا يعرف له التاريخ بداية؛ فقد رأيناه بجميع أنواعه في أقدم ما نعرفه عن الصين، وفي الهند كانوا يدينون بأن من لم يكن برهمياً، فهو مخلوق ليكون عبداً للبرهمي، ويسمونه: (سودرار). وكان الرقيق في النظام الفرعوني هو أداة العمل، وعلى أكتاف الرقيق بنيت الأهرام، وكان الرق عريقاً في تاريخ الآشوريين والفرس، أما في بني إسرائيل، فقد أباحت التوراة الاسترقاق بطريق الشراء، أو سبياً في الحرب، بل أباحت التوراة للعبري أن يُستعبد إذا افتقر، فيبيع نفسه لغني، حتى يوفي له الثمن، أو يخدمه ست سنين، ثم يتحرر، وإذا سرق العبري ماشية وذبحها، أو أي شيء استهلكه، ولم يكن في يده ما يعوضه به عن سرقته، يباع السارق بسرقته، كما نصت على ذلك التوراة في: سفر الخروج، وأباحت التوراة للعبري أن يبيع بنته، فتكون أمةً للعبري الذي يشتريها.

*** الرق عند اليونان:**

وكان استعباد البشر للبشر مطلقاً وبكثرة في حضارة اليونان، وكان قرصانهم يتخطفون أبناء الأمم الأخرى في مختلف السواحل، ويبيعونهم في

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة صفر ١٣٧٣هـ ـ أكتوبر تشرين الأول ـ ١٩٥٣م.

أسواق «أثينا»، وغيرها، ولما صارت لليونان مستعمرات في آسيا الصغرى، صارت لهم فيها أسواق للاتجار بالرقيق، حتى امتلأت بيوت الإغريق بالإماء والعبيد، يستعبدهم اليونان جميعاً، لا فرق بين غني وفقير، ولم تؤثر في تاريخهم كلمة واحدة عن أي حكيم من حكمائهم باستنكار استعباد الإنسان، لأخيه الإنسان أو الترغيب في تحريره.

وعند الرومان:

أما الرومانيون، فإن النخاسين كانوا يتخذون الحروب الكثيرة مواسم لتجارتهم، فيصحبون الجيوش إلى أوطان الشعوب الأخرى؛ ليشتروا الأسرى والمغلوبين من صبيان وبنات، ورجال ونساء بأبخس الأثمان، حتى لقد كان النخاس إذا كان غنياً يشتري ألف إنسان صفقة واحدة، عقب نصر كبير تعده الإنسانية خزياً، ويعده تاريخ الاستعمار الروماني عظمة ومجداً، وفي مدينة «رومية» العظمى كانت للرقيق سوق تعرض فيها هذه البضائع للمزاد العلني على رابية مرتفعة، فيكون الرقيق عرياناً من كل ما يستره، ذكراً كان أو أنثى، كبيراً أو حدثاً، ولمن شاء من الناس أن يدنو من هذا اللحم الحي المعروض للبيع، فيجسه بيده، ويقلبه كيف شاء، ولو لم يشتره في النهاية، والقانون الروماني لم يكن يعتبر الرقيق إنساناً له شخصية ذات حقوق على الإنسانية، بل يعتبره شيئاً من الأشياء كسائر السلع التي يباح الاتجار بها.

*** نظام كان معترفاً به:**

ولما جاءت المسيحية، كانت عبودية الإنسان شائعة في كل العالم. نقل الدكتور (جورج برست) أحد رجال الجامعة الأمريكية في بيروت، في المجلد الثاني من كتابه «قاموس الكتاب المقدس» (ص ٦٠ ـ ٦١) طبع المطبعة

الأمريكية في بيروت سنة ١٩٠١م قول العالم (شاق): إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسي، ولا من وجهها الاقتصادي، ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية، حتى ولا على المباحثة فيها، ولم تقل شيئاً ضد حقوق أصحاب العبيد، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال، ولا بحثت عن مضار العبودية، ولا عن قساوتها، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالاً. وبالإجمال: لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء، بل بعكس ذلك، فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين وواجباتهما.

هكذا كانت عبودية الإنسان في أمم الأرض عندما ظهر الإسلام. فهو نظام كان معترفاً به من كل الأمم، وأسواقه قائمة في كل مكان، وآثاره موجودة في بيوت الناس ومجتمعاتهم، وفي أنظمة الدول ومرافقها.

ثلاث جهات:

وأبرز مواقف الإسلام من الرق كان من ثلاث جهات:

أولاً: أمر المسلمين بحسن معاملة من تحت أيديهم من الرقيق إلى أقصى ما يمكن أن تسمو إليه الفضائل الإنسانية.

ثانياً: الترغيب في تحرير الرقيق إلى أقصى ما ينتظر من دين عالمي جاء ليعالج عيوب المجتمع بحسن توجيهه نحو الفضائل.

ثالثاً: وضع قاعدة المعاملة بالمثل في الحروب الدولية فيما يتعلق بالأسرى ومبدأ الاسترقاق. وكلما وجد الإسلام دولة ترضى أن تتعامل معه بمبدأ ينطبق على أهدافه في تحرير الإنسانية من الرق، فإنه كان دائماً على استعداد للاتفاق معها على تحقيق هذه الأمنية بالفعل.

إن النصوص الصحيحة المأثورة عن الدين الإسلامي في القرآن، وكتب

السنة النبوية المشهورة بصحة رواتها، إذا أردنا أن نقتصر منها على المعاني الإنسانية الخاصة بالرقيق، فإنها وحدها تبلغ كتاباً، وإذا حاولنا أن ننقل الوقائع التاريخية عن عظماء المسلمين وأئمتهم، وأخبارهم في تطبيق هذه النصوص والمبادئ والأحكام بالعمل، لكان من ذلك مجلدات كثيرة. ويمكننا أن نعلن ونحن مطمئنون بصحة ما نقول: أنه من أول ابتلاء الإنسانية بنظام الرق، واستعباد البشر للبشر، إلى طروء الضعف على دول الإسلام في العصرين الأخيرين، لا تعرف الإنسانية حضارة، ولا ديانة، ولا فلسفة قاومت الرق، وحاولت التخفيف من أضراره، وتهذيبه بما يلائم الإنسانية كما فعل الإسلام وحده، دون غيره من أنظمة البشر ومذاهبهم وطوائفهم.

* **تحرير الرقاب:**

أما نص القرآن على إيجاب تحرير الرقيق، فنجده في سورة التوبة (الآية ٦٠) التي فرض فيها الإسلام ضريبة على المسلمين لهذا الغرض، وهي الزكاة، فجعل من مصارفها تحرير الرقاب؛ (أي: تحرير المملوكين): ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة: ٦٠].

والرقيق الذي يطلب من مالكه أن يتعاقد معه على مبلغ من المال يدفعه له بسعيه وعمله ليتحرر من الرق، قد وردت (الآية ٣٣) من سورة النور بأمر المسلم المالك للرقيق أن يجيب هذا الطلب، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾[النور: ٣٣].

وتحرير الرقيق قد جعله الإسلام فدية عن أمور كثيرة؛ كقول الله ﷻ

في (الآية الثالثة) من سورة المجادلة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة: ٣].

وكقوله سبحانه في (الآية ٨٩) من سورة المائدة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[المائدة: ٨٩].

ومما أوصى الله به المسلمين في (الآية ٣٦) من سورة النساء، قول الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

*** النبي يوصي بالرقيق:**

أما الأحاديث النبوية في هذا الموضوع الإنساني، فكثيرة جداً لا يكاد يأتي عليها الحصر؛ لأن النبي ﷺ ما برح يحدث أمم الأرض بها، ويحث القبائل والشعوب على العمل بها مدة ثلاث وعشرين سنة، منذ بعثه الله بالنبوة إلى أن اختاره للرفيق الأعلى.

ونحن نورد هنا نماذج قليلة منها؛ لنذل على سائرها مما يتسع له المقام.

من ذلك: ما ورد في كتاب: الإيمان من «صحيح الإمام مسلم»، من حديث أبي ذر: أن النبي ﷺ قال في الرقيق: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كفلتموهم، فأعينوهم».

وفي ذلك الكتاب من «صحيح مسلم» أيضاً، عن أبي هريرة: أن

النبي ﷺ قال: «من لاءمكم من خدمكـم، فأطعموه مما تأكلون، وأكسـوه مما تلبسـون ـ أو قال: تكتسـون ـ، ومن لا يلائمكم، فبيعوه، ولا تعذبوا خلق الله ﷻ».

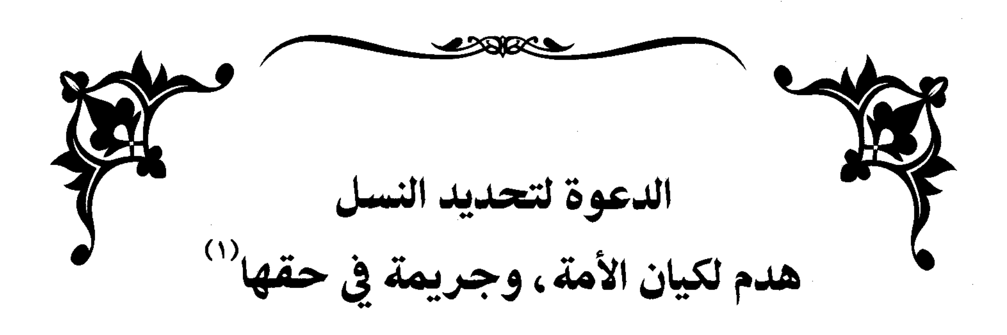
* **الاسترقاق الشرعي:**

ثم إن الاسترقاق الشرعي هو الذي يقع في حرب يراد بها إعلاء كلمة الحق، وأن يأذن بها الحاكم العام، وأن يعامل المسترق بالرفق والإحسان كما يعامل الابن والأخ.

وقد أصدر أحمد باي تونس سـنة ١٢٦٢هـ أمراً بتحرير المسترقين في المملكة التونسية، حيث إن غالب المالكين لا يعاملونهم بما أمر به الإسلام من الرفق وحسن المعاملة، ووافق الشيخ إبراهيم الرياحي رئيس الفتوى في تونس على ذلك.

ونص الفقهاء على أن من أضر برقيق ضرراً بيناً يعتقه القاضي عليه، وقد قدمنا أن الرق ليس بواجب من واجبات الحرب، إنما أباحه الإسـلام للحاكم العام إذا اقتضته مصلحة الحرب، فلو اتفقت الدول على أن لا استرقاق، فرغبة شـارع الإسـلام في الحرية تجيز للحاكم العام أن يتفق مع المحاربين هذا الاتفاق، ويبطل الاسترقاق من أصله.

❐ ❐ ❐



الدعوة لتحديد النسل
هدم لكيان الأمة، وجريمة في حقها[1]

قال مندوب «المصري» لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر: كان لا بد للقراء أن يقفوا على رأيكم في مشكلة تحديد النسل، وهي مشكلة الساعة، وحديث الناس في محافلهم ومجالسهم.

فقال فضيلته:

إن التفكير في تحديد النسل لأفراد الأمة كلها أمر لا يجيزه الدين بحال، ولا ترضاه الشريعة الإسلامية السمحة، وإلى جوار ذلك، فإنه عمل لا يمكن تحقيقه بقانون عام يطبق على جميع الأفراد.

ومضى فضيلته يقول: وفيم هذا الهلع من كثرة النسل، ونحن في هذه الحياة قد تكفل المولى ـ جل شأنه ـ بأرزاقنا إذ يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦].

ويقول ـ جل شأنه ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ﴾[الإسراء: ٣١].

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة صفر ١٣٧٣هـ ـ أكتوبر تشرين الأول ـ ١٩٥٣م.

*** النيل:**

ثم قال فضيلته: وهذا الكلام ـ أعني: الالتجاء إلى تحديد النسل ـ لا يقال في هذا البلد الذي وهبه الله النيل ليحيل صحراءه إلى نعيم، وأرضه إلى ثروات، وتساءل فضيلته قائلاً: هلا حاول الذين ينادون بتحديد النسل ـ قبل مناداتهم بهذه الدعوة ـ البحث عن وسيلة فعالة تحقق للبلاد الانتفاع بمياه النيل التي تذهب إلى البحر سدى أيام الفيضان؟ والانتفاع بهذه المياه لا شك يساعد على النهوض باقتصاديات البلاد وإنتاجها، ويساعد على قيام عديد من المشروعات النافعة الهامة. هلا فكروا في شيء من هذا وإبداء الآراء النافعة للنهوض بموارد البلاد.

*** مشكلة الأيدي العاملة:**

وماذا يمكن أن يجدي تحديد النسل على الجميع غير الضيق، ونقص الأيدي العاملة المنتجة؟ إننا نرى الرجال في الريف يفرحون بكثرة الأبناء؛ لأنهم يساعدونهم في أعمالهم الزراعية، ويضاعفون إنتاج آبائهم، فكيف إذن يحد نسل هؤلاء؟!... إن لدينا مساحات واسعة يمكن تعميرها، والمشكلة مشكلة الأيدي العاملة، لا كثرتها.

*** تقسيم صوري:**

أما قلة الدخل وكثرته الذي تجعله الهيئة الصحية العالمية مقياساً لتقسيم الأمم إلى متأخرة ومتوسطة ومتقدمة، ففي نظري يكاد يكون تقسيماً صورياً لا غير، ذلك أننا إذا قسمنا متوسط الدخل في مصر، وهو ٣٠ جنيهاً تقريباً للفرد في العام، بمتوسط دخل الطبقة الأولى، وهو مئتا جنيه في العام؛ كما هو الحال في أمريكا وبعض ممالك أوربا، فإننا نجد النسبة محفوظة؛ لأن الحالة

المعيشية في مصر أرخص جملة مرات من الحياة في أمريكا أو أوربا، والفرد الذي يعيش في مصر بثلاثين جنيهاً في العام لا يستطيع أن يعيش بمئتين أو ثلاث مئة في أمريكا وأوربا. أفما كان من الواجب مراعاة رخص الحياة أو إغلائها في مثل هذا الإحصاء؟.

*** أصحاب الضرورة:**

وتحدث فضيلته عن أصحاب الضرورة، والحالات الخاصة، فقال: أما أصحاب الضرورات؛ كالمرضى ـ مثلاً ـ، فإن هذه الضرورة تقدر بقدرها. وفي غير حالات المرض من الزوجين لا يجوز تحديد النسل في حالات فردية خوفاً من الفقر، وقد كان العزل جائزاً في أول الإسلام، ثم نهى رسول الله ﷺ عنه بقوله: «إن العزل هو الوأد الخفي».

وذهب ابن حزم إلى أن العزل قد نسخ بهذا الحديث الشريف، ولا يباح إلا لضرورة المرض.

*** الأمة الناهضة:**

وأكد فضيلته المعنى بقوله: ألسنا أمة ناهضة؟!

ألسنا في حاجة إلى إعداد جيشنا إعداداً يتفق ومقتضيات العهد الجديد؟ وهذا لا يتأتى إلا عن طريق أبناء الأمة وإكثار عددهم.

*** هدم لكيان الأمة:**

وختم فضيلته الحديث بقوله: إن دعوة تحديد النسل هدم لكيان الأمة وجريمة في حقها.





رأي الإسلام
في شروط من يعينون في الوظائف[1]

جرى حديث لمندوب «المصري» مع فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر عن رأي الإسلام في شروط التوظف، والسن التي يجب توافرها فيمن يلي الوظائف في الإسلام، فأجاب فضيلته على ذلك بقوله:

ولاية الأمور العامة في الإسلام يتوخى فيها شرطان أساسيان:

أحدهما: الكفاية العلمية التي تناسب العمل العام الذي يراد ممن يتولاه أن يقوم بأعبائه.

والآخر: العنصر الخلقي، ومناطه الإخلاص.

ومهما تتبع الدارس الشروط والمؤهلات التي يطلبها الإسلام فيمن يلي الأمور العامة، ويصف بها ولاة الأمر المثاليين، وعمال الحكومة الصالحين، فإنه يجدها لا تخرج عن هذين الشرطين.

وانظر ما وصف الله به أنبياءه الذين تولوا شؤون أممهم؛ كنبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ؛ فقد جاء في كتاب الله ﷻ على لسانه: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثالث ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الأول ١٣٧٣ هـ ـ نوفمبر تشرين الثاني ـ ١٩٥٣ م.

فذكر العلم، وفيه الإشارة إلى الكفاية العلمية، وذكر الحفظ، وهو يستلزم العنصر الخلقي المطلوب في مثل هذا العمل، وهو الأمانة والإخلاص.

وقال الله ـ سبحانه وتعالى ـ مخاطباً داود: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[ص: ٢٦]، فذكر الحكم بين الناس بالحق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم ومعرفة الأحكام، وشرط الانتهاء عن اتباع الهوى، وفي ذلك إشارة إلى العنصر الخلقي، ومناطه الإخلاص.

وتاريخ الولاية في الإسلام يدور في نصوصه وتطبيقها في أصلح عهوده حول هذين الشرطين، من غير نظر إلى السن والقدم؛ لأن المطلوب في العمل: الكفاية للقيام به والإخلاص فيه، وهذه هي الأهلية لولاية العلم العام في الإسلام. وقد ورد في «صحيح البخاري» من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة».

إن العلم واسع ومتشعب، ولا حدود له، والمطلوب منه في ولاية الأمور العامة: ما يحتاج إليه في حسن إدارتها، وتوخي المصلحة في شؤونها. ففي الأمور العسكرية والحربية يكون العلم المطلوب هو العلم العسكري، وفنون الحرب، وفي الأمور المالية: علوم الحساب، وتدبير المال، وفي الأمور الإدارية أو الهندسية أو الطبية أو القضائية: الإلمام الكافي بكل واحد منها لمن يتولاه بقدر ما يلزم للإحسان فيه.

ومما يدل على أن المعرفة والإخلاص هما اللذان كان الإسلام يتوخاهما في تولية العمال دون السن أو القدم: ما ذكره التاريخ من أن النبي ﷺ لما تم له فتح مكة ـ وهي يومئذ أعظم أمصار الإسلام، وفيها بيت الله، وهي وطن مولد النبي ﷺ ـ اختاره للولاية عليها عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن

أمية، وكان عمره حين تولاها نيفاً وعشرين سنة، فأحسن الولاية عليها في حياة النبي ﷺ، وأقره أبو بكر عليها إلى أن مات يوم مات. وقد برهن طول مدة ولايته على كمال الكفاية الإدارية، والإخلاص لله. روى عبدالله بن يسار عن عمرو بن أبي عقرب: أنه سمع عتاب بن أسيد وهو مسند ظهره إلى بيت الله يقول: «والله! ما أصبت في عملي هذا الذي ولاني رسول الله ﷺ إلا ثوبين معقدين كسوتهما مولاي كيسان».

ومن أمثلة ولاية الأكفاء للعمل، وإن كانوا حديثي السن: تأمير النبي ﷺ أسامة بن زيد على جيش كان من جنوده أبو بكر وعمر وأمثالهما، لميزات توفرت لأسامة في ذلك العمل، وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، واختار المسلمون أبا بكر للخلافة عليهم، فأقر ولاية أسامة على ذلك الجيش، وأراد أن يستبقي عمر في المدينة؛ ليكون مستشاره ووزيره، فلم يأمر أسامة بالتخلي عن عمر، بل (استأذنه) في ذلك باعتبار أن أسامة هو الآمر على عمر، فلا يجوز ـ ولا للخليفة ـ التصرف في أمره إلا بإذن آمره المباشر، وهي سنة من سنن الإسلام الحكيمة في نظام الحكم سنها ولاة أمور المسلمين في صدر تاريخهم، ولم تتوصل إلى مثلها الدول العريقة في تقاليد الحكم إلا بعد دهر طويل.

ومما يدل على التقدم بالكفاية دون السن والقدم: أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب كان يُحضر عبدالله بن عباس، وهو شاب حديث السن في جملة كبار المهاجرين والأنصار، ويستشيره؛ لما بدا له من معرفته وإخلاصه.

والكفاية المطلوبة لكل عمل هي التي فيها مصلحة الدولة والأمة في مدة العمل.

قال القاضي أبو الحسن الماوردي في «الأحكام السلطانية»: «إذا كان

أحد المرشحين للإمامة أعلم، والآخر أشجع، يراعى في الاختيار ما يوجبه حكم الوقت، فإن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى؛ لانتشار الثغور، وظهور البغاة، كان الأشجع أحق، وإن كانت الحاجة إلى فضل العلم أدعى لسكون الدهماء، وظهور أهل البدع، كان الأعلم أحق».

وقال في شروط تقليد الوزارة: «إنه يحتاج فيه إلى شرط زائد على شرط الإمامة، وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمر الحرب والخراج خبرة بهما، ومعرفة بتفصيلهما؛ فإنه مباشر لهما تارة، ومستنيب فيهما أخرى، فلا يصل إلى استنابة الكفاة إلا أن يكون منهم، كما لا يقدر على المباشرة إن قصر عنهم، وعلى هذا الشرط مدار الوزارة، وبه تنتظم السياسة».

وقال في شرط ولاية كاتب الديوان: «المعتبر في صحة ولايته شرطان: العدالة، والكفاية، فأما العدالة، فلأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية، فاقتضى أن يكون في العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين، وأما الكفاية، فلأنه مباشر لعمل يقتضي أن يكون في القيام به مستقلاً بكفاية المباشرين».

وأنت ترى أن مدار الولاية في الإسلام على الكفاية الممثلة في معرفة ما يلزم للعمل الذي يراد تولية العامل عليه، والعنصر الخلقي، ومناطه الإخلاص، والغرض من ذلك: أن يكون العامل جامعاً للصفات التي تتحقق بها مصلحة الدولة والأمة في ذلك العمل بحسب ظروفه الزمانية والمكانية.

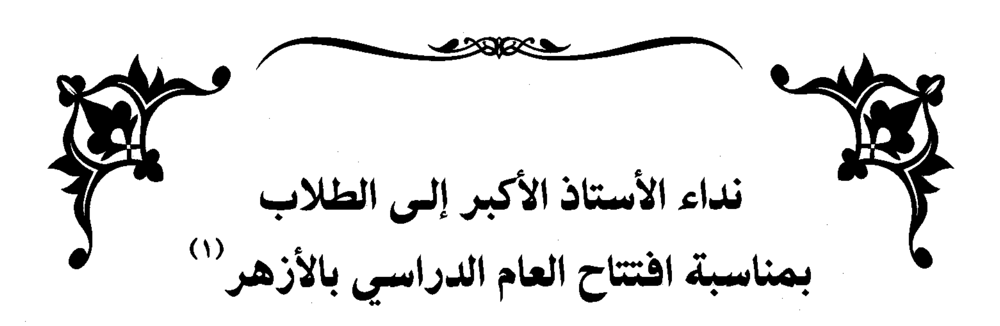
ومن هنا يقال في تولية ولي الأمر أقاربه، فإن كانت ظروف العمل، والصفات التي يتحلى بها أقارب الإمام تقتضي توليتهم؛ لما يتوسم فيهم من الحرص على بقاء الدولة ونجاحها، والإخلاص في جلب المصالح لها، ودرء

المفاسد عنها، فتكون توليتهم من مقاصد الإسلام وسنته، واعتبر ذلك بجهاد مسلمة بن عبد الملك في خلافة أبيه وإخوته؛ فقد قام للإسلام بما لو حرمت الدولة من قيادته وولايته، لكان ذلك خسارة كبيرة على الإسلام، أما إذا كانت ظروف العمل، والصفات التي يتصف بها أقارب الإمام تنافي المصلحة في تعيينهم، فيكون من سنّة الإسلام اجتناب ذلك.

ولما طُعن أمير المؤمنين عمر، وأراد أن يجعل الأمر شورى في الستة الذين سماهم، اقترح عليه بعض الصحابة أن يستخلف ابنه عبدالله ـ وإن ابنه عبدالله من أعلم الصحابة وأكملهم ـ، ومع ذلك، فإنه عمر رأى الخير في الطريقة التي رسمها، وأبى أن يستخلف ابنه؛ لأنه كان يتوخى مصلحة الكيان الإسلامي على ما يحب أن يلقى الله عليه.

إن سنن الإسلام في تولية العمال قائمة ـ كما ذكرنا ـ على عنصري: المعرفة، والإخلاص، ومدار ذلك: على ما تتحقق فيه مصلحة الدولة والأمة، وقد كانت الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية في خير إلى أن خرج الأنانيون من الحكام عن هذه السنن، ولا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.





نداء الأستاذ الأكبر إلى الطلاب بمناسبة افتتاح العام الدراسي بالأزهر(1)

في يوم السبت ٢٢ صفر بدأت الدراسة في الأزهر، ومعاهده، وكلياته، وقد وجه يومئذ صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر هذا النداء:

أبنائي طلاب الأزهر والمعاهد الدينية!

سلام الله عليكم ورحمته.

أما بعد:

فإنكم اليوم تستقبلون عاماً جديداً من حياتكم الدراسية الميمونة، وإنه ليطيب لي ولأساتذتكم أن نتلقاكم بالابتهاج والترحيب، وأن نؤازركم فيما تبغون من خير، وتنشدون من آمال، وأن أبذل لكم النصح، راجياً لكم التوفيق والسداد.

أبنائي!

إنكم تعدون لغاية نبيلة، ومقصد عظيم، يتقاضاكم أن تتزودوا من العلم، وأن تتحلوا بأحاسن الأخلاق، وتتجملوا بآداب الإسلام، فارصدوا لذلك أوقاتكم، وقفوا له جهودكم، واصرفوا فيه مواهبكم مخلصين صادقين.

---

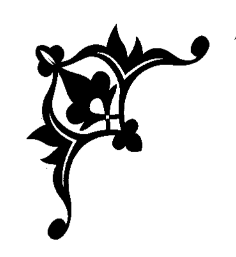
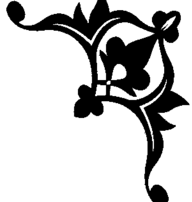
(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثالث ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الأول ١٣٧٣هـ ـ نوفمبر تشرين الثاني ـ ١٩٥٣م.

فبإخلاصكم ومثابرتكم تبلغون آمالكم، وتبنون مجدكم، ومجد الأمة التي تحوطكم بقلوبها، وتعلق عليكم آمالها؛ فإن العلم أهدى سبيل إلى المجد، وأقوى دعامة لحضارة الأمم ورقيها.

وقد نهضت الأمة إلى المجد، واطرحت حياة البطالة واللهو، فاستشعروا الواجب عليكم لدينكم ولأمتكم، وكونوا في طليعة العاملين، وفقكم الله، وعصمكم الله من بواعث الشر، ونفعكم بالعلم ونفع بكم...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مولد رسول مولد رسالة(١)

يحتفل المسلمون الآن بمولد خير الخلق، المبعوث بالهدى ودين الحق.

إنه مولد الإنسان الكامل، الذي ولدت بمولده رسالة الإنسانية الكاملة.

والإنسان الكامل الذي نحتفل بذكرى مولده، قد تمكن ـ في ثلاث وعشرين سنة هلالية قضاها في حياته النبوية على الأرض ـ من أن يقدم للتاريخ أنموذجاً للأمة المثالية يعرضه على الأجيال منذ نحو أربعة عشر قرناً؛ لتقوم حجة الله على الناس فيما ينبغي لهم أن يأخذوا به، وما ينبغي لهم أن يتحرجوا منه، فيكونوا هم أيضاً صورة أخرى من صور الأمة الكاملة التي صنعها الله بيدي حامل أكمل رسالاته، فإن فعلوا، كانوا من أهل الهدى ودين الحق، وفتح الله لهم كنوز السعادة، ينعمون فيها بنعمة الطمأنينة والرضا إلى أن يلقوا الله راضياً عنهم، وهم راضون عنه.

إن هذا المولود الكامل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لم يكن في زمن مضى، ولا في زماننا هذا بحاجة من الإنسانية إلى تخليد ذكراه؛ فإن الله قد رفع له ذكره منذ شرح صدره للهدى والحق، وقرن اسمه إلى اسمه ﷻ في شهادة الملايين له آناء الليل وأطراف النهار؛ بأنه أدى رسالة الله كاملة، واعترفت

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الثاني ١٣٧٣هـ ـ ديسمبر كانون الأول ـ ١٩٥٢م.

له الأمم ـ على اختلاف العصور ـ بأنه صنع من أمته أمة لا يعرف تاريخ الإنسانية أمة بلغت شأوها في فضائلها، وأقدار ساداتها وعظمة عظمائها.

إن هذا المولود العظيم ـ صلوات الله وسـلامه عليه ـ ليس في حاجة إلى إحياء ذكراه وتخليدها؛ فإن الدهر يفنى ولا تفنى ذكراه الطيبة الخالدة، ولكننا نحن ـ معاشر المسلمين المتسبين إليه، المغتبطين بأننا من أهل الإجابة لدعوته ـ في أشد الحاجة لأن يذكر بعضنا بعضاً بأن سعادتنا وهناءنا، وكرامتنا وقوتنا، وصدق انتسـابنا إلى صاحب هذه الذكرى، كل ذلك موقوف على أن نعود إلى الأخذ برسالته وأنظمتها: في أنفسنا، وبيوتنا، وأسواقنا، ومجتمعاتنا، ومحاكمنا ودور حكمنا، في كل ما اشتملت عليه هذه الرسالة الكاملة من أغراض ومبادئ وأخلاق، وأحكام ومقاصد.

علينا أن نحتفل اليوم بإحياء ذكرى (رسالة الإسلام) في عمومها وشمولها. وأول المظاهر في إحياء هذه الذكرى: أن نتخذ الأسباب للعمل بها، وأول العمل بها أن يعمل بها كل مسلم في ذات نفسه، وفيما بسط الله عليه سلطان مسؤوليته وولايته من أهل وولد، أو أمة وبلد.

إن الرسالة التي بعث الله بها صاحب هذه الذكرى ـ سلام الله ورحمته عليه ـ تنحصر في كلمتين اثنتين هما: (الحق)، و(الخير)، وإن وراء هاتين الكلمتين من مدلولات المعاني والأماني ما لا آخر له، ومجموع ذلك هو الإسلام الذي بعث الله به صاحب هذه الذكرى ﷺ، ولا نعرف أحداً يخالف الحق والخير، أو يمتعض منهما، ويعارض في إقامتهما وظهورهما، إلا أن يكون مبطلاً، أو شريراً. ولذلك كانت رسالة الإسلام عامة إلى جميع الأمم في كل زمان ومكان.

وجدير بكل من يحب الحق والخير أن يتدبر رسالة الإسلام، وما اشتملت عليه منهما؛ ليعمل بما انطوت عليه من حق وخير بقدر ما يرى فيها من مواتاة الحق والخير، وأن يصلي ويسلم عند ذلك على صاحب هذه الرسالة؛ لأنها رسالة الإنسانية الكاملة، والإنسان ـ من حيث هو إنسان ـ جدير به أن يؤمن بها، وأن يكون من أوليائها، وأن يحيا عليها إلى أن يموت عليها.

أيها المسلمون!

إذا كان الإنسان ـ من حيث هو إنسان ـ جديراً به أن يتدبر الرسالة التي ولدت بمولد هذا الرسول الكريم، وأن يعمل بها، وأن يصلي ويسلم من أعماق قلبه على المختار من الله لحملها، والدعوة إليها، وطبع أمم الأرض بطابعها، فأنتم أجدر الناس بأن تعاهدوا الله في هذه الذكرى المباركة بأن تجعلوا تدبر رسالة الإسلام أعظم أعمالكم، وأن تؤمنوا بكل ما انطوت عليه من حق وخير، وأن تعيدوا إليها جمالها بما يراه الناس من ذلك في أعمالكم. وهذا العهد أوفق العهود لذلك، ولاسيما في ذكرى مولد خير الخلق، المبعوث من الله بالهدى والحق، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من عمل برسالته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



ليس للمرأة شرعاً أن تمارس السياسة لأن درء المفاسد المترتبة على ذلك مقدم على ما فيه من مصالح[1]

قال مندوب «الأهرام»:

كان فضيلة الأستاذ الأكبر أمس عاكفاً على دراسة طائفة من المراجع الفقهية التي تحدثت في استفاضة وإبانة عن حقيقة موقف المرأة في نظر الشريعة الإسلامية، وقد ذكر لي فضيلته، أنه سوف يضع مذكرة مدعمة بالأدلة والبراهين القاطعة التي لا تدع مجالاً لقائل بأن للمرأة أن تمارس شأناً من شؤون السياسة العامة، وسوف يفرغ من هذا البحث في خلال أيام قليلة.

*** الإسلام دين الفطرة:**

ومضى الأستاذ الأكبر فقال: لست أريد بهذا البحث أن أدخل في جدل حول موقف المرأة نفسها، ولكني سأتحدث عن حكم الشريعة الإسلامية بوجه عام.

ومن الحقائق الدائرة على الألسنة، المقررة بين علماء الإسلام: أن الإسلام دين الفطرة، وكان ذلك من أسباب سرعة انتشاره، واستمرار حيويته، وازدياد الإقبال عليه في كل العصور، ولو أتيح له أن يُعرف كما هو، لكان

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الثاني ١٣٧٣هـ ـ ديسمبر كانون الأول ـ ١٩٥٢م.

هو نظام الإنسانية كلها.

ومن مظاهر كون الإسلام دين الفطرة: أنك مهما استقصيت أوامره، لا تجده يأمر إلا بما فيه مصلحة عامة، ومهما أحصيت نواهيه، لا تجده ينهى إلا عما فيه مفسدة، والإسلام يترك غير المسلمين يتحاكمون إلى أهل ملتهم، وإذا تحاكموا لدى القاضي المسلم، حكم بينهم، أو بينهم وبين المسلمين بالعدل؛ فإن العدل تابع للتحاكم، لا للإسلام، وذلك شأن دين الفطرة.

وقد توصل علماء الإسلام إلى أن يستخرجوا من مجموع نصوص الشريعة وأحكامها قواعد عامة؛ كاستخراجهم قاعدة: الضرر يزال، من مثل قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»، ويتفرع على ذلك أحكام لا تحصى في الفقه والقضاء.

ثم قال: إن القواعد شأنها أن تؤخذ من موارد متعددة في الشريعة، ولهذا كانت في نفسها قطعية، وإنما الظن القوي في تطبيقها، وذلك كاف في حق المجتهد.

وقد يرى واضع القانون الضرر الصغير في الواقع، فيمنعه، ويبيحه الشارع؛ لأنه وقاية من ضرر كبير، ومن هنا نشأت قاعدة: «ارتكاب أخف الضررين»، ومن أصولها قول الله ﷻ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾[الكهف: ٧٩]؛ فإن عيب السفينة ضرر، لكنه أخف من أخذها غصباً.

وينظر بعضهم إلى مصلحة تظهر من شيء، ولا تقع أنظارهم على المفاسد التي تنجم عنه، فيظهر لهم أنه أحكم من منعه؛ نظراً إلى مفاسده، ومن هنا نشأت في الشريعة قاعدة: «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح» ومن ذلك ما يدعيه القائلون بإعطاء المرأة حقوق الرجل السياسية؛ فإنهم نظروا

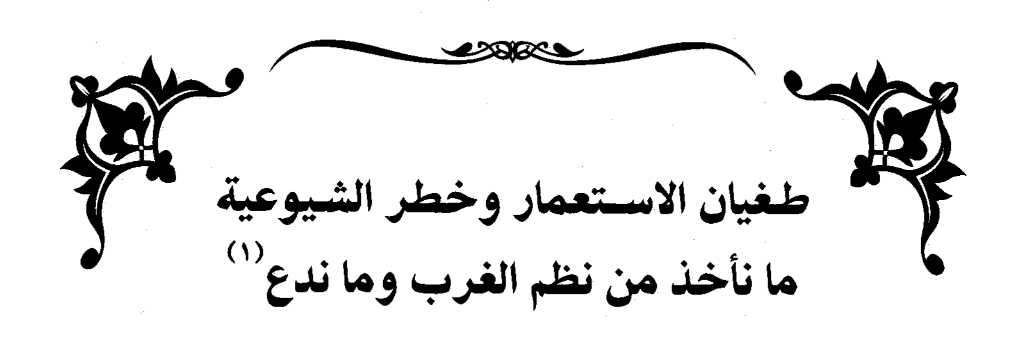
إلى ما في المرأة من مزايا، وغفلوا أو تغافلوا عما يترتب على ذلك من مضار تشاهد في كل مكان، فدفعُ المضار مقدم على ما يذكرون من المزايا.

ثم تحدث الأستاذ الأكبر مبيناً ما في الشريعة الإسلامية من النصوص والبراهين المؤيدة لهذا، فقال:

من قواعد التشريع الإسلامي قاعدة: «العادة محكمة»؛ أي: أنها تجعل حكماً في إثبات الأحكام إذا لم يعارضها نص، وابتنى عليها قولهم: «الممتنع عادة كالممتنع حقيقة»، وقولهم: «المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً»، وقولهم: «التعيين بالعرف كالتعيين بالنص»، وقولهم: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان»؛ أي: أن الأحكام التي كانت مبنية على عرف طرأ عليه التغير، تتغير بتغير ذلك العرف، فتبنى دائماً على العرف الذي لا يخالفه نص.

ثم قال: إن القواعد ـ كما قلنا ـ مأخوذة من النصوص، والنصوص لا تأتي إلا للمصلحة العامة، والمصلحة العامة تتمشى دائماً مع الفطرة الإنسانية وسعادتها، فإذا لم تجز الشريعة للمرأة أن تمارس حقاً من حقوق السياسة، فإنما قصدت بذلك الخير الشامل للمجتمع الإنساني؛ فإن وظيفة المرأة الأولى أن تكون أماً، وأن تكون ربة بيت، وقد أبيح لها أن تمارس الوظائف التي تتمشى مع طبيعتها، فإذا هي أرادت أن تتعداها، فإنما تكون قد خرجت عن الطريق التي رسمت لها، والتي تتفق مع طبيعة تكوينها، وفي هذا مضرة بها، ومضرة بالمجتمع، وشر بالإنسانية جمعاء يجب أن نتكاتف على دفعه، والله الموفق.





طغيان الاستعمار وخطر الشيوعية
ما نأخذ من نظم الغرب وما ندع[1]

قالت «جريدة القاهرة»:

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر صحفياً ألمانياً يمثل صحفاً ثمانياً، وهو (أتوبونجراتش) الذي قدم إلى مصر، وسيسافر إلى سوريا؛ ليوافي صحفه بمشاهداته في الأقطار الإسلامية.

وقد سأل الصحفي فضيلته عن رحلته في ألمانيا، فقال فضيلته: كانت هذه الرحلة في أيام الحرب الكبرى، وكنت مع الأسرى الإفريقيين أتردد عليهم، وأعود إلى برلين.

وقد زرت ألمانيا مرتين: أولاهما استغرقت تسعة أشهر، والثانية سبعة أشهر.

ثم سأل الصحفي الأستاذ الأكبر عن أهم مشكلة في نظر المسلمين.

فقال فضيلته: إننا نعمل على التخلص من طغيان الاستعمار على حقوق الأوطان الإسلامية والعربية.

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الثاني ١٣٧٣هـ ـ ديسمبر كانون الأول ـ ١٩٥٢م.

وسأل: إذا كانت روسيا من الدول الاستعمارية، فما هو خطرها على العالم الإسلامي؟

فأجاب فضيلته: إن الشيوعية نظام يخالف الإسلام، والمبادئ الشيوعية يقف الإسلام في وجهها، ولن تروج عندنا، وللأزهر وعاظه في أنحاء القطر، ومهمتهم نشر الفضائل الإسلامية، ومقاومة التطرف في أي صورة من صوره، ولن تروج الشيوعية إلا عند أفراد لا يتخذون منها مذهباً أو عقيدة، وإنما يجعلونها مغنماً مالياً.

سأل الصحفي الألماني عن رأي الإسلام والمسلمين في طرق الحياة الغربية عامة.

فأجاب شيخ الأزهر:

في نظم الغرب ما يوافق الإسلام. وهنالك نظم وتقاليد يجري عليها الغرب لا يقرها الإسلام. والذي يدعو إلى تقليد الغرب في كل شيء مغالط.

ونحن نخالف هؤلاء الدعاة فيما يخالف تقاليدنا الإسلامية؛ مثل: إعطاء المرأة الحرية المطلقة.

قال الصحفي: هل تقصد فضيلتكم أن تبقى المرأة على النظام القديم؟

فأجاب: أعني: أنها لا تختلط بالرجال الأجانب عنها.

وسأل الصحفي الألماني: هل على المرأة أن تطيع زوجها؟

فأجاب: عليها الطاعة فيما هو الحق والمصلحة. وقص فضيلته معنى ما روي عن عمر بن الخطاب: كنا معاشر قريش نغلب نساءنا، فجئنا الأنصار وهم قوم تغلبهم نساؤهم، فأخذ نساؤنا بأدب الأنصار، وكلمت زوجتي، فراجعتني في القول، فأنكرت عليها، فقالت: نساء النبي يراجعنه في القول.

فنحن نريد زوجة تطيع فيما هو حق، ولها أن تراجع زوجها متى كان الحق في جانبها.

فلما قال الصحفي: ومن يحكم بين الزوجين في الخلاف؟

أجابه الأستاذ الأكبر: المدار على خلق الزوج. وإذا كان الخلاف كبيراً، فالمرجع إلى القاضي؛ مثل: الخلافات المالية إذا عجز الأهل والأقارب عن حلها.

وهل يبيح الإسلام أن تشكو المرأة زوجها؟

نعم، لها أن تذهب إلى القاضي.

وانتقل الصحفي إلى أنه كان مع درية شفيق، وأنها تحتج على رأي الأستاذ الأكبر بالنسبة لتعدد الزوجات.

وهنا ابتسم فضيلة الأستاذ الأكبر، وقال: تحتج على رأي الإسلام؟ . . . و . . . الإسلام أباح تعدد الزوجات، وليس للزوج أن يتعدى ما حددته الشريعة.

لقد اشترطت الشريعة العدل والإنفاق، ورخصت للقادر أن يتزوج من أربع، وإذا خشي عدم القدرة على الإنفاق، كان عليه أن يقتصر على زوجة واحدة، والحكمة في تعدد الزوجات ظاهرة؛ لأن الزوجة قد تكون مريضة، وقد تكون عقيماً، والزوج يريد إنجاب الأولاد.

وكثيراً ما ترضى الزوجة أن تظل مع زوجها، وتسمح له بالزواج من غيرها.

والرجل ممنوع شرعاً من مباشرة غير زوجته، فإذا لم يبح الإسلام له الزواج، ربما ضاعت عفته.

ولما قال الصحفي: إن التعدد يشاهد كثيراً بين أفراد الطبقة الفقيرة.

أجاب الأستاذ الأكبر؛ بأن الإسلام اشترط العدل في الإنفاق والمبيت. . . ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾[النساء: ٣]، والعرب كانوا يكثرون من الزوجات، فحارب الإسلام هذا الإكثار، ونظمه، وحدده.

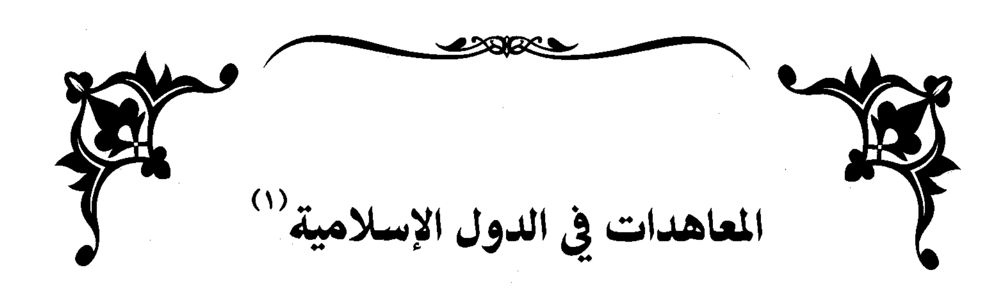
واستفسر الصحفي عن معنى ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[النساء: ٣٤]، وهل يدل ذلك على أن طبقات الرجال أعلى من طبقات النساء؟

فقال فضيلة الشيخ: إن عقول الرجال أوسع من عقول النساء، وفي النساء من هن أرجح عقلاً. والقوامة للرجال من جهة المال والإنفاق على النساء، والزوجة ذات المال غير مسؤولة عن نفقتها، ولا نفقة أولادها، إلا إذا تبرعت بمساعدة الزوج والأولاد.

ومهمتها في البيت مهمة عظيمة، والإسلام لا يمنعها من التعلم والتثقيف، على أن تباعد بينها وبين الاختلاط بالرجال الأجانب عنها.

والإسلام يرعى صالح المرأة، ويحرص على كيان الأسرة لإنشاء المجتمع القوي في الحياة.





المعاهدات في الدول الإسلامية(1)

كتب مندوب «الأهرام» يقول:

آثر الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر أن يستريح طيلة يوم أول أمس في منزله، وقد رأيت أن أقضي في صحبته بعض الوقت. وطاب له أن يطرق مع زائريه مختلف الأحاديث في عديد من الشؤون العامة الهامة. وقد رأيت أن أنتهز هذه الفرصة الطيبة؛ لأقف على رأي الإسلام حيال (المعاهدات) الدولية التي يبرمها الأقوياء مع الضعفاء، وحيال المعاملة التي يصح أن يعامل بها المسلمون ضيوفهم من (الأجانب) الذين يقيمون بين ظهرانينا، وقد تفضل فضيلته فاستهل حديثه بقوله:

*** العهود بين الدول:**

لا شك أن العهود بين الدول في أزمان السلم والحرب هي مناط الثقة في الحضارة الإنسانية، وعليها يتوقف الأمن الدولي العام، والاستقرار الاقتصادي، إذا قامت على أسس من العدل، والإخلاص في الوفاء.

*** الدس الخفي:**

غير أن مما لا ينكره أحد: أن أكبر العقول في كل دولة تتجه عند تدوين

(1) مجلة «الأزهر» الجزء الرابع ـ المجلد الخامس والعشرون ـ غرة ربيع الثاني ١٣٧٣هـ ـ ديسمبر كانون الأول ـ ١٩٥٢م.

المعاهدات إلى الدس الخفي؛ ليكون حجة في التأويل عند الحاجة إلى ادعاء ما لم يكن واضحاً منه في وقت التدوين. وإذا كانت المعاهدات والعقود الدولية بين قوي وضعيف، أو بين غالب ومن قضت عليه الظروف أن يكون مغلوباً، فقد لا يبالي القوي بأن يحتمل عناء التأويل. وإن الإنسانية لا تنسى في الحربين العالميتين تسمية الأقوياء للمعاهدات؛ بأنها (قصاصات ورق)، ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا النوع من المعاهدات، وفي طليعتها: صك الانتداب على فلسطين الذي تعهد فيه أصحابه تعهداً رسمياً صريحاً بعدم المساس بحقوق العرب، وقد رأيت ما انتهى إليه ذلك الصك من الظلم الصارخ على أصحاب البلاد الذين سلبت منهم أوطانهم وأملاكهم وحقوقهم سلباً، وقذف بهم في العراء تحت الأمطار والعواصف.

*** المعاهدة الملغاة:**

بل إن معاهدة (سنة ١٩٣٦) التي فرضت على مصر تحت ضغط الاحتلال منصوص فيها على أنه لا يسمح للإنجليز بأن يكون لهم في منطقة القنال إلا عشرة آلاف جندي، وخلافاً لذلك التعهد ضاعفوا عدد تلك القوة إلى ثمانية أضعاف ما تعهدوا به ووقعوا عليه.

*** المثل العليا:**

واستطرد فضيلته فقال:

إن المعاني الإنسانية العليا، ومدلولات الحق والعدل، هي آخر ما يخطر على البال عند الدول الحديثة عندما يجلسون إلى الموائد الخضراء ليكتبوا صيغ المعاهدات ونصوصها. أما الإسلام فقد كان في نصوصه، وتطبيقها العملي دلائلُ قائمة على أن المعاني الإنسانية لها شأن كبير في العهود التي

يعقدها المسلمون مع غيرهم في حالتي السلم والحرب. وأظهر ما تمتاز به هذه العهود إذا صدرت عن المسلمين أن تكون صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام، وكثيراً ما يراعى فيها المقابلة بالمثل، صرف النظر عن قوة أحد الطرفين وضعف الطرف الآخر.

*** الوفاء بالعهد:**

ويرى فقهاء المسلمين: أن المسلم إذا كان أسيراً في يد العدو، وأطلقوه بشرط أن يبعث إليهم مالاً، وإن عجز عن إحضار المال، عاد إليهم، لزمه الوفاء لهم؛ عملاً بقول الله ﷻ: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾[النحل: ٩١]، وقول نبيه ﷺ: «المسلمون على شروطهم».

وفي منح الأمان للعدو من المعاني الإنسانية في الشرع الإسلامي ما لا يوجد في أي تشريع آخر قديم أو حديث. ومن المعقول أن يمنح الحاكم الأعلى أماناً للأعداء جميعاً، ومن المعقول أيضاً أن يمنح قائد جيش أماناً للجيش المقابل له، ولكن مما لا يعرف إلا في التشريع الإسلامي أن يصدر عن جندي عادي في جيش إسلامي لجندي من جنود العدو، أو لبضعة جنود، أو لقافلة كاملة، ثم يصبح الجيش الإسلامي كله ملزماً بقبول هذا الأمان، والعمل به. إن هذا لا يعرف في تاريخ الأمم إلا عند المسلمين، وفي تشريعهم، وإلى هذا يشير الحديث النبوي: «ويسعى بذمتهم أدناهم»، وقد أمضى النبي ﷺ تأمين أم هانئ بنت أبي طالب لرجل من الأعداء، وقال لها النبي ﷺ: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ »، وهذا الخبر في «صحيح البخاري».

ومن عجائب التشريع الإسلامي، والمعاني الإنسانية العليا التي يرمي إليها: أن الجيش الإسلامي إذا كان محاصِراً لحصن، أو بلد، وتقدم له من

الحصن أو البلد من يتطوع بفتح الحصن في مقابل إعطائه الأمان، ثم بعد فتح الحصن اشتبه أمره، واختلط بغيره، كان على الجيش الإسلامي أن يمتنع عن قتل الجميع، والتعرض لحريتهم؛ لأن القاعدة الشرعية: أن المباح إذا اشتبه بالمحرم، وجب تغليب التحريم. وفي الحالات التي يترتب فيها على ذلك ضرر حربي عام: يؤخذ من أهل الحصن أي واحد بالقرعة، ويُعطى الأمان الذي كان موعوداً به ذلك الشخص المتطوع بفتح الحصن. وفي كل الأحوال ينبغي للمسلمين إذا وعدوا بوعد أن يفوا بوعدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وفي مذهب المالكية: أن الوعد إذا كان مسبباً، ووقع السبب، وجب الوفاء به. أما إذا لم يكن مسبباً، فالوفاء به من مكارم الأخلاق.

وإذا تبينت للجيش الإسلامي قرائن واضحة على أن العدو المعاهد يريد خيانة العهد، فلا يجوز للمسلمين المبادرة إلى نقض العهد السابق بينه وبينهم؛ اعتماداً على تلك القرائن مهما كانت قوية، بل ينبذون إليهم عهدهم علانية، وهذا منتهى النبل في آداب الحرب بين الأمم.

*** ما يجب على المسلمين نحو الأجانب:**

إن المخالفين للمسلمين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: محاربين، ومعاهدين، وذميين.

فالمحاربون: هم الذين حدثناك ببعض أحكام الإسلام المتعلقة بهم.

والمعاهدون: تقوم عهودنا معهم على أنبل الأسس الإنسانية، وأقلها مراعاة قاعدة: المعاملة بالمثل.

والذميون: ضمن لهم الإسلام أنفسهم وأموالهم وأعراضهم. وواجب

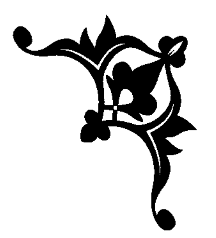
على الحكومة الإسلامية حفظهم، ومنع الغير من أذاهم، واستنقاذ من أسر منهم.

والبلاد التي فتحها المسلمون في زمن الصحابة كان في إمكان الفاتحين أن يلغوا الأنظمة الدينية التي وجدوها في البلاد، ولكنهم لم يتعرضوا لها، وأقروا رؤساء الأديان على ما كانوا عليه، بل أحسنوا معاملتهم أكثر مما كان يعاملهم به الحكام السابقون الذين كانوا من أهل دينهم، وأباحوا من الشعائر والطقوس والأحكام ما لا تبيحه الدول الأخرى غير الإسلامية حتى في زماننا هذا.

والمنصفون من المؤرخين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق، ولاسيما عند المقارنة بين الأنظمة والتشريعات. وكلما كان المواطنون ـ على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ـ أكثر إخلاصاً لأوطانهم ومواطنيهم كانت السعادة أشمل لهم جميعاً، وعاشوا مع مواطنيهم في تعاون وتراحم، وتبادل للحقوق على أحسن الوجوه وأسعدها.

وإلى هنا رأيت أن الشيخ الأكبر قد أوفى على الغاية في وضوح، فاستأذنت فضيلته في نشر هذه الآراء الطيبة، فأذن مشكوراً مقدوراً.



كفانا قوتاً من الكلام[1]

عندما أخذت طريقي لزيارة شيخ الأزهر الجديد ـ فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ـ، ووصلت إلى حجرة مكتبه في داره، كان الشيخ الجليل قد انتهى من أداء فريضة الظهر، إلا أنه بقي جالساً على سجادة الصلاة، يقرأ في كتاب «دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة». وهنا سألت الأستاذ الأكبر: هل اعتاد القراءة عقب الصلاة؟ أجاب: إنني أقرأ يا بني في كل وقت، وأعيد ما أقرأ؛ لأنني أجد لذة وطلاوة في الإعادة. تماماً كما تسمع أنت قطعة موسيقية جديدة، فلا تتذوقها إلا بعد أن تستعيد سماعها مرات ومرات.

*** القراءة رياضة:**

ولما طلبت من الشيخ الوقور أن يحدثنا عن نوع الكتب التي يفضلها، أجاب بأنه يحب كتب الأدب القديمة والحديثة، ويعتبر كتاب ابن القيم، في الرد على المنطقيين أحسن كتب المنطق على الإطلاق، وعندما جاء ذكر بعض الكتب الحديثة، ابتسم في طيبة وهو يقول: هذه يُسأل عنها الشباب مثلكم.. ثم أطال الشيخ النظر إلى الكتاب الذي في يده ذاكراً أنه يعتبر القراءة رياضة فكرية لازمة، لا مجرد هواية، وهو يقرن هذه الرياضة الفكرية برياضة أخرى بدنية يمارسها، وهي المشي لمسافات طويلة.

---

(١) مجلة «المصور» العدد ١٤٥٩ تاريخ ٢٦ ـ ٩ ـ ١٩٥٢م ـ القاهرة.

*** هذه مؤلفاتي:**

وعندما أردنا أن نحصل على المزيد من المعلومات حول حياة الشيخ العلمية، سألناه: هل يهوى الكتابة أيضاً؟ فأجاب باسماً: وهل هناك من يجيد القراءة ولا يكتب؟

ثم قام إلى رفوف الكتب ليتناول منها بعضاً قائلاً: هذه مؤلفاتي، هذا الكتاب رد على كتاب «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق، وهذا نقد لكتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي»، وهذه «رسائل في الإصلاح»، وهذه مجاميع مجلة «السعادة» التي كنت أصدرها في تونس، وهذه مجلدات مجلة «الأزهر» التي رأست تحريرها سنوات، إنني كما ترى صحفي مثلكم.

*** رسالة رجل الدين:**

وقمنا إلى الصالون المتواضع ـ وكل شيء في دار الشيخ يتحدث عن البساطة والتواضع ـ، وإذا بالشيخ يسرع بغلق (الراديو) الذي كان يعلن عن إذاعة أغنية طائشة، والتفت إلينا شيخ الأزهر يقول: إن الناس يسمون المناداة بالإصلاح ـ من قبل رجال الدين ـ: رجعية وتعصباً، ويسمونها: حسماً وحزماً إذا ما أتت من رجال الحكم، ولذلك أرى أن رسالة رجل الدين تقتضيه أن ينبه الحكام إلى الشر، ويترك لهم مكافحته والقضاء عليه.

*** لن أذيع برنامجي عن الأزهر:**

وقلنا للأستاذ الأكبر: ما هو برنامجك الإصلاحي في الأزهر؟ فأجاب في بساطة: ليس لدي برنامج مدروس، إذ كنت لا أتوقع أبداً أن أكون يوماً شيخاً للأزهر، بعد أن قضيت عمراً طويلاً أدرس علم السياسة الشرعية في كليتي الشريعة وأصول الدين، ثم أحلت على المعاش بعد عشرين عاماً في

هذا العمل، ولزمت بيتي.

واليوم فإني سأعد برنامجاً للأزهر، ولكني لن أذيعه، فأنا لا أرضى لنفسي أبداً أن يخيب في أمل أو رجاء، أو أتهم بالكذب والخداع، إذا ما اعترضت مشروعاتي العقبات، ولم أستطع تنفيذها. إنني أفضل أن أترك أعمالي المنجزة تتحدث بدلاً من أن أذيع برامج مفصلة قد تتم، وقد لا أتمكن من إتمامها.

*** لست عجوزاً:**

وسكت الشيخ لحظة، ثم استطرد يقول: ولعلكم تنظرون إلي نظرتكم إلى رجل عجوز هرم، ولكن هذه الشيخوخة البادية هي نتيجة الكفاح السياسي، أما القلب والرأس، فما زالا فتيين.

ولما حدثت الشيخ عن الوقود الذي تحتاج إليه الثورة الإصلاحية؟

ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يقول: «أليس الحطب اليابس هو وقود النار، والعيدان الخضراء الطرية لا تستطيع أن تشعل النار وحدها أبداً. . . لقد تخرجت وطنياً متطرفاً في مدارس الثورات، قبل أن أتخرج عالماً دينياً في جامع الزيتونة بتونس».

وهنا حاولنا أن نحمل الشيخ على أن يتحدث فيما شاب مشيخة الأزهر من أخطاء قديمة، فأجاب: (لا حق لي في أن أنصب نفسي قاضياً على أعمال الناس، وإنما علي أن أعتبر من هذه الأخطاء).

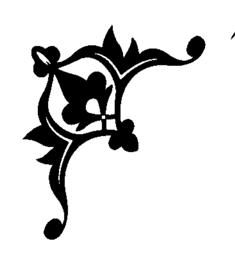
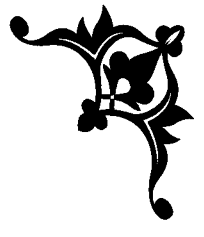
*** الأفندية الثلاثة:**

ولما دعونا الأستاذ الأكبر أن يحدثنا عن ظروف اختياره للمنصب الديني الكبير، قال: «كنت أتأهب للنوم بعد العاشرة مساء، عندما جاءت الخادم

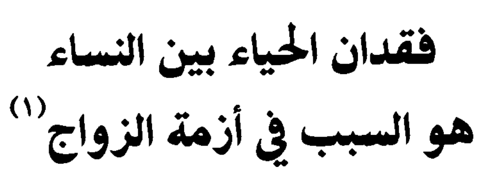
تنبئني أن (ثلاثة أفندية) جاؤوا لزيارتي، وفوجئت بهذا؛ لأن أحداً لا يزورني في مثل هذه الساعة، خصوصاً وأنا أعيش - مع زوجتي - وحيدين معتكفين، ولم يرزقنا الله بأولاد».

وخرجت إلى الزائرين، فعرفت منهم: فضيلة الشيخ الباقوري وزير الأوقاف، الذي أعرفه معرفة وثيقة قديمة، فسارع يقول: لقد وقع الاختيار عليك لتكون شيخ الأزهر، وقد جئت مع زميلي - ثم قدمهما إلي -؛ لنبلغك هذا القرار، ولما حاولت الاعتذار بعدم استحقاقي للمنصب الخطير؛ لضعف صحتي، قال الشيخ الباقوري: «هذا أمر تجنيد، وفي هذا العهد المبارك تجند الكفاءات النزيهة لخدمة مصر» فأجبت: «وأنا لا أهرب من الجندية، وليوفقنا الله»، وودعني الوزراء الثلاثة الكرام، بعد أن ألقوا إلي بهذه المهمة الكبيرة. . .



فقدان الحياء بين النساء هو السبب في أزمة الزواج[1]



قال مندوب «الأهرام»:

قلت لفضيلة الأستاذ الأكبر: إن التطور المبارك الذي أقبلت عليه مصر منذ تم الانقلاب الأخير قد وجه الأنظار إلى كثير من أوضاعنا الاجتماعية، وما ينبغي أن يتناولها من إصلاح. وفي مقدمة ما يخطر على البال الآن من ذلك: حالة المرأة في خارج منزلها. وقد رأينا كثيرين من الرجال، بل ومن النساء يحبون أن يقفوا على الحدود التي عينها الشرع الإسلامي في ذلك؛ ليلتزموها، حتى تكون الأمة صالحة في كيانها العائلي، فيتم لها بذلك ما تنشده الدولة من الصلاح الاجتماعي. فهل لكم أن تتفضلوا ببيان حكم الشريعة الإسلامية في هذه الناحية الاجتماعية ذات الأثر والخطر؟

وقد أجاب فضيلته بقوله:

إن صلاح الأسرة هو الأساس الذي يقوم عليه صلاح المجتمع، وإصلاح الأسرة يحتاج من قادة الرأي وحكماء الأمة إلى تفكير طويل، وإرشاد حكيم، سيتسع له الوقت في المستقبل القريب ـ إن شاء الله ـ. أما الآن، فإن أهل القابلية للخير من الرجال والنساء، يستطيعون أن يخطوا الخطوة الأولى

---

(١) مجلة «الأهرام» ـ العدد ٢٤٠٨٩ تاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٩٥٢م.

بتعميم الحشمة، وإيثار الصيانة والستر، والحرص على كمال المظهر للمرأة المسلمة إذا كانت في خارج منزلها، أو مع غير ذي محرم. ومن نعم الله على مصر ـ وعلى سائر الأقطار الإسلامية أيضاً ـ، أن السواد الأعظم من الأمة، وهم سكان الريف، يكاد يكون ما اعتاده نساؤهم من لبس الثياب السابغة، والبعد عن الزينة والتبرج، وستر رؤوسهن بالخمار الوطني المألوف، هو الذي يطلبه الإسلام من نسائه.

ولو أن نساء المدن والعواصم ظهرن في خارج منازلهن بالأثواب السابغة، وهي التي لا تكون مقطعة على قدر الجسم، ولا مزيداً عليها ما لا حاجة إليه مما يقصد به تزيينه، لكان ذلك أبعد لهن عن استهواء الأبصار، وتطلع الأشرار.

روى الإمام ابن جرير الطبري في «تفسيره» (ج١ ص٩٣) عن عائشة أم المؤمنين، قالت: (دخلت عليّ ابنةُ أخي لأمي عبدِالله بن الطفيل مزينةً، فدخل النبي ﷺ، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله، إن ابنة أخي جارية (أي: فتاة لم تتزوج)، فقال: «إذا عركت المرأة (أي: حاضت)، لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون ذلك»، وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى).

وفي «سنن أبي داود» من حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ: أن أختها أسماء دخلت على رسول الله ﷺ، وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال: «يا أسماء! إذا بلغت المرأة الحيض، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا»، وأشار إلى وجهه وكفيه.

ومعنى هذا: أن المرأة المسلمة لا يجوز لها أن تظهر لغير محارمها إلا

بمثل ما تكون عليه في صلاتها، هذا هو الدين.

وإن أكثرية المسـلمين والمسـلمات يحبون ـ ولله الحمد ـ أن يعرفوا الدين؛ ليقوموا به، ويلتزموه، فيكونوا من الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه. لذلك فإن المرأة المسلمة لا ينبغي لها أن تظهر في خارج بيتها، ولا مع غير محرم لها إلا بثوب سابغ لا ينم عن شيء من أعضاء الجسم. وأن تتصور دائماً: أن الله يراها في جميع أحوالها، كما يراها وهي في صلاتها.

ومما أمر الله به نساء المسلمين في سورة النور من كتابه الحكيم: أن لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن. والزينة في كل ما يقصد به التجمل من ملبس وحلي أو كحل، أو ما إلى ذلك.

إن في المسلمين خيراً كثيراً، وأمة محمد كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره، وكما دخلت الأمة الآن في عهد جديد من إصلاح النفوس والقلوب والمعايش والأخلاق، فإن الذين يتوخون رضاء الله ﷻ من رجال المسلمين ونسائهم يستطيعون أن يبدؤوا عهداً جديداً في التقرب من الشريعة الطاهرة في كل ما يستطيعونه من حياتهم البيتية والاجتماعية، وفي طليعتها: تعديل مظاهر النساء، والابتعاد بها عما يسخط الله ﷻ، وينافي آداب الإسلام.

وكما أن للشر عدوى تنتقل من أهله إلى غيرهم، كذلك للخير عدوى تنتقل من أهله إلى غيرهم. ومتى بدأ أهل الخير من المسلمين والمسلمات بالتزام شريعتهم من هذه الناحية، فإن عدوى هذا الخير لا تلبث أن تسري منهم إلى سائر الناس، وأول ما سينتج عن ذلك من أثر طيب: إقبال الشباب على الزواج باحثين عن البيوت التي تغلب عليها الحشمة، والتي تتربى بناتها على آداب الدين؛ لأن هذا العنصر هو المطلوب الآن لتأسيس البيوت، وإنشاء

الأسر، وما الإعراض عن الزواج إلا بسبب ما يتوهمه طلاب الزواج من فقدان الحياء بين النساء؛ لما يشاهدونه بأعينهم في الشوارع والأسواق مما هو معروف للجميع. وإن الدين خير كله، ومن أعظم الخير في الدين: ما أرشد إليه النساء المسلمات من آداب يكسبهن كمالها جمالاً هو الذي يبحث عنه الرجل الكامل؛ ليقيم عليه دعائم البيت السعيد...

وهنا رأيت أن فضيلته قد أوفى على الغاية، وأماط اللثام عن حكم الشريعة الإسلامية فيما يجب أن تكون عليه المرأة خارج المنزل وفي الشوارع والأسواق العامة، في المجتمعات والحفلات. فاستأذنت فضيلته في نشر هذا الحديث فتفضل وأذن.





النفاق والملق والمداراة أمام الحكام[1]

للفضائل حدود تنتهي عندها، فإذا تجاوز المرء بفضيلة من الفضائل الحدود التي تنتهي عندها خرج بها عن مدلولها، وأوشك أن ينزلق في مهاوي الرذيلة التي تناقضها.

ومن هذه الفضائل (المداراة). وقد التبست على كثير من الناس، فأطلقوها على ما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال هي أدخل في باب (المداهنة) وأشبه بها. والمداهنة ما شاعت في جماعة إلا تقلصت الكرامة من ديارهم، وكانت الاستكانة شعارهم، ومن ضاعت كرامتهم، وداخلت الاستكانة نفوسهم. جالت أيدي الطغاة في حقوقهم، وكان الموت أقرب إليهم من حبال أوردتهم.

إن الناس خلقوا للاجتماع لا للعزلة، والتعاون لا لينفرد كل واحد بنفسه، وللإنسان عوارض نفسية من الرضا والغضب، والحب والبغض، والاستحسان والاستهجان. فلو أنه كاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي حال، لاختلَّ المجتمع، ولانقبضت الأيدي عن التعاون، فكان من آية الله في خلقه أن هيأ لهم أدب المداراة، ليتحاموا به ما يحدث التقاطع بينهم أو يدعوهم إلى التخاذل.

---

(١) جريدة (الأهرام) ـ العدد ٢٤١٨٥ تاريخ ٣١ / ١/ ١٩٥٣.

والمداراة، يبتغى بها رضا الناس وتأليفهم في حدود ما ينبغي أن يكون. ولا ينافيها القضاء بالقسط ولا إلقاء النصيحة في رفق. ومن ذلك قول أبي حازم، من أعلام التابعين للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، حين دخل عليه ووعظه، فقال له: (إنما أنت سوق، فما نفق عندك حمل إليك من خير أو شر، فاختر أيهما شئت).

وينبغي أن تكون مداراة العاقل لمن يرجو منه العود إلى الرشد، ويأنس من فطرته شيئاً من الطيب، فوق مداراته لمن شاب على لؤم الخلق وعوج العقل، حتى انقطع رجاؤه من أن يصير ذا خلق كريم أو عقل سليم.

والمداراة خصلة كريمة يحكمها الأذكياء، ولا يتعدى حدودها الفضلاء، والحكيم يراعي في مقدراها وطريقتها ما ينبغي أن يكون. قال الإمام سحنون، في وصيته لابنه محمد (وسلّم على عدوك وداره، فإن رأس الإيمان بالله مداراة الناس). وفي سيرة القاضي يحيى بن أكثم، أنه كان يداعب خصمه وعدوه. وقد تبلغ المداراة إلى إطفاء العداوة وقلبها إلى صداقة، قال محمد بن أبي الفضل الهاشمي، قلت لأبي: لم تجلس إلى فلان وقد عرفت عداوته؟، قال: أخبي ناراً وأقدح وداً.

أما المداهنة فهي إظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل أو عمل مكروه، وهي تضم تحت جناحها الكذب وإخلاف الوعد. أما الكذب فلأن المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه منه، ومن دخل إلى الكذب من باب، سهل عليه بعد ذلك أن يأتيه من سائر الأبواب.

وأما إخلاف الوعد فلأن المداهن يقصد إلى إرضاء صاحبه في الحال، وليس من الصعب عليه ـ وقد مرن على الكذب ـ أن يخلف الوعد

ويختلـق لإخلافـه عـذراً.

والمداهنون يجعلون ألسنتهم طوع مرضاة القوي والوجيه، فيعجلون إلى قول ما يشتهي أن يقولوا، يمدحون ما يراه حسناً وإن لم يكن في الواقع حسناً، ويذمون ما يعدّه سيئاً، وإن لم يكن في الواقع سيئاً. أما الذين يعرفون ما في المداهنة من شر، ويحزنهم أن يظهر الشر على يد من في استطاعته الخير، فيربؤون بألسنتهم أن تساير أحداً في غير حق، ويؤثرون نصح القوي والوجيه على أن يزينوا له ما ليس بزين.

إن العبور إلى النفع على جسـر من المداهنة يحرم صاحبـه من أفضل الأخلاق وأعلاها وهو الصـدق، بعد أن يحرمه من أطيب لـذة وهي ارتياح الضمير. وإذا كان في الناس من يحـرص على أن يكون صـديقاً للطوائف المتباينة، فإن الرجل الطيب منهم يأبى أن يلوث صدره بصداقة من يتملق الرجل الخبيث.

قال رجل لعبدالله بن عمر بن الخطاب: إنا ندخل على أمرائنا، فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، فأجابه عبدالله بن عمر: (كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ). وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «يعد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». ومن عظماء الرجال من يبغض المداهنة ولا يقبل من جليس مبالغة في مدح أو مسايرة. ومن المثل الكامل لهؤلاء العظماء عمر بن عبد العزيز ﷺ، فإنا نقرأ في سيرته، أنه قال لجرير، الشاعر حين دخل عليه بقصيدة يهنئه فيها بالخلافة: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً. وقال له رجل مرة: طاعتكم مفروضة، فقال له: كذبت، لا طاعة لنا عليكم إلا في طاعة الله.

وكتب طاهر بن الحسين في كتاب وصيته الذي بعث به إلى ابنه عبدالله بن طاهر: وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في ستر، وإعلامك بما فيه من النقض، فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك.

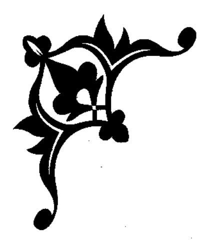
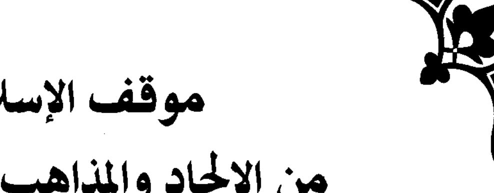
ولما ابتنى الخليفة عبد الرحمن الناصر، الأموي صرح (القبيبة) في قصر الزهراء، اتخذ لسطحه قراميد من ذهب وفضة، وجلس فيه أعيان الدولة، وكان مما قاله لهم مفتخراً: هل رأيتم أو سمعتم من فعل هذا قبلي؟ فقالوا: إنك الأوحد في شأنك كله. ثم تكلم القاضي المنذر بن سعيد، فوعظ الخليفة وعظاً بليغاً، وتلا عليه قول الله ﷻ ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[الزخرف: ٣٣]. فأطرق الناصر ملياً، ثم أقبل على المنذر بن سعيد وقال له: جازاك الله يا قاضي عنا وعن نفسك خيراً، وعن الدين والمسلمين أجل جزاء، فالذي قلت هو الحق. وقام من مجلسه ونقض سقف (القبيبة) وأعاد قرمدها تراباً. والأجلاء من علماء الإسلام الذين كانوا يداخلون رجال السياسة فينعقد بينهم التئام أو صداقة، كانوا يأخذون بسنة المداراة، ولم يكونوا فيما قرأناه من سيرتهم، يتلطخون برجس المداهنة، ولو شئنا أن نضرب الأمثال على ذلك من التاريخ لامتلأت بفضائلهم المجلدات.

ويحدثنا التاريخ أن بعض المنتمين إلى العلم من عبيد الدنيا، كانوا يتملقون أولي الأمر من المسلمين، وقد يفتونهم بغير ما أنزل الله، ومنهم من يتملق الغاصبين ويرضى أن يكون جسراً يعبرون عليه إلى قضاء مآربهم التي يكيدون بها للإسلام والمسلمين.

وقد يسمي المنتمي للعلم من هؤلاء تملقه للظالمين أو المخالفين الغاصبين مداراة ليقضي بعض المآرب الشخصية، وربما زعم أنه يقضي بهذا التملق مصالح وطنية، والواقع أن اتصال العالم بالمخالفين الظالمين، وهو يستطيع أن لا يتصل بهم، وصمة في عرضه لا يغسلها ماء، وجناية على الدين خاصة والأمة عامة، أما أنه وصمة في عرض هذا العالم، فلما عرف عن الظالم أو الغاصب أنه لا يقبل بوجهه ولا يضع يده إلا في يد من اختبر سرائرهم ووثق من إخلاصهم، وأما أنه جناية على الدين، فلأن ذلك الاتصال الآخذ اسم الصداقة للغاصب خروج عن الدين الذي ينهي عن مودة أعدائه، وأما أنه جناية على الأمة عامة، فإن هذا المنتمي للعلم لا يتحامى أن يرضي المتغلبين المخالفين بالمساعدة على أعمال يفسدون بها على الأمة أمر دينهم أو دنياهم.

إن واجبات أساتذة التربية ودعاة الإصلاح في هذا العهد، أن يعنوا بتطهير نفوس النشء وقلوب الشباب من هذا الخلق الذميم، خلق المداهنة، وينفوه من أرضنا وتكون أوطاننا ومدارسنا منابتها نشء يميزون المداهنة من المداراة، فيخاطبون الناس في أدب رقيق وشجاعة نبيلة، ويحترمون من لا يلوث أسماعهم بالملق ولا يكتمهم الحقائق متى اتسع المقام لأن يحدثهم بها في صراحة ووضوح.

وسكت الشيخ الأكبر، وعاد بعد هنية يقول: أظن أنني قد أوضحت رأي الشريعة الإسلامية في هذا الخلق الذميم الذي يمشي به بعض الناس في هذا العصر، وما دروا أنهم يجنون على أنفسهم بآثاره، قبل أن يجنوا على غيرهم من الناس.

موقف الإسلام من الإلحاد والمذاهب الهدامة[1]

سأل مندوب مجلة الصداقة التي تظهر بالقاهرة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر عن رأيه في موقف الإسلام من الإلحاد والمذاهب الهدامة فأجاب الأستاذ الأكبر قائلاً:

إن من المذاهب التي تسيطر على بعض نفر من الناس الاتجاه إلى الإلحاد، وهو ربط الإنسانية بالطبيعة وأحداثها، دون الالتجاء إلى خالق مدبر لهذا العالم. والأزهر باعتباره مركزاً للثقافة الإسلامية، وهي ثقافة مستمدة من تعاليم الإسلام، يحارب الإلحاد في جميع صوره، ويحارب الملحدين أنّى وجدوا، لأن مثل هذا الاتجاه لو ساد جماعة من الجماعات، لتغير نظامها من استقرار إلى اضطراب، وأصبح أفرادها جميعاً ينشدون ما على وجه الأرض، ويتخاصمون ويتنابذون بالألقاب في سبيل الحصول عليه، ومثل هذه الخصومة لا تجعل هناك طمأنينة لهذه الجماعة، وتجعلها أقرب ما تكون إلى الهدم منها إلى البناء، وأميل إلى الحرب منها إلى السلام.

ومن المذاهب والاتجاهات التي يجعلها الأزهر مناوئة للإسلام وتعاليمه، الشيوعية العالمية، فضلاً عن أنها تقوم على محاربة الأديان وتمكين النزعة

---

(١) جريدة (الأسبوع) التونسية العدد ٣٣٣ لعام ١٩٥٣.

المادية وحدها في توجيه الناس، فإنها تدعو من جانب آخر إلى تقويض كثير من تعاليم الإسلام سواء أكانت في دائرة الأسرة أو في معاملة الأفراد بعضهم ببعض، أو في مجال الحرية الفردية. والإسلام إذا حارب النزعة المادية سواء أكان في الاتجاه الإلحادي أو في المذهب الشيوعي فإنه ينشد سعادة الأفراد وسعادة الجماعات والشعوب، كما يريد أن يجعل من الجزاء الأخروي جزاء له قيمته في نظر الناس يفوق الجزاء المادي.

وإذا ساد اعتقاد الناس في الله وفي جزائه في الحياة الأخرى وفي عدله في هذا الجزاء، فإنهم لا شك مقتربون بعضهم إلى بعض، وبالتالي طارحون للمنازعات الشخصية الفردية حول الرغبات المادية، لأنهم سيجدون عوضاً أيما عوض في الجزاء الأخروي بدلاً عن هذا الجزاء الدنيوي المادي. وخصومة الإسلام لتعاليم الشيوعية في الأسرة والجماعة والمجال الحيوي للفرد، وهو ينشد في هذه الخصومة أيضاً تحقيق سعادة الأفراد والجماعات وتقديس أنواع المعاملات بين الأفراد بعضهم إلى بعض وتقدير الأنساب الإنسانية في الأسرة وروابط الزيجة فيها.

والأزهر بعنايته بنشر الإسلام والثقافة الإسلامية، يبغي مكافحة سيطرة النزعة المادية والإلحادية، ويرغب رغبة أكيدة في أن يكون للجانب الروحي مكانه في توجيه الإنسان، إذ الإنسان في نظر الإسلام ليس مادة جسمية فقط، وإنما هو روح قبل كل شيء يتصل بها هذا الجسم المادي.

وقال المندوب: هل لي الآن بعد أن عرفت موقف الأزهر تجاه هذا الموضوع أن أعرف على سبيل الإجمال الوسيلة التي يتخذها الأزهر في مكافحة المذاهب الهامة؟

فأجاب فضيلته الأستاذ الأكبر:

إن الأزهر كمركز للدراسات الإسلامية والعربية في العالم الإسلامي كله، ينتسب إليه أكثر من ثلاثة وعشرين ألفاً من الطلاب، سواء كانوا من مصر أو وافدين من البلاد الإسلامية الأخرى، ففي كل عام يتخرج عدد كبير منهم، يبقى في مصر بعضه، ويعود إلى وطنه البعض الآخر، وهؤلاء جميعاً متفاوتون في التوجيه، فمنهم من تخصص في مهنة التدريس، ومنهم من تخصص في الوعظ والإرشاد، ومنهم من تخصص في وظائف القضاء.

وهؤلاء جميعاً أيضاً هم دعاة للفكر الإسلامي وللتعاليم الإسلامية، دعاة للترابط بين المسلمين بعضهم ببعض وتوجيههم وجهة واحدة، ودعاة أيضاً لمكافحة المذاهب المنحرفة الهدامة بين الجماعات والشعوب الإسلامية، وبحكم اختلاف المتخرجين في الأزهر في التوجيه والمهنة، نيط ببعضهم تثقيف النشء وتوجيهه الوجهة الإسلامية وتعليمه اللغة العربية، ونيط بالبعض الآخر تثقيف عدا هؤلاء من أفراد الجماعة وبالأخص الجماهير، فالمدرسون منهم توكل إليهم مهمة التربية في المدارس والمعاهد، والمتخرجون في الوعظ والإرشاد يوكل إليهم تثقيف الجماهير في المساجد أو في المجتمعات العامة أو في الشوارع في الثقافة الإسلامية وتوجيههم نحو مبادىء الإسلام التي من أهمها تقريب الصلة بين العبد والله، والاعتقاد بتمايز الأفراد في الرزق والكسب، وبأن الدنيا وزخرفها ليسا كل شيء في الوجود ولكن هناك متعة أخرى وجزاء آخر هو ما يقع في الدار الآخر.

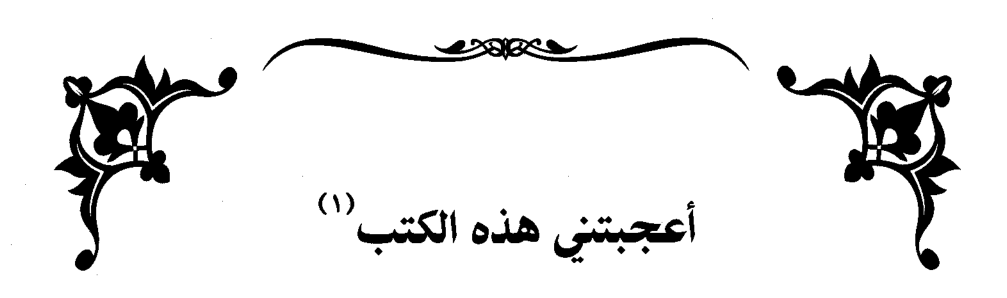
والمصريون من المتخرجين في الأزهر، لا يقصر مجال نشاطهم على مصر، وإنما يذهبون لمعاونة إخوانهم ممن يتخرجون من الأزهر من البلدان

الأخرى في أوطانهم ويشتركون معهم سواء في مساعدة النشء أو في توجيه الجماهير والجماعات.

فرسالة الأزهر ليست رسالة ثقافية دينية محلية وإنما هي مهمة عالمية إسلامية، والإسلام نفسه ليس ديناً روحياً للفرد وحده، وإنما هو دين للفرد والجماعة في أصغر صورها وهي الأسرة إلى أكبر هذه الصورة وهي الناس قاطبة.

والأزهر كما يُعنى بمكافحة هذه المذاهب الهدامة في مصر وفي البلاد الإسلامية الأخرى، يُعنى بنشء آخر له أهمية، وهو توطيد حسن العلاقات بين الشعوب الإسلامية من جانب والشعوب الكتابية من جانب آخر، لأنه يرى أنه من مصلحة السلام عامة أن يوجد حسن التفاهم هذا، وذلك عن طريق نشر الإسلام في صورته الصحيحة في هذه البلدان غير الإسلامية، لإعطاء صورة واضحة عن الإسلام والحياة الإسلامية في صورها المختلفة، لأنه يرى أن إعطاء صورة سليمة صحيحة عن الإسلام كفيلة بتقدير غير المسلمين للمسلمين، وبالتالي كفيلة بتحسين العلاقات بين الفريقين.





أعجبتني هذه الكتب[1]

سأل محرر هذه الصحيفة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، أن يكتب رأيه عن أحسن كتاب قرأه، فتفضل بكتابة هذا المقال:

طالعت كتباً كثيرة في الفنون التي درستها، فاستفدت منها ما يرتضيه العقل لاستناده إلى أصل مسلم به أو نقل صحيح.

ويعجبني تفسير ابن عادل المسمى «اللباب في علوم الكتاب» ومؤلفه

---

(١) جريدة (المصري).

وصلتني المقالة قصاصة من الجريدة دون ذكر رقم العدد أو تاريخه من رجل فاضل محب للإمام يعمل في خدمة الكتاب الإسلامي وقد أرفقها بكلمة يقول فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم). سيدي الأستاذ علي الرضا، أعلى الله قدره وحفظه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فإني أعتذر عن تقصيري في التحرير لسيادتكم حيث أني كنت ولا زلت مريضاً. وإني إذ أبعث هذا الخطاب المقتضب لأرجو الحق تعالى أن يمن عليّ بالشفاء العاجل ببركة دعائكم وجاه أجدادكم العلماء الأعلام.

ومرفق طيه ما سبق أن نشرته جريدة المصري في أحد أعدادها لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر السابق رحمه الله وقدس سره، فلقد كان من أعظم المجاهدين في سبيل الله تعالى بكل قواه، تغمده الله برحمته، وجعلكم مرآة كاملة لجهوده.

وختاماً أرجو قبول أسمى الأماني. المخلص عبد الحميد الشيمي.

أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن عادل الدمشقي من علماء آخر القرن التاسع الهجري، ويوجد منه أجزاء في دار الكتب المصرية ومكتبة جامع الزيتونة.

ويعجبني كتاب «قانون التأويل» للحافظ أبي بكر بن العربي المتوفي سنة ٥٤٣هـ، وهو تفسير للقرآن الكريم، وقد رأيت منه جزءاً في دار الكتب المصرية، ونبه فيما طالعته على أن المفسر للقرآن لا يصح له أن يذكر فيه الإسرائيليات، وإنما ينظر فيه إلى ما يطيعه اللفظ والروايات الصحيحة.

وأطلعت له على كتاب (ترتيب المسالك في شرح موطأ الإمام مالك) في بلاد الجزائر، كما اطلعت له على كتاب (القبس شرح موطأ مالك بن أنس) موزعة أجزاؤه في تونس والجزائر، واطلعت على جزء في تونس وجزأين في الجزائر، ويعجبني في مؤلفاته أنه يصرح برأيه الخاص في الحكم الذي يذكره مستنداً للدليل.

ويعجبني في النحو «شرح الخلاصة» لأبي إسحاق الشاطبي صاحب «الموافقات»، فإنه أحسن الشروح على ألفية ابن مالك، وتوجد منه أجزاء في مكتبة الأزهر ودار الكتب المصرية، وجزآن في المكتبة الصادقية بتونس، وكنت أطالعه أيام كنت أدرس «شرح الأشموني على الخلاصة» بجامع الزيتونة. ويضل الإنسان في الغوص على مسائل الإعراب بهذا الكتاب. وقد علمت وأنا بتونس أنه يوجد في خزائن كتب جامع الزيتونة.

ويعجبني كتاب «في الصناعتين» غير كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ويوجد في المكتبة الصادقية بتونس، وهو ناقص من أوله بعض صحائف، ولم أر في مكاتب الشرق التي زرتها مثله أو نسخة منه، ومكتوب

على ظهره مناهج الأدب لحازم.

ورأيت في «عروس الأفراح» أن من الكتب التي اطلع عليه مؤلفها كتاب «مناهج البلاغة وأسرار الأدباء» لحازم. وقال بعض المؤرخين في تونس يترجم لحازم: وله كتاب اسمه «سراج البلغاء» في البلاغة. ولكن الإنسان يعرف بمطالعته كيف يغوص على أسرار الأدب، ويدرك الشعر الفائق من الشعر النازل، والنثر الداني من النثر الرفيع. وعرفت أخيراً أنه أخذت منه نسخة على ما هو عليه بآلة التصوير (المكروفيلم) ووضع في دار الكتب المصرية.

وحازم هذا هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي المتوفي بتونس سنة ٦٨٤هـ. قدم تونس ومدح أميرها المستنصر بالله بمقصورته المشهورة وقصيدته الطائية التي يقول فيها:

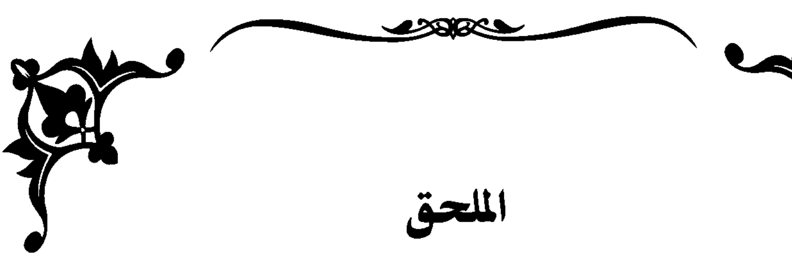
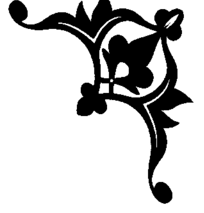
كأن ضياء الشمس وجه أميرنا إذا ازداد بشراً في الوغى وإذا أعطى

وقصيدته الرائية التي يقول فيها:

وقد شابه الأعداء جمعاً مؤنثاً لذاك غدت في حالة الفتح تكسر

وهكذا ضمنها بعض أحكام عربية يبعد بها عن الشعر العربي، وإنما يرتاح له من درس العربية إذ يرى التورية محكمة.



الملحق

«رأيت من الأمانة العلمية والواجب القائم عليَّ نحو الإمام محمد الخضر حسين أن ألحق أحاديثه في رحاب الأزهر بملحق موجز.

ولئن كان هذا الملحق بما تضمنه من مدح وثناء وأخبار وأنباء ـ لا يقدم ولا يؤخر في مكانة الإمام عند ربه ـ غير أني وجدت فيها ما قد ينتفع به الباحث والمؤرخ والدارس ورجل الفكر من معلومات قد تسعفه في غرض يرمي إليه.

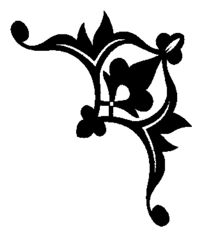
وإيراد ما قيل في الإمام على لسان العلماء والأدباء والشعراء ورجال الصحافة يحتاج إلى مئات من الصحف يضيق عنها المجال، كما أنه ليس ميدانها هذا. . وقد اكتفيت ببعض منها، اخترتها حسب ما اعتقدت أن فيها النفع إن شاء الله.

يتضمن الملحق:

- أخبار مشيخة الإمام للأزهر. واستقالته.
- ما قاله علماء أزهريون في الإمام.
- ما نظمه الشعراء في الإمام.
- وفاة الإمام وما قيل بالمناسبة.

ونسأل الله أن يلهمنا الصواب في أعمالنا آمين».

علي الرضا الحسيني

قرار تعيين
الإمام شيـــخ الجامع الأزهر

باسم حضرة صاحب الجلالة ملك مصر والسودان.

هيئة الوصاية.

بعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له، وبناء على ما عرضه رئيس مجلس الوزراء وموافقة رأي هذا المجلس.

أمرت بما هو آت:

١ ـ عين الشيخ محمد الخضر حسين عضو جماعة كبار العلماء شيخاً للجامع الأزهر بدلاً من الشيخ عبد المجيد سليم الذي أحيل إلى التقاعد بناء على طلبه.

٢ ـ على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ هذا الأمر.

صدر بقصر عابدين في ٢ المحرم سنة ١٣٧٢
٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٢

محمد عبد المنعم ـ محمد بهي الدين بركات ـ قائم مقام أركاب حرب محمد رشاد مهنا.

❑ ❑ ❑



نص كتاب اللواء
محمد نجيب إلى شيـــخ الأزهر

حضرة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر:

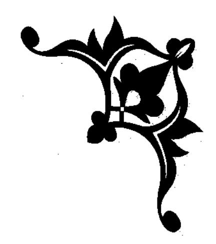
يسرني أن أبلغ حضرتكم ـ مع مزيد الارتياح ـ صورة الأمر الملكي الصادر بتوجيه مشيخة الأزهر إلى عهدتكم.

وإني أنتهز هذه الفرصة فأقدم إلى حضرتكم عظيم التهاني على هذه الثقة الكريمة، وأرجو للأزهر وأهله على أيديكم كل تقدم ورقي.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

رئيس مجلس الوزراء
محمد نجيب
القاهرة في ٤ من المحرم
سنة ١٣٧٢
٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٢

❒ ❒ ❒

الأزهر للمسلمين جميعاً

اختار الوزراء الشيخ الخضر حسين ليجلس في المكان الذي خلا باستقالة الشيخ عبد المجيد سليم في مشيخة الجامع الأزهر.

والشيخ الخضر حسين عالم مناضل، اشتهر بالتقوى والصلاح وسعة الأفق، وهذه هي المرة الأولى التي يقع فيها الاختيار على عالم من غير المصريين ليكون شيخاً للجامعة التي شع منها ضوء الإسلام ليغمر العالم، إذ أن فضيلة الشيخ خضر من أصل تونسي.

«مجلة المصور - العدد ١٤٦٤ - تاريخ ١٩٥٢/١٠/٣١»

❐❐❐



أزمة الشيـــخ

رفضت الوزارة إجابة طلبات الشيخ عبد المجيد سليم حتى لا تحدث انقساماً في الأزهر، وراحت تبحث عن شيخ محايد يستطيع أن يجمع الصفوف وأن يخفف من حدة الخلافات بين المعسكرات.

واضطرت الوزارة أن تلجأ إلى التاريخ لتجد هذا الشيخ المحايد.

فقد اختارت فضيلة الشيخ الخضر حسين الذي يقف بقدم على عتبة التسعين ويمد الأخرى إلى سن المائة، وقد اعترض بعض الوزراء على هذا الاختيار، لأن الشيخ الجديد تونسي الأصل، ولم يحصل على الجنسية المصرية إلا من عهد قريب. ولكن الوزير الشيخ الباقوري أقنع الوزراء بأن منصب شيخ الإسلام يجب أن يكون للمسلمين قبل أن يكون للمصريين.

«جريدة أخبار اليوم ـ العدد ٤١١ ـ تاريخ ٢٠/٩/ ١٩٥٢ ـ ٣٠ ـ ذي الحجة ـ ١٣٧١»

❑ ❑ ❑

حضرة صاحب الفضيلة
الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين [1]

طلعت جريدة الأهرام في صباح يوم الأربعاء ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٣٧١ (١٧ سبتمبر سنة ١٩٥٢) العدد ٢٤٠٤٩ وفي صدرها المقال الآتي:

كانت مفاجأة حين خرج ثلاثة من حضرات الوزراء: هم السادة فتحي رضوان وأحمد حسن الباقوري وعبد العزيز علي، من مجلس الوزراء أثناء انعقاده، وتوجهوا إلى جهة لم يشاؤوا ولم يشأ أحدهم أن يذكر عنها شيئاً، ولكن الصحفيين رأوا أن يقتفوا أثرهم، ولشدَّ ما كانت دهشتهم بالغة حينما رأوهم يدخلون بيتاً صغيراً من البيوت الواقعة في شارع خيرت، ويطرقون باب شقة متواضعة يسكنها فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الخضر حسين عضو جماعة كبار العلماء ورئيس تحرير مجلة الأزهر سابقاً. ولئن كانت هذه المفاجأة قد أدهشت الصحفيين، فإن فضيلة الشيخ الجليل الأستاذ محمد الخضر حسين كان أكثر منهم دهشة حين تحدث إليه الوزراء

---

(١) مجلة «الأزهر» الجزء الثاني ـ المجلد الرابع العشرون، صفر ١٣٧٢ ـ أكتوبر تشرين الأول ١٩٥٢.

مقال مأخوذ عن جريدة «الأهرام» منشور فيها تحت عنوان رئيسي يملأ الصفحة الأولى (مجلس الوزراء يعرض مشيخة الأزهر على الشيخ الخضر حسين ـ الشيخ الجديد يحكم عليه بالإعدام في تونس فيلجأ إلى مصر ـ مقابلته اليوم للرئيس).

الثلاثة، وعرضوا عليه مشيخة الأزهر باسم مجلس الوزراء واسم الرئيس اللواء محمد نجيب.

ويقول مندوب «الأهرام» الخاص: إن فضيلة الشيخ قد قبل منصب المشيخة الجليلة، ورجا أن يوفق في تحمل أعبائها.

وقد أردت أن أقف من فضيلته على ما إذا كان له برنامج معين، فقال: إنها مفاجأة لم أتمكن حيالها من أن أضع برنامجاً معيناً أو أرسم سياسة خاصة.

فسألت فضيلته: وهل لكم رأي معين في كبار علماء الأزهر الذين يشغلون مناصب هامة؟

فقال: ليس لي رأي معين في واحد من حضراتهم، وكلهم موضع إجلالي واحترامي وتقديري.

فقلت: وما رأيكم في المطلب الخاص بإقصاء أربعة من كبار العلماء الرسميين الأزهريين عن مناصبهم؟

فقال وهو يبتسم: طبعاً لن يكون هناك إقصاء، ومن رأيي أن تؤخذ المسائل بالرفق واللين.

قلت: ومتى أخذتم الجنسية المصرية؟

فقال فضيلته: أخذتها في نحو سنة ١٩٣٨.

قلت: إن العالم الإسلامي يسره كثيراً أن تسند مشيخة الأزهر إلى رجل جليل مثلكم بعيد عن التيارات المختلفة، فهل لكم كلمة تتوجهون بها إلى هذا العالم في هذه المناسبة؟

فقال: إن الكلمة التي أتوجه بها إلى العالم الإسلامي هي أنني أرجو المعونة من الله أن يحقق أمل المسلمين في الأزهر الشريف.

قلت: وهل تقصدون غداً (اليوم) إلى مشيخة الأزهر؟

فقال: إن فضيلة السيد أحمد حسن الباقوري سوف يحضر إلي غداً (اليوم) لأتوجه معه إلى دار الرئاسة حيث أقابل الرئيس اللواء محمد نجيب.

*** من تاريخ حياته:**

وقد ولد فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين في بلدة (نفطة) من أعمال تونس في سنة ١٢٩٣ هجرية، فعمره الآن ٧٨ عاماً، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره، انتقل إلى تونس، والتحق بجامعة الزيتونة، وحصل منها على شهادة العالمية في العلوم الدينية والعربية[١].

وقد استهل فضيلته حياته العملية بالعمل في الصحافة حيث أنشأ مجلة (السعادة)[٢] وراح يدبج فيها الفصول القيمة يعالج بها الشؤون الدينية والأدبية.

ثم تولى القضاء في بلدة (بنزرت) والبلاد المجاورة لها، ولبث يمارس القضاء حتى سنة ١٣٢٤هـ، ثم عين مدرساً للعلوم الدينية والعربية في جامعة

---

(١) ليس في جامع الزيتونة شهادة بهذا الاسم، ولعل الكاتب يقصد الشهادة (العالية) والمتخرج من جامع الزيتونة يحصل على شهادة (التطويع).

(٢) مجلة «السعادة العظمى» مجلة علمية أدبية إسلامية. أول مجلة صدرت في تونس، في ١٦ محرم ١٣٢٢هـ واستمرت إلى العدد الواحد والعشرين الصادر في غزة ذي القعدة ١٣٢٢هـ، كانت تصدر في غزة كل شهر عربي وفي سادس عشرة

الزيتونة، وكذلك تولى التدريس في المدرسة الصادقية وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس.

*** يحكم عليه بالإعدام:**

وقد اشتهر بعدائه للسياسة الفرنسية إذ كان يهاجمها في مجلته، وكان يبث روح العداء لها في تلاميذه، يريد أن يغرس فيهم الروح الوطنية والحرية الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام، فحقد عليه ساسة الفرنسيين وأكنوا له الحفيظة، ودبروا له مكيدة سياسية قدموه من أجلها إلى المحاكمة حيث حكم عليه غيابياً بالإعدام، فهاجر فضيلته إلى الشام ومعه عائلته، وفيها تولى تدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة السلطانية.

وقد أوفده أنور باشا وزير الحربية التركية يومئذ إلى ألمانيا في مهمة سياسة، فقضى فيها نحو تسعة أشهر، رجع بعدها إلى الشام، تولى التدريس في تلك المدرسة، حتى رؤي الانتفاع به في وزارة الحربية التركية فعين محرراً عربياً في ديوان تلك الوزارة.

ورؤي مرة أخرى أن يعود إلى ألمانيا في مهمة سياسية كذلك، فذهب إليها وقضى فيها نحو سبعة أشهر، ولما رجع إلى تركيا رأى ولاة الأمور فيها ـ بالاتفاق معه ـ أن يعود إلى الشام لمتابعة دروسه هناك، ولكنه حين رجع إلى هذه البلاد وجد الفرنسيين قد احتلوها، فهرب إلى مصر لاجئاً سياسياً، وظل فيها منذ سنة ١٩٢٢م يشتغل بالكتابة والتحرير والدرس حتى سنة ١٩٣١م.

إذ رأى فضيلة الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، أن ينتفع به في تحرير مجلة الأزهر، وكانت تسمى وقتئذ مجلة «نور الإسلام»

فعينه رئيساً لتحريرها، وقد لبث في هذه الوظيفة حتى عين فيها الأستاذ محمد فريد وجدي، فانتقل فضيلته إلى رئاسة تحرير مجلة «لواء الإسلام» التي يصدرها الأستاذ أحمد حمزة، وزير التموين السابق.

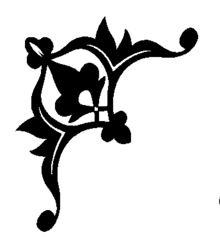
*** في جماعة العلماء:**

وقد قدم فضيلته رسالة عليمة نال بها العضوية في جماعة كبار العلماء[١].

❒ ❒ ❒

---

(١) رسالة (القياس في اللغة العربية) طبعة مستقلة، كما طبعت ضمن كتاب «دراسات في العربية وتاريخها» للإمام.


مشيخة الأزهر
في أكمل ما شهدنا من عهود[1]

إذا أراد الله بطبقة من أهل هذه الملة الإسلامية خيراً، هيأ لمستقبلهم القريب الحكم الصالح، ويسر لهم الإمام الذي انطوت سيرته النقية الطاهرة في جميع أدوارها على ما تستقيم لهم به القدوة، وتحسن به الأسوة، وتشيع به عدوى الإخلاص لله ﷻ في السر والعلن والقول والعمل.

وأحسب أن طلبة الأزهر الشريف لهذا العهد سيكون منهم لهذه الملة في مستقبلها القريب الخير الكثير، ولذلك كان من حظهم أن قيَّض الله لهم الحكومة التي تتحرَّى للولاية أكفاءها، كما قيض لهم القدوة والأسوة في سيرة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مدَّ الله في عمره وأدام النفع به.

إنهم الآن ليسوا أمام مركز رسمي تولاه كفؤه بالعلم والصلاح فحسب، بل هم أمام مَثلٍ أعلى للمسلم الكامل الذي ابتدأ حياته بنية الكفاح عن الإسلام وأهله، والاضطلاع برسالته، وتحمُّل أماناته كاملة وافية. و(النية) هي الإبرة المغناطيسية التي يتوجه بها المسلم إلى هدفه من الحياة. ولذلك قال معلم الناس الخير صلوات الله وسلامه عليه «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، والحياة وتصرفات المرء باتجاهاته في جميع أدوارها هي جماع

---

(١) مجلة «الأزهر» ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين. ـ صفر ١٣٧٢ اكتوبر، تشرين الأول ١٩٥٢.

الأعمال، فهي أحوج إلى النية الوثيقة الثابتة الصادقة ليكون ما يصدر عن الإنسان من الأعمال في حياته تبعاً لها لا تحيد عنها مهما غالبته الظروف، ولا ينحرف عن اتجاهها ما استطاع، وإن انحرفت به الأهواء والمؤثرات. وطالب العلم الإسلامي إذا نوى من بدء حياته أن يقتصر على مطالب العيش ومتاع الدنيا بقي هدفه محدداً بهذا النطاق الضيق، وعاش على هامش الحياة عيشة تتناسب مع نيته، وكان في نظر نفسه ـ ثم في أنظار الناس ـ موزوناً بهذا المقدار، لا ينخدع به الناس بأكثر من ذلك، ولا يستطيع أحد أن يخدعه عن نفسه بأنها فوق ذلك. أما إذا نوى طالب العلم الإسلامي أن يعيش مكافحاً عن حقائق الإسلام ـ مهما كانت ـ وعن حقوق المسلمين حيثما كانوا، فإن حياته كلها تصبح حينئذ حياة عبادة، ويكون قدره عند الخالق والخلق متناسباً مع قدر النية القدسية التي عاش على ضوئها، وعوَّل على السير في الحياة بتوجيهها.

يقول فضيلة الأستاذ الأكبر شيخنا السيد محمد الخضر حسين متعه الله بالقوة والعافية والتوفيق:

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى　　　لفتشت عن واد أعيش به وحدي[1]

ونحن تلاميذه، ومعنا إخواننا من طلبة الجامع الأزهر وكلياته ومعاهده

---

(١) ديوان الإمام «خواطر الحياة» البيت الأخير من أبيات تحت عنوان (الصداقة والعزلة) يقول في مطلعها:

أريد أخاً كالماء يجري على الصفا　　　نقياً فيصفو لي على القرب والبعد

وفي هذا المعنى، له أبيات قالها (في الحبس) عندما سجنه جمال باشا في دمشق لأسباب سياسية ومنها:

أنا لولا همة تحدو إلى　　　خدمة الإسلام آثرت الحماما

الذين يعدون بالألوف، ينبغي لنا أن يكون لنا في حياة شيخنا القدوة الصالحة، وأن تكون لنا فيه الأسوة الحسنة، فيكون أول ما نرتاح إليه هو النضال عن الهدى، ولا يناضل عن الهدى إلا الذي تحرى معرفته، وتتبع ما جل أو دق من علوم أئمته وتراث علمائه، وجعل من نفسه حلقة متواضعة في سلسلته الذهبية التي أولها عند أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وآخرها عند شيخنا الجليل إمام الهدى السيد محمد الخضر حسين بارك الله في جهاده.

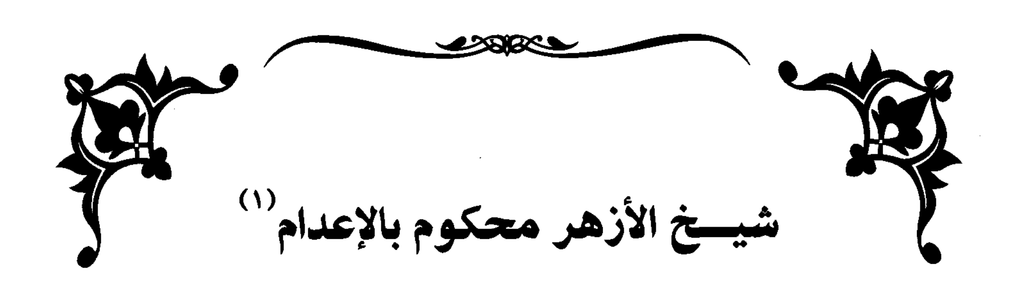
إنه أحسن النية لله منذ البداية فاتخذ منها إبرة المغناطيس التي توجه سفينة حياته في سيرها، فما تعارضت دنياه وآخرته إلا اختار ما يبقى له في آخرته على ما هو زائل من بهرج دنياه. ومن عادة الله فيمن يؤثر الآجلة على العاجلة أن يجعله راضياً عن نصيبه في دنياه.

وقد يعلن الله كرامته لأوليائه بمكافأتهم حتى في إعلان مقامهم في الدنيا جزاء إيثارهم ما يرضاه لهم في يوم الدين.

أيها الطلبة الأزهريون، إنكم تستقبلون في أول سنتكم الدراسية المباركة إن شاء الله مناهج لتثقيف عقولكم بعلوم الشريعة التي عليها رسالة دينكم، وما يعين عليها من علوم العربية والسنن الكونية. ثم إنكم تستقبلون في هذا العام ما لا يفترق عن هذا أعني به خلاصته، وثمرته الناضجة، وغايته العليا، وهو الأخلاق المحمدية ممثلة بسجايا أستاذنا الأكبر وسيرته في أكثر من سبعين عاماً، وكفاحه في سبيل حقائق الإسلام وحقوق المسلمين وتستقبلون مع هذا وهذا، عهداً يتحرى الحق والخير، والحق والخير جناحا الإسلام ومادة رسالته.

فهنيئاً لكم سنتكم الجديدة، وبارك الله لنا ولكن بحياة شيخنا وشيخكم، وكونوا في عهد الحق والخير من خاصة أهلهما، ومن أنشط الأعوان على تأهيل هذا الشعب للإفادة منهما، وبذلك إن شاء الله أمة صالحة، وبذلك نكون من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، والله يتولى الصالحين.





شيـــخ الأزهر محكوم بالإعدام[1]

كان أصحـاب الفضيلة كبار رجـال الأزهر يلعبون ـ طوال الأسبوعين الماضيين ـ لعبة الكراسي الموسيقية حول كرسي شيخ الجامع الأزهر.

كانوا يتنافسـون على ضجيج الحـوادث حول الجلوس على الكرسـي المرموق، وكان كل منهم يتحين الفرصـة للتربع على المقعد الكبيـر دون الآخرين، إلى أن هبط من السماء عالم لم يكن في المباراة. بل ولم يكن من المتفرجين، ولا ممن يعلمون قليلاً أو كثيراً عن هذا السباق.

وجلس الأستاذ محمد الخضر حسين على كرسي المشيخة دون أن يدور حوله، أو ينافس غيره، أو يسعى ليقف بين صفوف المتسابقين.

وأصبح الصبح على مفاجأة كبرى لم تخطر لأصحاب الفضيلة ببال، فقد غدا الرجل المتواضع الذي يقف على أبواب الثمانين، المتوسط القامة، الخفيض الصوت، بحيث لا يكاد يسمع وهو يتكلم، غدا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وإمام المسلمين في العالم أجمع.

* **قصة طويلة:**

وقصة الأستاذ الأكبر طويلة شاقة، مليئة بالمفاجآت، وهو من بيت

---

(١) مجلة (آخر ساعة) العدد ٩٣٦ الصادر بتاريخ ١١ المحرم سنة ١٣٧٢ = ١ أكتوبر سنة ١٩٥٢. وقد أجرى المقابلة وحرر البحث الأستاذ أحمد لطفي حسونة.

علم ودين، فوالده الأستاذ الحسين بن علي[١] من الجزائر وكان متصوفاً لا يعرف إلا العبادة، وشيخاً للطريقة الخلوتية وله جامع باسمه في بلدة «نفطة» آخر بلاد تونس من جهة الجزائر، وهي البلدة التي ولد فيها الأستاذ الأكبر.

وله أخوان، أحدهما زين العابدين[٢]، وقد اشتغل بالتدريس في دمشق وأحيل إلى المعاش وله ابن اسمه كاظم[٣] يشتغل بالتدريس هناك، والثاني المكي بن الحسين[٤] وهو أديب معروف في تونس.

*** صحفي منذ نشأته:**

وقد ولد الأستاذ الأكبر في سنة ١٢٩٣ هجرية بنفطة، وانتقل منها، وعمره إحدى عشرة سنة، إلى تونس حيث التحق بجامعة الزيتونة ونال العالمية[٥] وجذبته الصحافة، فأنشأ في تونس مجلة «السعادة»[٦] وتفرغ لتحريرها وخدمتها إلى أن تولى القضاء في مدينة «بنزرت». ثم عاد إلى جامعة الزيتونة مدرساً

---

(١) الحسين بن علي بن عمر ولد في مدينة «طولقة» بالجنوب الجزائري سنة ١٢٤٦هـ وتوفي بمدينة تونس سنة ١٣٠٩هـ. من رجال الصلاح والتقوى والتصوف.

(٢) شقيق الإمام المربي اللغوي زين العابدين بن الحسين التونسي، هاجر مع أخيه إلى دمشق، وعمل في التربية والتوجيه، وله عدة مؤلفات في العلوم الإسلامية واللغة ولد في تونس وتوفي بدمشق (١٣٠٥ - ١٣٩٧هـ = ١٨٨٨ - ١٩٧٧م) وتصانيفه مذكورة في آخر الكتاب.

(٣) موسى الكاظم بن زين العابدين من رجال التربية في مدينة دمشق.

(٤) العلامة اللغوي محمد المكي بن الحسين ولد وتوفي بتونس (١٣٠١هـ - ١٣٨٢هـ) له مؤلفات لغوية.

(٥) شهادة (التطويع).

(٦) مجلة «السعادة العظمى».

بها، وكان يقوم بتدريس النحو والفقه والأصول والبلاغة، وكان في نفس الوقت مدرساً بالمدرسة (الصادقية) وهي المدرسة الوحيدة في تونس.

وقد تزوج الأستاذ الأكبر في هذه المرحلة من حياته خمس مرات، وكان الموت أو الطلاق يفرق بينه وبين زوجاته، وظل عزباً إلى ما بعد هجرته إلى مصر، حيث بنى بزوجته السادسة التي تقيم معه الآن، وهي من عائلة مدكور، ولم يرزقه الله أولاداً من زوجاته الست[1].

*** هجرة إلى الشام:**

في سنة ١٣٣١ هجرية وعمره ٣٨ عاماً، انتقل مع والده وإخوته إلى الشام، وكانت بلاد الشام في هذا الحين دولة واحدة تضم سورية ولبنان وفلسطين، ومنذ ذلك التاريخ، أي منذ قرابة أربعين عاماً، لم يعد إلى تونس، وكانت هجرته لخدمة الإسلام ولضيقه بالحياة في موطنه، نظراً لفظائع الفرنسيين وسلوكهم المعوج، ورغبة منه في أن يعيش في كنف دولة إسلامية.

وتولى التدريس في المدرسة العربية السلطانية في دمشق، ثم أرسلته الحكومة إلى ألمانيا لحث أسرى الحرب من التونسيين والجزائريين والمراكشيين على الانضمام للجيش التركي ضد فرنسا، واستمرت رحلته في ألمانيا تسعة شهور عاد بعدها إلى سوريا ثم الآستانة، حيث تولى التحرير بالقلم العربي في وزارة الحربية التركية سنة ١٩١٧.

*** يعود مع الصلح:**

وفي سنة ١٩١٨، أثناء الهدنة، سافر الأستاذ الأكبر إلى ألمانيا مرة ثانية

(١) له ابنة من زوجته في تونس.

للدعاية لاستقلال البلاد العربية، وكان ممن سافروا معه على نفس الباخرة للغرض ذاته المرحوم عبد العزيز جاويش والدكتور عبد الحميد سعيد واللواء يوسف مصطفى، وكان يوم وصولهم إلى ألمانيا هو يوم عقد معاهدة الصلح، فمكثوا فيها سبعة شهور، عاد بعدها الأستاذ الأكبر إلى تركيا حيث اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية، ثم سافر إلى دمشق، وكانت تحت الاحتلال الإنجليزي، وظل فيها إلى أن نزل الإنجليز عن احتلالها للفرنسيين.

*** حكم الإعدام يتعقبه:**

وشيخ الأزهر الحالي محكوم عليه بالإعدام، حكماً لم يصدر عنه عفو حتى الآن، ولولا هذا الحكم ما كان لفضيلته نصيب في الجلوس على كرسي مشيخة الأزهر.

فقد أصدرت السلطات الفرنسية في سنة ١٩١٦ حكماً يقضي بإعدام الشيخ محمد الخضر حسين والشيخ صالح الشريف من تونس لاتهامهما بالتعاون مع الدولة التركية ضد فرنسا.

وقد ظل هذا الحكم يطارد الرجل المجاهد ويحول بينه وبين العودة إلى تونس أو الإقامة في بلد يحتله الفرنسيون، ومن ثم هاجر الشيخ سنة ١٩١٩ إلى مصر لاجئاً سياسياً بمجرد عودة الفرنسيين إلى احتلال دمشق.

*** أول ليلة له في مصر:**

ويروي الأستاذ الأكبر قصة إفلاته من أيدي الفرنسيين فيقول: إنه غادر دمشق بعد أن احتلها الفرنسيون بعشرة أيام، وكانت الأداة الإدارية ما تزال في يد الإنجليز، فتمكن من الحصول على جواز خروج من دمشق، ورحل بطريق البر إلى القاهرة، وقضى أول ليلة فيها في (لوكاندة دار السلام) قريباً من مسجد

سيدنا الحسين، وبات ليلته حتى الصباح.

وأشـرق الصبح على اللاجئ الغريب، فأخذ يفكر. أين يذهب وهو لا يعرف مكاناً يذهب إليه في القاهرة؟ ومن يقابل وهو لا يعرف شخصاً واحداً بين ملايين المصريين؟ وماذا يعمل وهو لا يرى طريقاً واحداً يسلكه للحصول على عمل في مصر؟

*** إلى الرواق:**

وهبطت الفكرة مع وحي لا يدري مصدره، وحي يحثه على الذهاب إلى أحد الأروقة في الأزهر الشريف، ودخل الرواق فلم يعرف أحداً، ثم اتجه إلى رواق المغاربة حيث لم يهتد إلى وجه ليعرفه، ولكن المغاربة اشتبه عليهم أمره، ثم عرفوه ورحبوا به وزاملوه وأكرموه.

ويقول الشيخ في تواضع وطيبة: ثم بحثت عن مأوى آوي إليه، حتى اهتديت إلى حجرة في الربع قريبة من الجامع الأزهر إيجارها الشهري ٢٥ قرشاً، فاستأجرتها وأقمت بها، وظللت أتردد بين مسكني والرواق، وأقطع وقتي في القراءة والتأليف، وأنفق من الدراهم التي أتيت بها إلى مصر.

*** البحث عن العمل:**

وظل الأستاذ الأكبر على هذه الحال قرابة السنتين، وهو ينفق من القليل الذي ادخره ويجهد النفس في البحث عن مصدر من مصادر الرزق.

فاتجه التفكير إلى الحصول على الشهادة العالمية، وقدم طلباً إلى شيخ الجامع الأزهر الشيخ أبي الفضل، ليسمح له بدخول امتحان شهادة العالمية الأزهرية، غير أن نفراً من العلماء وقفوا في وجهه، وقالوا عنه أنه طريد سياسات مختلفة، ألمانية وتركية وعربية وفرنسية، فرفض طلبه، ولما تولى جعفر والي

وزارة المعارف، وكان يعرف الشيخ محمد الخضر عن قرب، عينه مصححاً في دار الكتب بمرتب شهري قدره تسعة جنيهات وكان مدير دار الكتب في ذلك الوقت أحمد صادق بك.

*** بحر لا ساحل له:**

وفي سنة ١٩٢٢، شاء القدر أن يفتح أبوابه للاجئ الوحيد، ليدخره في جعبته، ويحمله بعد ثلاثين عاماً إلى كرسي المشيخة.

وشاء القدر أن يهيئ الفرصة أمامه، فيتعرف على المرحوم أحمد تيمور باشا، الذي كان حينئذ صديقاً للسراي. ومقرباً من المغفور له محمد توفيق نسيم باشا، واستعمل أحمد تيمور نفوذه ليهيئ للشيخ فرصة الامتحان، وهي كل ما كان يطلبه.

وتم للشيخ ما أراد، ووافق الأزهر على أن يتقدم الشيخ محمد الخضر لامتحان العالمية، وتشكلت لجنة من قساة الممتحنين ليؤدي امتحانه أمامها، وبهر الرجل الممتحنين بغزارة علمه، وفاض عليهم بما وهبه الله من معرفة.

ونال الشيخ شهادة العالمية من الأزهر، ونص في القرار على أن اللجنة (امتحنت الشيخ محمد الخضر فوجدته بحراً لا ساحل له...).

ثم عين مدرساً بتخصص كلية أصول الدين، ورئيساً لتحرير مجلة نور الإسلام (وهي مجلة الأزهر الآن) وظل يلقن دروس الدين والسياسة الشرعية في كليات الأزهر إلى أن أحيل إلى المعاش.

*** عضو في جماعة كبار العلماء:**

وكانت الخطوة الباقية أن يدخل الشيخ عضواً في جماعة كبار العلماء، وفي سبيل ذلك قدم رسالة موضوعها (القياس في اللغة العربية) حوت بحثاً

لم يطرقه أحد من علماء الأزهر من قبل، وفي ٢٩ أبريل من سنة ١٩٥١ صدر أمر ملكي رقم ٢٢ لسنة ١٩٥١ بتعيين الشيخ محمد الخضر حسين عضواً في جماعة كبار العلماء.

وكانت هذه العضوية هي سبيله إلى عرض اسمه على مجالس الوزراء، عندما أراد المجلس اختيار شيخ الأزهر من بين كبار العلماء.

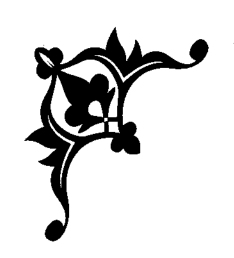
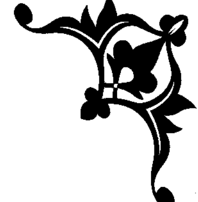
*** هل انتهى الصراع؟**

ويتساءلون في الأزهر اليوم، هل انتهى الصراع الذي عاش في الأزهر سنين وسنين؟ واتخذ أشكالاً ومظاهر ما كان يجوز أن يكون مصدرها الأزهر الشريف وعلماءه الأجلاء.

إن الشيخ الجديد لا يعرف كيف يحب ولا يعرف كيف يكره، والشيخ الجديد ليس له في مصر أقرباء ولا محاسيب، والشيخ الجديد ليس من بحري ولا من قبلي، والشيخ الجديد ليس طرفاً في المنافسة والسباق حول الكرسي الكبير، والشيخ الجديد لم يفكر في المنصب العالي الخطير ولم يحلم به. ولكن هل يسلم من مناورات الذين سعوا للجلوس فوق الكرسي، فوجدوا أنفسهم فجأة يفترشون الأرض؟

نتمنى أن يسلم من هذه المناورات، فحياة الرجل قصة كفاح طويل، وقصة حياة كلها مفاجآت، والرجل مؤمن بالله، نقي القلب، طاهر السريرة، شريف القصد.



اجتماع جماعة كبار العلماء

*** جماعة كبار العلماء[1]:**

في صباح الأربعاء ٢٥ المحرم اجتمعت جماعة كبار العلماء برياسة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر لأول مرة بعد توليه منصبه، وقد افتتح الجلسة باسم الله ﷻ، والدعاء إليه تعالى أن يوفقه إلى العمل لخير الأزهر.

وعلى إثر ذلك تلي الأمر الملكي الخاص بتعيينه شيخاً للأزهر، فرحب به حضرات الأعضاء، وألقيت في ذلك كلمات من الأساتذة المشايخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وعبد اللطيف السبكي، ومحمد عرفة، أشادوا فيها بصفاته الحميدة، وعاهدوه على أن يكونوا يداً واحداً لخير الأزهر والأزهريين.

وأخذت الجماعة بعد ذلك في توزيع الأعمال على الأعضاء، فاختار بعضهم البحث أو التدريس، واختارهما بعضهم معاً.

وعرض الأستاذ الأكبر على الأعضاء ما قد يذاع عن الإسلام من آراء لا تتفق معه، ويحسبها بعض الناس من صميم الإسلام وهي ليست منه في

---

(١) مجلة «الأزهر» ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين.

شيء، وبعد البحث تقرر أن تؤلف لجنة من حضرات الأعضاء للرد على هذه الآراء. كما تقرر أن تؤلف لجنة أخرى لتنظيم إلقاء المحاضرات بقاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر، وألفت لجنة ثالثة لتنظيم أعمال اللجان وتحديد مهمة كل لجنة بالتفصيل على أن يقدم ذلك كله إلى جماعة كبار العلماء لإقراره في اجتماعها المقبل.

ثم تحدث الأستاذ الأكبر في مسألة التبرع لمشوهي الحرب، فتقرر أن يساهم الأزهر في هذا العمل الإنساني النبيل، وتبرع أعضاء الجماعة لذلك بخمسة في المائة من مرتباتهم عن شهر أكتوبر، ثم ينظر في تقدير نسبة معينة تؤخذ من الموظفين والعلماء من مختلف الدرجات من مرتباتهم عن الشهر نفسه.







جماعة كبار العلماء
تعلن تأييد الأستاذ الأكبر(١)

اجتمعت جماعة كبار العلماء في الساعة العاشرة من صباح أمس برئاسة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر للنظر في موضوع تنظيم أعمالها، وتأليف اللجان التي يصح أن يناط بها هذا التنظيم، وبعد أن افتتح الاجتماع، وقف فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وقال: إنني أشكر باسم جماعة كبار العلماء فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، وأعلن تضامننا معه وتأييدنا له فيما نشره من الأحاديث العلمية القيمة في جريدة «الأهرام» في مختلف الموضوعات التي تناولها بعلمه الغزير وعقيدته الراسخة، مما كشف عن رغبة صادقة في إحياء مجد الأزهر، وفي إطلاع عامة المسلمين على حقيقة الإسلام فيما يهمهم من هذه الشؤون التي تحدث فضيلته عنها.

وقد استطرد بعد ذلك فقال: إن جماعة كبار العلماء حين تشرح الحقائق الإسلامية إنما تعبر عن رأي العلماء قاطبة لا في الأزهر وحده، بل في جميع الدول الإسلامية والأزهر بوصفه المركز العام للمسلمين، جدير بأن ينبعث منه صوت الحق ونور الهدى ليشع في جميع الآفاق، وكلمته التي يدلي بها، لا شك

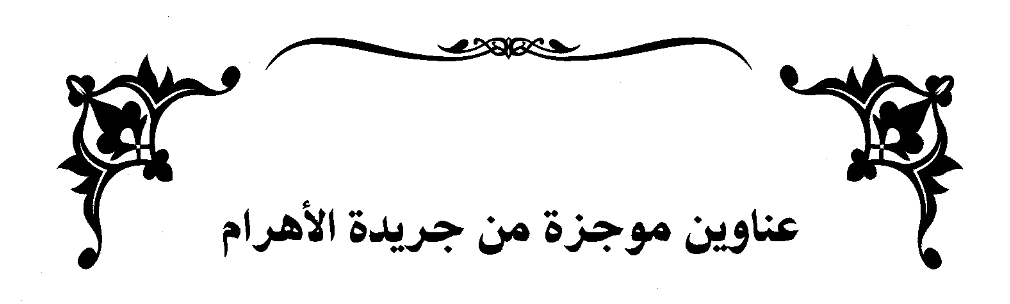
---

(١) جريدة (الأهرام) ـ العدد ٢٤١٢٠ تاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٥٢.

أنها تحتمل من نفوس المسلمين في كل مكان أسمى مكانة، وإن التشريع الإسلامي فيه الخير كله والمصلحة كلها لكل من يستظل براية الوطن على اختلاف المذاهب والأديان. وإن علماء الإسلام ليحرصون الحرص كله على صفاء ما بيننا وبين إخواننا من أهل الأديان الأخرى، كما كنا في العهود السابقة ندعو إلى الوفاق والمحبة، ونحرص عليهما بالقول والفعل صادقين مخلصين.

وبعد أن انتهى فضيلته من هذه الكلمة، تحدث فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت وفضيلة الشيخ عبد الرحمن حسين والأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكي، وأيدوا فضيلة الشيخ المفتي، وبينوا وجهة نظرهم في وضوح وجلاء.





عناوين موجزة من جريدة الأهرام

العدد ٢٤٠٤٩ ـ ١٧/ ٩/ ١٩٥٢.

ـ مجلس الوزراء يعرض مشيخة الأزهر على الشيخ الخضر حسين.

العدد ٢٤٠٥٠ ـ ١٨/ ٩/ ١٩٥٢.

ـ الشيخ الجديد يقوم بإعداد برنامج شامل لإصلاح الأزهر.

العدد ٢٤٠٥١ ـ ١٩/ ٩/ ١٩٥٢.

ـ حياة شيخ الأزهر الجديد.

ـ شيخ الأزهر يرفض المساس بحقوق العلماء.

العدد ٢٤٠٥٥ ـ ٢٣/ ٩/ ١٩٥٢.

ـ شيخ الأزهر الجديد يباشر مهام منصبه.

العدد ٢٤٠٥٨ ـ ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٢.

ـ شيخ الأزهر يتبادل الزيارة وسلفه.

العدد ٢٤٠٦٤ ـ ٢/ ١٠/ ١٩٥٢.

ـ الأزهر في مصر بمثابة الكعبة المشرفة بالحجاز ـ حديث الإمام.

العدد ٢٤٠٧٤ ـ ١٢/ ١٠/ ١٩٥٢.

ـ شيخ الأزهر يعترض على القبعة.

العدد ٢٤٠٨٦ ـ ٢٤/ ١٠/ ١٩٥٢.

ـ بيان شيخ الأزهر للطلبة لمناسبة افتتاح العام الدراسي الجديد.

العدد ٢٤٠٨٩ ـ ٢٧/ ١٠/ ١٩٥٢.

ـ فقدان الحياء بين النساء هو السبب في أزمة الزواج ـ حديث الإمام.

العدد ٢٧٠٩٦ ـ ٣/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ الشريعة الإسلامية توجب علينا التعاون مع الأجانب ـ حديث الإمام.

العدد ٢٤١٠٤ ـ ١١/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ الشرع يحرم احتكار الأغذية والامتناع عن بيعها.

العدد ٢٤١٠٩ ـ ١٦/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ زيارة اللواء محمد نجيب للإمام الأكبر في الأزهر.

العدد ٢٤١١٨ ـ ٢٥/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ الإسلام يعترف بالملكية الفردية.

العدد ٢٤١١٩ ـ ٢٦/ ١١/ ١٩٥٢.

زيارة اللواء محمد نجيب للأزهر.

العدد ٢٤١٢٠ ـ ٢٩/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ جماعة كبار العلماء تعلن تأييد الأستاذ الأكبر.

العدد ٢٤١٢٢ ـ ٢٩/ ١١/ ١٩٥٢.

شيخ الأزهر: هدية العلماء لفاروق كانت غصباً.

العدد ٢٤١٢٣ ـ ٣٠/ ١١/ ١٩٥٢.

ـ الصبر من أسباب الغلبة والنصر ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤١٢٩ ـ ٩/ ١٢/ ١٩٥٢.

ـ زيارة اللواء محمد نجيب والملك إدريس السنوسي للإمام الأكبر.

العدد ٢٤١٣٦ ـ ١٣/ ١٢/ ١٩٥٢.

ـ الإمام الأكبر واللواء محمد نجيب وأديب الشيشكلي يؤدون صلاة الجمعة في الأزهر.

ـ واجب الشباب إزاء التوسع الصناعي والزراعي ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤١٤٥ ـ ٢٢/ ١٢/ ١٩٥٢.

ـ زيارة شيخ الأزهر للواء محمد نجيب في رئاسة الجمهورية.

العدد ٢٤١٥٣ ـ ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٢.

ـ هل للمرأة أن تباشر الوظائف العامة.

العدد ٢٤١٥٧ ـ ٣/ ١/ ١٩٥٣.

ـ الإمام الأكبر واللواء محمد نجيب يؤديان صلاة الجمعة بالأزهر.

ـ الحيوان في نظر الشريعة الإسلامية ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤١٧١ ـ ١٧/ ١/ ١٩٥٣.

ـ خير نظام للحكم هو النظام الذي يكفل الحرية والمساواة في الحقوق ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤١٧٥ ـ ٢١/ ١/ ١٩٥٣.

ـ لتفتح ألمانيا الغربية أبوابها لليهود، وليعد المشردون من عرب فلسطين إلى وطنهم الشرعي، أما التعويضات التي يراد إعطاؤها لإسرائيل فإخلال صريح بالحياد.

العدد ٢٤١٨٥ ـ ٣١/ ١/ ١٩٥٣.

ـ النفاق والمداراة أمام الحكام وذوي السلطان ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤١٨٦ ـ ١/ ٢/ ١٩٥٣.

ـ المعادلات الدراسية في كليات الأزهر.

ـ شيخ الأزهر يتحدث إلى الرئيس نجيب.

العدد ٢٤١٩٣ ـ ٨/ ٢/ ١٩٥٣.

ـ الدعوة إلى عقد المؤتمر الإسلامي في القاهرة.

العدد ٢٤٢٠٧ ـ ٢٢/ ٢/ ١٩٥٣.

ـ العهد الجديد في حاجة إلى جيل يؤمن بالأخلاق ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤٢٢٠ ـ ٧/ ٣/ ١٩٥٣.

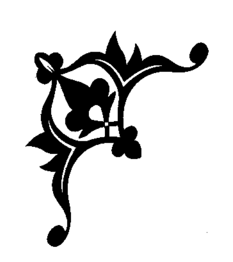
ـ لماذا صار المستعمرون هدفاً للمستعمرين ـ حديث للإمام.

العدد ٢٤٢٢٣ ـ ١٠/ ٣/ ١٩٥٣.

ـ كتاب من شيخ الأزهر إلى رئيس الوزراء.

ـ المساواة بين متخرجي الكليات الأزهرية وزملائهم في الجامعات.




استقالة شيـــخ الأزهر

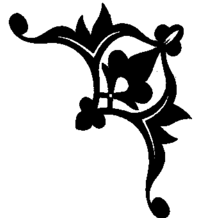
اعتكف فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر في منزله صباح أمس وكتب استقالته من منصب مشيخة الأزهر.

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر، استقل فضيلته سيارته وقصد إلى قصر الجمهورية، حيث سلم الشيخ عبد الحليم بسيوني مدير مكتبه كتاب الاستقالة للصاغ إسماعيل فريد السكرتير العسكري لرئيس الجمهورية.

ثم قصد فضيلته بعد ذلك إلى منزل الرئيس اللواء محمد نجيب، وترك بطاقته للشكر.

«جريدة الأخبار ـ العدد ٤٨٠ ـ تاريخ ١٩٥٤/١/٣»

❑ ❑ ❑

قبول استقالة شيـــخ الأزهر

* على أثر ارفضاض جلسـة مجلة الوزراء التي عقدت أمس، أذيع أن المجلس وافق على تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة إبراهيم باشا شيخاً للجامع الأزهر خلفاً لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق الذي استقال من منصبه بسبب رغبته الشديدة الملحة في قراءة العلم وكتابته على حد تعبير فضيلته.

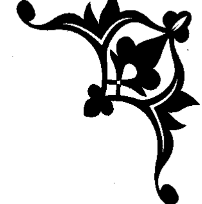
«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٤٥٢١ ـ تاريخ ٨/ ١/ ١٩٥٤»

* استن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين ـ شيخ الأزهر السابق سنة حميدة، فما كاد يعلم بنبأ تعيين خلفه فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخاً للأزهر، حتى بادر بالتوجه إلى داره، حيث زاره مهنئاً بإسناد مشيخة الأزهر إلى فضيلته متمنياً للأزهر في عهده الخير والتوفيق.

وعقب انتهاء الزيارة مباشرة، توجه فضيلة الأستاذ الأكبر إلى دار سلفه فضيلة الشيخ الخضر حسين، حيث زاره شاكراً ومقدراً جهوده لخير الأزهر، وأمضى الشـيخان معاً بعض الوقت في تبـادل الحديـث عن الأزهر وشؤونه والنهوض برسالته الدينية والعالمية.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٤٥٢٢ تاريخ ٩/ ١/ ١٩٥٤»





رأي عالم أزهري في الاستقالة

تلقيت بتاريخ ١٨ شعبان ١٣٩٧هـ كتاباً من فضيلة الأستاذ عبد الحكيم حمادة من علماء الأزهر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عن طريق الصديق الأستاذ سعدي أبو جيب، تحدث فيه كاتبه عن الإمام ومشيخة الأزهر ومما جاء فيه قوله[١]:

الإمام الأكبر المغفور له الشيخ الخضر حسين، عالم، عامل، زاهد، عابد، عارف بالله، صغرت الدنيا في عينيه، . . . فكان بحق شيخ العلماء العارفين وإمام الزاهدين العابدين، عرفته شيخاً للأزهر الشريف، فقاده في فترة هوجاء عاصفة الرياح تدمر كل شيء، فقاد الأزهر إلى بر السلام في تلك الفترة.

أرادت السلطات الحاكمة بتعليمات مستوردة أن تغرس غراسها في عقول أبناء الشعب المصري، فرأت الأزهر الشريف عائقاً دون تحقيق أمالهم، فطلبت من فضيلته تغيير ملامح الأزهر، وأعدت له مشروعاً أسمته (تطوير الأزهر الشريف) واضعة نصب عينيها أن يكون الأزهر مدرسة علمية فقط، فأبى الشيخ وثار على هذا القانون ثورة يسجلها له التاريخ، ووقف الشعب

---

(١) الكتاب موجه إلى علي الرضا الحسيني.

وراءه، وهو يناضل سلطان البغي حينذاك صابراً محتسباً، فألقى الله في قلوبهم الرعب والخوف، فهادنوه مؤقتاً، حتى يهدأ الشعب من ثورته ضدهم. التف الشعب حول شيخه يطلب المزيد من علمه، فتحولت داره إلى حلقة دينية تجمع صفوة العلماء والمفكرين وأبناء الشعب العامل.

غيَّرت السلطات الحاكمة حربها ضد الشيخ، فبدأت تكيد له المكائد باتجاهها نحو شراء بعض من لا خلاق لهم من أبناء الأزهر بحجة أن خريجي كلية الشريعة وأصول الدين ليس لهم حظ في الحياة، وأغلقوا أبواب الرزق عليهم، وتكاملت حلقات المؤامرة وترابطت، فثار الطلبة على شيخهم، وكم حاول توضيح الرؤيا أمام أبنائه، ولكن بدون جدوى، والسلطة تزيد الثورة اشتعالاً، فشغلت الشيخ بأبنائه، وعزيز على النفس الأبية أن تقهر العدو في الخارج ومن داخلها كان أبناؤه يقهرونه، فاضطر رضوان الله عليه أن يقدم استقالته بعد أن أوضح أبعاد المكيدة لأبنائه. ولكن ثورة الشباب صمّت الآذان عنه، واعتكف في بيته، فهلل الشيطان انتصاراً على قهر الشيخ وقبلت السلطات استقالته فور تقديمها، واعترفت للطلاب الثائرة بشهاداتهم وعينتهم في وظائف عالية.

رأت السلطات الحاكمة أنه لا يمكن تنفيذ قانون تطوير الأزهر إلا إذا اختارت شيخ الأزهر بمواصفات خاصة، وسلبته جميع حقوقه، وأسلمتها إلى وزارة أنشأتها خصيصاً لذلك، حتى يكون الوزير طوع يدهم.

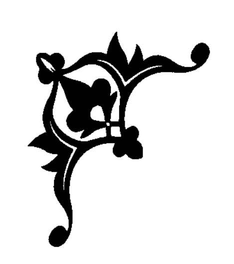
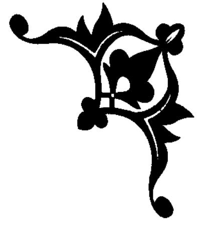
وبهذا تمكنت السلطات من تنفيذ قانون تطوير الأزهر، وحولته إلى مدرسة علمية. وأدخلت فيه غير أبنائها حتى لا يقوم للأزهر قائمة، وهكذا تم لها ما أرادوا، وغرسوا ما غرسوا، ولكن أرض مصر بعون الله أبت على الغرس

أن ينبت، ومن نبت خرج هزيلاً فمات، ورفض نيل مصر أن يسقيها، فحفظ الله دينه. ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[آل عمران: ٥٤]. وعاد الأزهر صلابة وقوة يؤدي حقه نحو الله. ولما توفي شيخنا خرجت مصر عن بكرة أبيها تشيع قائد ثورتها الدينية إلى مثواه الأخير.

رحم الله شيخنا وأنزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

عبد الحكيم حمادة
من علماء الأزهر الشريف
برابطة العالم الإسلامي
١٨/ ٨/ ١٣٩٧هـ



من كتاب
«حياتي في رحاب الأزهر»

*** من كتاب «حياتي في رحاب الأزهر ـ طالب... أستاذ... ووزير» يقول الدكتور محمد البهي:**

والشيخ (الخضر حسين) عليه رحمة الله ـ وهو تونس الأصل ـ كان من أمثل العلماء في الدفاع عن الإسلام، وفي الجهاد في سبيله، ولم يقع يوماً تحت إغراء الدنيا، اتصلت به يوم كان أستاذاً للبلاغة في قسم التخصص الذي أنشئ في سنة ١٩٢٥ والذي تخرجت فيه، وسافرت تواً بعد التخرج إلى ألمانيا، وعرفته شيخاً للأزهر عن قرب وأنا أباشر العمل في مراقبة الثقافة بإدارة الأزهر بجانب أستاذية الفلسفة في كلية اللغة العربية، وكان رئيساً لجمعية «الهداية الإسلامية» ومديراً لمجلتها، كما كان أسلوبه في المجلة يتميز بالوضوح، والمنطق، والإيمان، ولم يتزلف يوماً ما لحاكم، ولا لكبير في وظيفته، ولم يهادن أو ينافق إطلاقاً في إعلان كلمة الحق.

عرفته في حياته الداخلية في مسكنه، وفي عيشته، عرفته الزاهد، المتقشف، الورع. رأيته قبل المشيخة، وفي أثنائها، وبعدها، وهو يلبس (القبقاب) في المنزل، مع عظمة المؤمن العارف بالله.

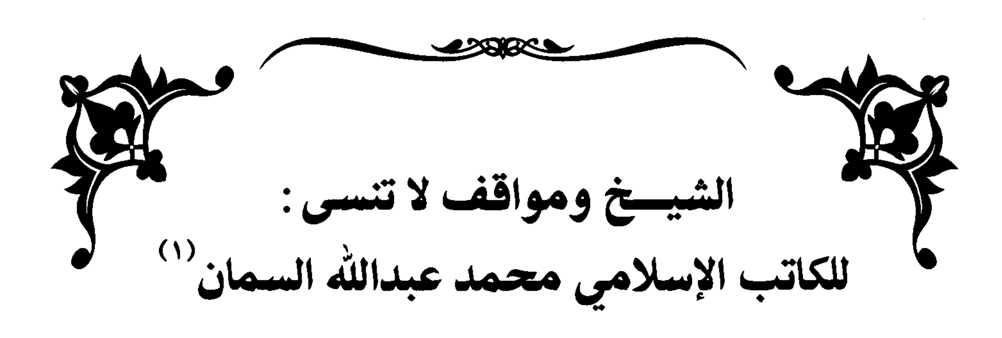
ولا أنسى موقفه ـ وكان اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية ولمجلس الوزراء في عهد ما يسمى بالثورة ـ عندما نشر بالصحف: أن الحكومة تعزم

على تعديل قانون هيئة كبار العلماء بالأزهر. وحضر إلى إدارة الأزهر مبكراً، ولم يذهب إلى مكتبه أولاً، وإنما دخل مكتبي، وجلس وأنا وحدي معه، وسألني هل قرأت الخبر الخاص بجماعة كبار العلماء؟ فأجبته بإيجاب، فاخرج مكتوباً من جيبه، وقال: اقرأ هذا الخطاب، وإذا به خطاب موجه إلى رئيس الجمهورية يقدم فيه استقالته احتجاجاً على تدخل الحكومة في شؤون الأزهر بلغة لا تعوزها الصراحة، وبإيمان لا يقبل التردد بحال، وبعزيمة صادقة لا تعرف المناورة.

فقبّلت يده بعد أن قرأت الخطاب، وشكرت له غيرته على الأزهر وكرامة العلماء. إلى أن أرسله إلى رئيس الجمهورية.

ورأت فيه الحكومة قوة لا تستطيع معها أن تقدم أي تغيير في الأزهر طالما الشيخ في وظيفته، فقبلت استقالته.





الشيـــخ ومواقف لا تنسى:
للكاتب الإسلامي محمد عبدالله السمان[1]

(عين الشيخ شيخاً للأزهر عام ١٩٥٢ وعمره يناهز الثمانين، لذلك أشفق عليه من هذا المنصب تلامذته وعارفو قدره على ماضيه المشرق الحافل بأنصع الصفحات، ولكن الشيخ الذي كان يتمثل بيت الشاعر:

إن الثمـــــانين وبلِّغتَهـــــا　　　قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

كان بين جنبيه نفس أبية، وقلب فتي، وإيمان شجاع، واطمأننت حين علمت من مصادر موثوق بها أن الشيخ لا يعتبر هذا المنصب غاية يصبو إليها، لذلك فمنذ توليه المنصب وهو يحتفظ في جيبه باستقالة محررة، ونسخة منها يحتفظ بها مدير مكتبه. وقد قال له، أي لمدير مكتبه: إذا أحسست بضعفي في موقف من المواقف، فقدم استقالتي نيابة عني.

وفي عام ١٩٥٣ عزلت فرنسا السلطان محمد الخامس الولي الشرعي للمغرب مستعينة بعملائها الخونة من المواطنين، فجمع الشيخ هيئة كبار العلماء، وأصدر بياناً اعتبرت فيها هؤلاء المارقين خارجين على الإسلام. وأرسل البيان إلى الصحف فلم تنشره، وفي الصباح أرسل بياناً مرفقاً به

---

(١) مجلة «اكتوبر» المصرية ـ العدد ٣٤٩ تاريخ ٣ تموز ١٩٨٣. من مقال الكاتب الإسلامي محمد عبدالله السمان تحت عنوان «أعلام العلماء ـ الشيخ الخضر حسين».

استقالته إلى رئيس الجمهورية. وكان أن نشر البيان وكان له أثر في الحركة الوطنية في المغرب).

*** قال الدكتور عبد الحليم محمود في بثه عن الغزالي:**

(فضيلة العالم الجليل الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق، وهو عالم لا يتهم بعصبية، والآراء مجمعة على أنه من العلماء الذين حاولوا جاهدين أن يكون كل ما يصدر عنهم إنما يراد به وجه الله)[١].

*** قال الأستاذ محمد عبد اللطيف السبكي ـ عضو جماعة كبار العلماء:**

(ولعل من الفأل الحسن أن تقترن هذه الوثبة باستقبال الأزهر لشيخ تقي يستعين بالله حقاً، ولا يقول إلا صدقاً، وهو بعد لا تخدعه الزلفى، ولا يغره الثناء، وعلى مثل هذا الشيخ يتوكأ الأزهر وينهض، ويستفيد ويفيد، والله المستجيب)[٢].

*** قال الدكتور محمود حمدي زقزوق ـ عميد كلية أصول الدين بالقاهرة:**

(لقد كان الشيخ صاحب غيرة دينية ونزعة إصلاحية معتدلة، تجلت في مقالاته وبحوثه ومؤلفاته، وقد اهتم في مقالاته العديدة التي جمعت فيما بعد في كتابه «رسائل الإصلاح» بمجالات الدين والأخلاق والاجتماع، واهتم بصفة خاصة بالميدان الأخلاقي، فركز على الخصال التي يجب أن يتحلى بها الفرد، وبخاصة العالم، وما يجب أن تتحلى به الأمة حين تسلم

---

(١) من كتاب «تراث الإنسانية» طبع وزارة الثقافة بالقاهرة.

(٢) من مقال «الدين والقوة وسيلتان إلى غاية واحدة» ـ مجلة «الأزهر» ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين.

من التفكك والانحلال.

وتعرض لموضوع الإسلام والمدنية الحديثة مبيناً أهمية الدين في المجتمعات الحديثة وضرورة عناية حكوماتها بنشره، وأن تستمد قوانينها من تشريعه الواسع النطاق وهاجم (العلمانية).

وقد كان الشيخ من دعاة الرابطة الإسلامية، المدافعين عن الدين ودعوة المسلمين إلى ضرورة المحافظة عليها، وكان من دعاة الاجتهاد، وقد بين قيمته في الشريعة الإسلامية مؤكداً أن الشريعة الغراء تساير كل عصر وتحفظ مصالح كل جيل.

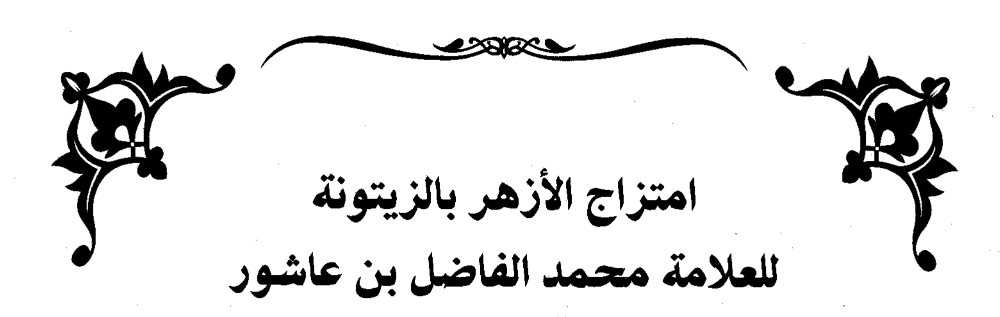
ومن منطلق الغيرة الدينية أيضاً رأينا الشيخ يرد على الدكتور طه حسين في كتابه (في الشعر الجاهلي) عام ١٩٢٦ .

وقد رد الشيخ الخضر حسين رداً تفصيلياً على كل ما جاء في كتاب الدكتور طه حسين مؤكداً أنه لا يعارض المؤلف في انتهاج الأسلوب الذي يريد في بحثه بشرط ألا يكون في ذلك مساس بالدين الإسلامي وانحراف عن الحقيقة، وبين أن منهج الشك ليس جديداً فقد ذهب إليه الغزالي وابن خلدون قبل ديكارت.

وقد نال كتاب الشيخ الخضر حسين (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) تقدير عدد من علماء الإسلام المعاصرين والأدباء العرب البارزين في ذلك الوقت لما اشتمل عليه من نقاش موضوعي، ولما قدمه من حجج لغوية وتاريخية)[١].

---

(١) جريدة «الأهرام» المصرية ـ العدد الصادر يوم الأحد ٤ رمضان ١٤١٢هـ مارس آذار ١٩٩٢ ـ تحت عنوان (من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر).



امتزاج الأزهر بالزيتونة
للعلامة محمد الفاضل بن عاشور

(وإنـه ليحق لهذه الحقبة من التاريـخ التي تظلنا أن تفخـر بأنهـا التي بلغت فيها الصلات بين الأزهر والزيتونة أوجها، فقد احتضن الأزهر إماماً من أئمة الأعلام، كان أحد شيوخ الزيتونة العظام. وهو الشيخ محمد الخضر حسين. إذ استقر بمصر وأحرز على شهادة العالمية، وسمي أستاذاً في قسم التخصص، وعين في هيئة كبار العلماء، ثم سمي شيخاً للأزهر سنة ١٣٧٤. فكان خير تاج توجت به الأخوة بين المعهدين في مبلغها الأقصى وذروتها العليا)[١].

*** مشيخة الشيخ محمد الخضر حسين للدكتور محمد أحمد عوف:**

من مواليد عام ١٢٩٣ بتونس، ولقد كانت له مجلة «السعادة العظمى» وله عدة مواقـف ضـد الاسـتعمار، ولقد كانـت له عدة جـولات، بالـدول الإسلامية، واستقر فترة في الآستانة، ولقد كان له عدة أنشطة فكرية وأدبية واسعة. وكان الشيخ الخضر رئيساً لتحرير مجلة «الأزهر» وعضواً بمجمع اللغة العربية، ثم تولى رئاسة تحرير «لواء الإسلام» وعين عضواً بجماعة كبار العلماء.

---

(١) امتزاج الأزهر بالزيتونة ـ موضوع قدم للمؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧١م. ونشر في كتاب «ومضات فكر».

وتولى عام ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م مشيخة الجامع الأزهر إلى أن استقال عام ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٤م. وبعدها توفي عام ١٩٥٨.

وللشيخ الخضر عدة مؤلفات أدبية وفكرية، وله آراء في الفرق الإسلامية كالقاديانية والبهائية، وله عدة قصائد شعرية منها قصيدته المشهورة «أعمار زائفة».

والشيخ الخضر كان يعرف عدة لغات، وكان أول شيخ للجامع الأزهر في عهد الثورة[١].

* **في مجمع اللغة العربية[٢]:**

استأنف مجمع اللغة العربية نشاطه يوم ٦ أكتوبر بعد انتهاء العطلة الصيفية، فعقد جلسة قام فيها فريق من أعضاء المجمع بإلقاء كلمات ترحيب، تتضمن التكريم الذي لحق المجمع باختيار حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد الخضر حسين شيخاً للأزهر الشريف.

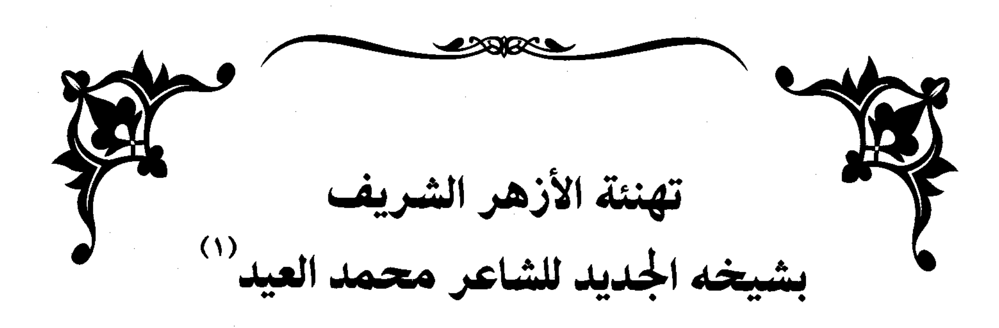
وقد عددوا مآثر فضيلته، ونوهوا ببحوثه العلمية والدينية التي كان لها الأثر الكبير في النهوض بمختلف الشؤون الدينية.

❑ ❑ ❑

---

(١) من كتاب «الأزهر في ألف عام».

(٢) مجلة «الأزهر» ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين.



تهنئة الأزهر الشريف بشيخه الجديد للشاعر محمد العيد[1]

من قصيدة مطلعها:

بـارقٌ مـن بـوارِق الرُّشْـدِ لاحـا   جـرَّ للـشرقِ غبطـةً وفَلاحـا

ويقول منها:

وحَبـا الأزهـرَ الـشريفَ رئيـساً   عبقريـاً ومُـصلحاً مِـسماحا

وإمامـاً مجـدِّداً مغربيـاً   رفـعَ المغـربَ المهـيضَ جناحـا

---

(١) الشاعر محمد العيد ولد في مدينة عين البيضاء سنة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٤م. شاعر الجزائر بحق، ومن كبار شعراء المغرب، بل ومن كبار شعراء العربية والإسلام في عصره. تلقى علومه في بسكرة ثم انتقل إلى جامع الزيتونة في تونس. وعاد إلى وطنه وعمل في ميدان التعليم معلماً ومديراً لمدرسة (الشبيبة الإسلامية) في الجزائر العاصمة، ومديراً لمدرسة (العرفان) في عين المليلة، كان عضواً في جمعية (العلماء المسلمين الجزائريين) وسجن لأعماله وأشعاره الوطنية، ونشر في صحف ومجلات: الإصلاح ـ الشهاب ـ البصائر. توفي عام ١٩٧٩ بالجزائر.

* له ديوان شعر كبير مطبوع عدة مرات (ديوان محمد العيد محمد علي خليفة).

* وهذه الأبيات من قصيدة طويلة تضم سبعين بيتاً قالها في تهنئة الأزهر بالإمام ونشرت في العدد (٢٠٨) من جريدة «البصائر» الجزائرية سنة ١٩٥٢ . وموجودة في ديوانه.

هنِّـئِ الأزهـرَ الـشريفَ بـشيخٍ طـاب أنـساً بـه وزاد انـشراحا

رأسَ الأزهـرَ الـشريف فخِلنـا سـادن البيـتِ أوتـي المفتاحـا

وجـلا الحـقَّ «بالهدايـة» حينـاً فنفـى عنـه غيمـه وأزاحـا

حارب الجهلَ والتعصُّبَ والإلـ ـحادَ والدَّجلَ والخَنا والسِّفاحا

بيـراعٍ يفـري المـشاكل عـضْباً وحجى يكـشف الـدجى لمّاحـا

حاز آل الحسين (بالخضر) الحـ ـرَّ مدى فخـرهم وفـازوا قـداحا

أورث الله منـه (طولقـة) العـر ق وأورى (بنفطـة) المـصباحا

(تـونسٌ) تقبـلُ التهـاني نـشوى وتهـادي (الجزائـر) الأفراحـا

إنَّ كلتا الأختين من خمرة البشـ ـرى تعاطت على الصَّفا أقـداحا

قـد طـوى سبعةً وسـبعين عامـاً ناشـراً نـورَ علمِـهِ وضّـاحا

رائـع المنـشآتِ يفـتن كالرسّـا م فيهـا ويعـرض الألواحـا

طيِّبُ الـريحِ طيِّـبُ الخُلـق كـالر يحـانِ يُـذكي أريجَـه نفاحـا

مـدَّ فـي عمـره الإلـه وأبقـا ه منـاراً لنـا وبـدراً لياحـا

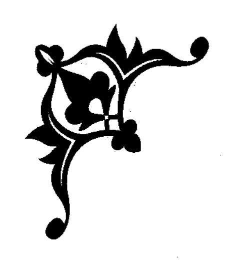
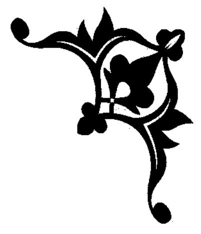
يـا بني الأزهـر المبـارك طلـتم أيـدياً عمَّـتِ الرُّبـى والبطاحـا

إنمـا الأزهـر المبـارك روضٌ بَـثَّ فـي الكـونِ طيـره صدّاحا

فاسـتطيبوا بطيبـه واسـتظلوا دوحـةً فيـه فاقـت الأدواحـا

قد رمى (شيخكم) بكم مطْلَعَ النجـ ـم فـسيروا خطـاً إليـه فـساحا

❑ ❑ ❑

تحية للشاعر
أحمد بن شفيع السيد[1]

سيعيد للإسلام فضلَ جلاله شيخٌ سما بفعاله وخلاله

نور الهداية في أسرة وجهه متألقٌ كالبدر عند كماله

«شيخ الشيوخ» لقد حللت مكانة في الشرق بين العزِّ من أبطاله

سيَّان ماضيك المجيد وحاضر كالضوء عند ضحاه أو آصاله

علَمٌ له في كل عِلْمٍ جولة حتى ليلقى من كبار رجاله

«الأزهر المعمور» يأمل فيكم تحقيق ما يرجوه من آماله

إنَّا لنعرف فيك ديناً قيماً «عوذت دينك بالنبي وآله»

□□□

(١) مجلة «الأزهر» ـ الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين.

قصيدة الشاعر محمد صادق عرنوس إلى العلامة الجليل السيد محمد الخضر حسين بمناسبة سفره إلى الأقطار الحجازية[1]

سافر إلى الحجّ ميموناً بك السفرُ ... واقضِ المناسكَ مَزهواً بك الحجرُ
جاهدتَ في الله فانزل في ضيافته ... لك المثوبةُ والإكبارُ والظفر
إنَّ الصفا مذ نويت الحج مغتبطٌ ... لزورةِ العالِمِ الربِّي منتظرُ
وهل رأى منذ حين في مواسمه ... كموسمِ حجَّ فيه السيد (الخضر)
هذا النحيف المغالي في تواضعه ... به الحنيفية البيضاء تفتخر
كم ذاد عنها أعاديها بمفرده ... في موقف تتحاشى مثله الزمر
فلم تصب منهم يوماً بكارثةٍ ... إلا وكان له في دفعها أثر
كأنه ديدبانٌ في حِراستها ... هيهات يثنيه عن إنقاذها وطر
اقرأ له الردَّ بعد الرد يرسله ... على العدا أين منه الصارم الذكرُ!
في قالبٍ لم يطف هُجرٌ بساحته ... لكنه من صميم الحق منحدر
في مهبط الوحي سَلْ عن دائنا فئةً ... نامت وطال بنا في المحنة السهر
ألم يعد ثمَّ في إنقاذنا أملٌ ... هل انطفا نورُه واستفحل الخطر؟

---

(١) مجلة «الفتح» العدد ٣٣٨ ـ السنة السابعة تاريخ ٤ ذي الحجة ١٣٥١ ـ القاهرة.

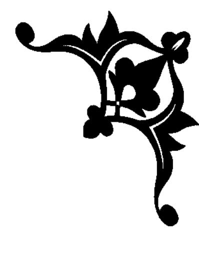
5033

قل للحجيج إذا وافيتهم بمنى قولاً له وقعه فالحجُّ مؤتَمَر
هنا انبثاقُ الهدى يا قومُ فاتعظوا ومهبط الروح بالتنزيل فاعتبروا
يا أيها الناس دين الله منتهكٌ أينَ الكتاب وأين الآي والسور؟
اللفظ باقٍ ومعناه الكريم مضى والروح إن فُقدت ما تنفعُ الصور
غوصوا على دره المكنون والتمسوا منه الشفاء ففيه الورْد والصدَر
يا للعجائب ظمأى والحيا معكم لو شئتم انهلّ عذباً ما به كدر
موقوفة عودة العزّ القديم على أن يعمل العقل في التنزيل والبصر
إذا غدا عادةً فيكم مؤثلة تقلص الذل عنكم وانجلى الضررُ

❐ ❐ ❐







قصيدة الأستاذ
علي سيد أحمد منصور(١)
بقسـم التخصص بالأزهـر

عُدْ ناصرَ الدّين عَوْدَ النَّصر والظَّفر ... يا حجةَ العصر بل يا مرشدَ البـشرِ

إنَّ الليـالي التـي قـضّيتها سـفراً ... كانت تمر بنا والـنفسُ فـي ضَـجَر

لكنك الشمس إن غابت فمرسـلة ... من ضوئها قبساً للناس فـي القمـر

لما نويتَ النوى من قطرنا وجِلت ... منا القلوب وبات الكل فـي كـدر

أما البلاد التـي أزمعـت تقـصدها ... طارت بكم فرحـاً للفـوز بـالوطر

فأنت كالغيـث كـلُّ النـاس تطلبـه ... لأنــه دافــع للبــؤس والــضرر

لقــد حللــتَ بأوطــانٍ مــشرفةٍ ... وعدتَ تحمل خيرَ الخُبْر والخَبَـر

فاشرحْ لنـا مجـدها شـرحاً يزيّنـه ... منك البيان الذي يزهو على الدرر

واذكر لنا كيف كان البيت في عظمٍ ... وكيف سيرك بين الحِجْر والحَجَـر

وكيف طفت مع الطُوّافِ في أدبِ ... وكيف ذكرك للخلاّق فـي الـسحر

وهل شـربت مياهـاً كـان يـشربها ... خيرُ الخلائق من بدوٍ ومن حـضر

ينبـوع زمـزم هــل بـاقٍ تفجـره ... أمْ غاص من أثر الأهـوال والغيـر

---

(١) مجلة «الهداية الإسلامية» ـ الجزء التاسع من المجلد الخامس. قصيدة أُلقيت في دار الجمعية ليلة ١٠ محرم ١٣٥٢.

وهـل حللـت بغـارٍ حـل سـاحته | مَـن دِينُـه مقنـعٌ للعقـل والفطـر
ما أحسن السير في أرض مقدسـة | منها أتانا الهدى والذكر ذو السور
كرِّرْ بربك عن ركب الحجيج على | هذي المسامع ما شاهدت من عبر
كم كان فيه مـن الآفـاق مـن أمـم | شقوا إليـه سـبيل السـهم والـوعر
جاؤوا على شغف يبغـون مغفـرة | من غافر الذنب مهما كان في الكبـر
لما وقفتم على عرفات وامـتلأت | منه الرحـاب بأشـكال مـن الزمـر
بأي عين نظرت الركـب مجتمعـاً | وكيف قلبـك لـم يقفـز ولـم يطـر
في ذلك المجمع الميمون قد جمعـت | شتى الوسـائل للإنقـاذ مـن خطـر
فهل تعارف أهل الدين واشـتوروا | فيما يقـدمهم مـن صـائب الفكـر
لا شكَّ قلبك أضحى يوم سيركم | نحو المدينة في بشر وفـي حـصر
أما الـسرور فـشوقاً نحـو سـاكنها | والضيق حزناً على بيت الهدى العطر
تلك الصحارى التي جزتم مفاوزها | هل ذكّرتكم عهود الأنس والسمر
أيـام كنـا تخـاف النـاس سـطوتنا | وكـان أعظمهـم منـا علـى حـذر
يـا لهـف قلبـي علـى أيـام عزتنـا | ولّت سراعاً فلم ترجـع ولـم تـزر
لمـا أتيـتَ إمـام الخلـق كلهـم | ماذا صنعت بذاك الموقف الخطـر
هل ذبت شوقاً وإجلالاً لحـضرته | أم كنت ثَبْتاً فلم تفـرق ولـم تحـر
وقلت ما قلته من قبـل فـي أسـفٍ | يا سيد الرسل نجِّ الدين من شـرر
وهل دعوتَ لنا في روضةٍ شرفت | لما دنت من ضياء القلب والبـصر
قد نلْتَ مـا تبتغـي فـارجع بعافيـةٍ | يحفك السعد في مَكْثٍ وفي سفر

5036

نادي الهداية نادى وقـتَ ظعـنكم   من لي بمجلس أنس السيد (الخضر)

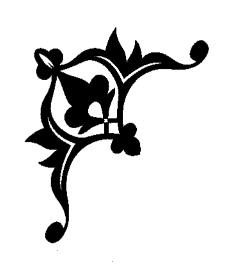
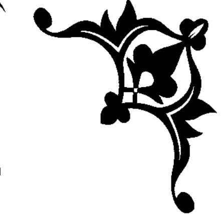
والآن قـد جئتـهُ فـاهتز مـن فـرحٍ   كأنــه ســامعٌ يهتــز مــن وتــر

فــلا فتئــت ســراجاً فيــه تملــؤه   نــوراً وعلمــاً فيغـدو بهجـة النظـر

ولا برحــت تعذّيــه بحكمــتكم   حتـى يتم ويـضحي طيـب الثمـر

وزادك الله علمـــاً زانـــه عمــلٌ   وبسطةً فـي لذيـذ الـرزق والعُمُـرِ

❐ ❐ ❐

قصيدة الشاعر سالم ضيف[1]

قف فوق منبر مجد الشرق يا (خضرُ) واهتف بأن العلى بالعلم يعتبرُ

ولا حياة لهذا الشرق راقية إلا بعلم وأخلاق لها أثر

وبالفنون فنون العصر أجمعها ما هيَّ إلا من الإسلام تنحدر

ومن يرى غير هذا رأيه خطر إلى العروبة والإسلام يحتقر

(أبا محمد) يا من فزت واتجهت لك المحافل واهتزت لك الفكر

يا أيها (الخضر) المحمود سيرته الفوز يأتي لمن يسعى ويصطبر

يا (ابن الحسين) أيا من زان أمته أنت العظيم وبحر كله درر

ها هي الإمامة قد جاءتك طائعة بالجامع الأزهر السامي لها عبر

تقول: يا من له في العلم منزلة رفيعة إنني أهواك يا قمر

عصر المحاباة قد ولى بخسته وجاء عصر إلى الأكفاء ينتصر

إلى الهداية والإصلاح بغيته وبالعروبة والإسلام يفتخر

فاهنأ بما نلته بالعلم محترماً وكن كأنت إلى الإسلام تنجبر

---

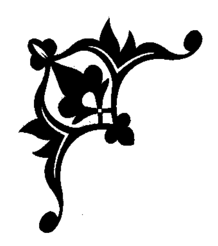
(١) مجلة (الأسبوع) التونسية ـ العدد ٣٠٩ تاريخ ١٠/ ١١/ ١٩٥٢. والشاعر مدينة (نفطة) حيث ولد الإمام.

فالجامع الأزهر الزاهي بطلعـتكم   قـد اعتـراه سـرور لـيس ينحـصر

ومصر كلها مثل الشرق فـي فـرح   وتونسٌ جذلي لمـا جاءهـا الخبـر

و(نفطة) أمك السمحا تباهي بكـم   وتدعوا يا ابني لك الإسعاد مزدهر

❐ ❐ ❐


تحية الهداية الإسلامية[1]



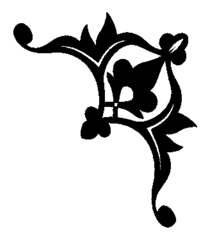
الهداية الإسلامية

بشرى فقد رجعت إليَّ حياتي	بهداية الإسلام بعد مماتي
أهلاً بها وبمن يحررها ومن	يملي بأسطرها أجل عظات
و(الخضر) أهل مَعينها ومُعينها	كالبدر مدَّ النجم هدي سراة
دامت بأفق القطر شمس وجودها	وأمدّها الرحمن بالنفحات



(١) مجلة «الهداية الإسلامية» الجزء الخامس من المجلد الحادي عشر ـ أبيات من قصيدة الأستاذ الشيخ مصطفى يحيى إبراهيم بمعهد الإسكندرية، وهو من أصدقاء المجلة من أول نشأتها، وحدث أن انقطعت عنه المجلة لظروف عارضة قلما تلقاها ثانية جادت قريحته بالقصيدة.





تحية رابطة أبناء الأزهر الأدبية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إلى مقام حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر بمناسبة تشريفه حفل الرابطة بالمولد النبوي الشريف الاثنين ٢٠ من ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هجرية[١].

أجلُّ ما أنزل المولى على البشر ... وخير ما علَّم الرحمن من سورِ

نهديه حباً وإجلالاً سما وصفا ... من القلوب إلى أستاذنا (الخضر)

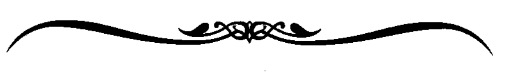
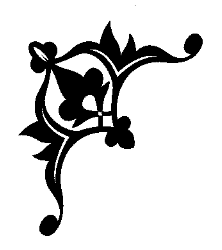
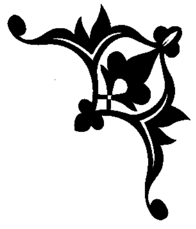
شيخ الشيوخ وأتقاهم وأكرمهم ... وقائد الأزهر المعمور ذي الخطر

أدامه الله في أمن وعافية ... وخصه ربنا بالنصر والظفر

رابطة أبناء الأزهر الأدبية
مريدكم محمد عبد المنعم محمد العربي
نقيب الرابطة
٢٠ من ربيع الأول ١٣٧٢

❑ ❑ ❑

(١) كتابة على غلاف القرآن الكريم المهدى من رابطة أبناء الأزهر الأدبية إلى الإمام.

كلمة الأستاذ
محمد خلف الله أحمد[(١)]

سادتي :

قضى نظام المجمع أن أشغل مكاناً كان يشغله من قبلي عالم من جلة علماء العربية، وشيخ من شيوخ جامعتنا الدينية الكبرى هو المرحوم الأستاذ محمد الخضر حسين، أسأل الله أن يجعل لي أسوة حسنة في إخلاصه للدين والعلم وخدمته للغة والأدب.

كان رحمه الله (أحد العشرين الأولين في حياة هذا المجمع) وقد سجلت مضابط الجلسات بحوثه في : (تصحيح الألفاظ والأساليب)، وفي (نواحي الإصلاح في متن اللغة)، وفي (طريق المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية)، وغير ذلك من البحوث، كما سجلت ما شارك به في النقاش والتعقيب، وأشارت إلى قصائده التي كان يمتع بها المجمع في دوراته ومؤتمراته، والحق أن فقيدنا الكبير كان متنوع نواحي النشاط العلمي واللغوي، وكانت تتمثل فيه طائفة كبيرة من خصائص تفكيرنا العربي الإسلامي في تلك المرحلة التي مرت بها نهضتنا الحديثة منذ أواسط القرن الماضي، فقد كان علينا ـ ونحن نكافح

---

(١) من كلمة الأستاذ محمد خلف الله أحمد التي ألقاها في مجمع اللغة العربية بعد أن شغل بعضويته مكان الإمام بعد وفاته.

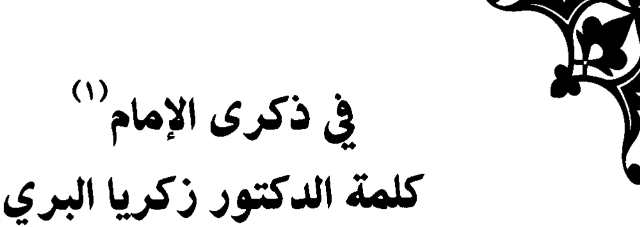
في سبيل نهضتنا الفكرية وإصلاح أوضاعنا الاجتماعية من جهة أخرى ـ أن نجاهد في إحياء تراثنا، والحفاظ على تقاليدنا، وأن نتعهد أركان ماضينا بالدعم والتثبيت، وقد انتدب لهذه الناحية من جهادنا نفر من الراسخين في العلم فولوا وجوههم شطر ثقافتنا العربية الإسلامية، ينشرون صحائف مجدها، ويدفعون ما يوجه من شبه وتهم. وسار جهاد هؤلاء في ناحيتين متكاملتين: أحدهما إبراز سماحة الإسلام والدعوة إلى التمسك بمبادئه وتعاليمه، والثاني التمكين للغتنا الفصحى، والكشف عن ذخائرها، وتقريب بحوث القدماء فيها إلى أذهان المحدثين. وكان من هؤلاء السلفيين عالمنا الأستاذ (الخضر حسين) فقد شهدت مجامع (تونس) و(دمشق) و(القاهرة) ألواناً خصبة من ثمار نشاطه، في هاتين الناحيتين. وسجلت لنا كتبه المطبوعة بعض هذه الثمار في صورة محاضرات ألقاها ورسائل نشرها، وفي كل جلاء لبعض خصائص ودراسات عن (حياة اللغة العربية)، وعن (الخيال في الشعر العربي)، وعن (القياس في اللغة العربية)، وعن (نشأة علم البلاغة)، إلى مسامرات وبحوث عن (الحرية في الإسلام) وعن (الدعوة إلى الإصلاح)، وعن (مدارك الشريعة الإسلام وسياستها)، وعن (السيرة النبوية) وعن (علماء الإسلام في الأندلس) إلى غير ذلك من ثمار التصنيف والتحقيق. ومنذ ثلاثين سنة، اتسعت دائرة جهاده وامتدت آثارها إلى مختلف أقطار العروبة والإسلام، حين ألف هو وجماعة من المصلحين في القاهرة جمعية للهداية الإسلامية وأنشأوا لها مجلة تنشر دعوتها، وتكون ملتقى لأقلام الباحثين من الشيوخ والشباب. والذي يرجع إلى أعداد هذه المجلة يرى فيها صورة حية لنواحي الثقافة الإسلامية والعربية ومشكلاتها في تلك الفترة، ويلمس القيم التي ظل الأستاذ (الخضر حسين) طول حياته ينافح عنها في نثره وشعره،

وكانت عضويته في المجمع استمرار في خدمتها، وتتويجاً لجهاده في سبيلها.

وليس المقام اليوم مقام إطالة في تحليل اتجاهات عالمنا السلفي ومواقفه من مختلف الدعوات والمناهـج والآراء في إحياء اللغة وتيسـيرها، وخدمة التراث الإسلامي وتجديده، ولكنه مقام الذكرى والوفاء، واهتداء الخلف بما شرع السلف من سنن صالحة في نزاهة البحث ووضوح القصد. وقد كان من أكبر أماني سلفي أمنية عبر عنها من قبل في بحثه عن (القياس في اللغة العربية)، هي أن يهيء الله لهذه اللغة ـ كما هيأ لبعض لغات العالم الكبرى ـ (مجمعاً ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعاني، ويضع لكل معنى لفظاً يناسبه، فإن العلوم تتدفق تدفق السيل، ومقتضيات المدنية تتجدد تجدد النهار والليل، وكل من المعاني العلمية والمرافق الحيوية يحتاج إلى أسماء تلتئم مع سائر الألفاظ العربية التئام الدرر النقية في أسلاكها. .) (القياس في اللغة العربية ص٢٠ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٥٣هـ) وقد أكرمه الله فحقق أمنيته بإنشاء (مجمع اللغة العربية)، وزاد إكرامه فجعله من المؤسسين الأولين لنهضة هذا المجمع والمربين لتقاليده، وأنا أحب أن أقتدي به.

❐ ❐ ❐





في ذكرى الإمام[1]
كلمة الدكتور زكريا البري

أيها الإخوة ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في هذا المسجد الإلهي المبارك استجبنا لدعوتكم الكريمة، إحياء لذكرى المولد النبوي الشريف، ومشاركة منا في إحياء ذكرى عالم مجاهد كبير، ارتبط بكم، وارتبطم به، هذا الرجل في رأيي ورأي تلاميذه وفي رأي عامة المسلمين ممن يعرفونه، يدخل في أولياء الله الصالحين.

ذلك أن هذا الرجل، وقد ارتبطت به في حياتي طالباً درست عليه، ثم بعد ذلك عاملاً بجواره في مشيخة الأزهر، حيث رغب إليّ أن أشرف على مجلة الأزهر، ثم بعد ذلك رغب إلي رغبة خاصة في أن أعاونه في كتابة مذكراته وذكرياته.

ترددت عليه في منزله العامر في شارع (صفية زغلول)، بعد أن انتقل إليه من شارع (خيرت). وبدأ يمليني مذكراته وأنا أكتبها، وأحياناً كان يخط بيده مسودات هذه المذكرات، ثم أتناول تبيضها في منزلي، وقد توقفت في

---

(١) أقيم احتفال بالقاهرة في ذكرى الإمام. وقد تلقيت من أحد أقارب الإمام شريطاً مسجلاً للحفل أخذت منه الفقرات المنتخبة، وذلك نظراً للكلمات المطولة التي ألقيت. وجرى الحفل في المسجد القائم في طريق الأهرام نزلة البطران.

بعض كلماتها لأنه عليه رضوان الله كان يكتب بالخط المغربي، ويضع نقطة الفاء تحتها وهكذا. ولكني بشيء من الممارسة استطعت أن أربط الألفاظ بعضها ببعض، واستمر هذا طويلاً أثناء المشيخة بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، بل قد يطول الوقت إلى أكثر من ذلك.

ثم ذهبت إليه في يوم معين وقلت له: إذن سنواصل، وصلنا إلى كذا... فلنبدأ من هنا... قال وضحك، أو بعبارة أدق، ابتسم، لأن سمته كان سمت هدوء وقال: لقد مزقت هذه المذكرات.

كان في ذلك الوقت الأخ المرحوم الدكتور الشيخ عبد المنعم البهي يعمل في جريدة (المصري)، واتصل بي، وقد علم أنني أعاون الشيخ الأكبر المجاهد الإسلامي في كتابة هذه المذكرات. ورغب أن ينشرها تباعاً في جريدة المصري، فقلت له: إن هذا شيء لا أملكه، ولا أملك استئذانه فيه، وإنما الحل عندي أن تأتي لتزوره في يوم كذا، في هذا الوقت الذي سأواصل فيه الكلام وكتابة المذكرات.

وجاء الدكتور المرحوم الشيخ لذلك، وحدثه عن نشرها تباعاً في جريدة (المصري) ليستفيد بها الناس، ويروا تاريخ رجل فاضل، ولد في تونس، وهاجر إلى أوربا تحت ضغط الاستعمار الذي حكم عليه بالإعدام و... الخ. فإني أذكر كثيراً مما كتبه في هذا المقام. قال له بأدب: دعني أفكر، لأنه كان لا يريد نشر هذه المذكرات... دعني أفكر، واترك لي فرصة. وخرج الدكتور البهي رحمه الله وخرجت معه.

ثم جئت في المقابلة التي حدثتكم عنها، وقلت له: إذن نواصل ما كنا يه، قال: لقد مزقت هذه المذكرات. قلت: وفيما كان هذا؟ وقد أسعدتني

بكتابة هذه المذكرات، وشاركت فيها. قال: إن اقتراح زميلك المرحوم الدكتور البهي جعلني أفكر في نشرها أو عدم نشرها، واستخرت الله، ووجدت أن نشرها يعتبر حديثاً عن النفس، وفيه تزكية لنفسي، وأنا لا أريد أن أزكي نفسي، وليستفد من شاء بما شاء من كتاباتي، أما هذه المذكرات فقد عدلت عن المواصلة فيها، وانتهى أمرها إلى ما قلته لكم من أنه مزقها.

أذكر لكم بعض ما فيها من أسرار: كان الشيخ اسمه الشيخ محمد الخضر حسين، قال: وأظن أن هذه الورقة بالذات مسودتها عندي في بيتي احتفظت بها، لأني كنت آخذ كما قلت لكم بعض كتاباته وأبيضها أحياناً أولاً بأول ـ قال: إن أمه حينما ولدته وكبر، قالت له: إنها كانت تربت عليه وهو صغير وتقول له:

إن شـــاء الله يـــا أخـــضر تكبـــر وتـــروح الأزهـــر

هذا هو الأزهر، وسمعته عند سيدة هناك في تونس، وعندها كلية الزيتونة، وهي كلية جامعية تشبه الأزهر تماماً، ولكن الأزهر هو الأزهر عندي هذه القصاصة بخطه رحمه الله.

وكأن السماء كانت تستجيب لهذه السيدة، لأنها هناك في قرية من قرى تونس، ثم بعد ذلك تربت على وليدها وتدعو له هذا الدعاء، وإذا بالقدر يخرج الخضر حسين من تونس إلى ألمانيا. . . إلى. . . إلى أن استقر وجاء هنا إلى الأزهر.

ووجد الناس في الخضر بن حسين في العشرينيات عالماً غريباً وعجيباً، ولم ينشأ في الأزهر، وإنما نشأ في بلاده، وكوّن نفسه، وظهر فضله في كتاب ألفه في الرد على كتاب الدكتور طه حسين (كتاب نقض كتاب الشعر

الجاهلي). وتسامع الناس بهذا العالم، من أين؟ إلى أن عرفوا أن هذا عالم جليل، رباه الله، وصنعه على عينه، وجاء إلى مصر مهاجراً لأن الاستعمار كان قد أصدر حكماً بإعدامه.

هنا تطلع الأزهر إلى أن يفوز بهذا العالم، وأعطاه شهادة العالمية، ثم أعطاه بعد ذلك عضوية جماعة كبار العلماء. ثم أنشأ الشيخ الخضر حسين جمعية «الهداية الإسلامية» ورأسها، ثم... ثم بما لا أستطيع أن أطيل فيه لأن الوقت يحكمني مهما كنتم على استعداد لأن تستمعوا.

ثم بعد ذلك يجيء شيخاً للأزهر، وكان هذا شيئاً أبعد عن خياله، بل عن خيالنا نحن وعن توقعات أي سياسي وأي أزهري أن يجيء الشيخ الخضر حسين شيخاً للأزهر وهو في ضعف الشيخوخة، وهو لا يتطلع إلى ذلك، وليس له أنصار ينادونه، بل كان هناك فلان وفلان من أعلام مصر الكبار الذين يستحقون هذه المشيخة. لكن إرادة الله تقتضي بحكمته أن يثور خلاف في مجلس الوزراء حول اختيار هذا أو ذاك، وإذا بالمجلس يفاجئ الشيخ الخضر حسين، وكان بيته في شارع خيرت، بينه وبين لاظوغلي مجلس الوزراء في ذلك الوقت خطوات، وإذا بالشيخ الخضر حسين، وهو في بيته نائم، إذا بوزراء يدقون بابه، ثم بعد ذلك عرف منهم أن مجلس الوزراء قد انتهى خروجاً من الخلاف إلى أن يختار شيخاً للأزهر.

ثم... ثم... مسائل كثيرة، وتاريخ هذا الرجل في حاجة إلى أن يكتب أحد عنه، وهذا ما سأحاوله إن شاء الله، رسالة ماجستير، أو رسالة دكتوراه، لأن له تاريخاً غريباً، هو تاريخ الأئمة، هو تاريخ المجاهدين.

ألّف في أصول الفقه، وألف في رسائل الإصلاح، ألف في القياس في

اللغة العربية. . . هذا الرجل، أقول إننا في حاجة لمن يكتب عنه كتابة حرة، وكتابة منهجية في رسالة دكتوراه، ورسالة ماجستير.

وأختم بكلمة قالها لي، في يوم أن خرج من المشيخة. خرج من المشيخة، كان قد استقال، وقدم استقالته لأنه غضب من بعض الأمور التي أرادتها الثورة في الأزهر، وقال: لا أوافق عليها مطلقاً. ثم بعد ذلك زاره وزير الأزهر في ذلك الوقت، وهو موجود الآن، وقد حدثني بهذا أيضاً، وحدثته حينما نقلت إليه ما قاله لي الشيخ الخضر حسين، قال: هذا حقيقي. زاره وقال له: إن استقالتك واعتكافك سببت للدولة متاعب سياسية، وأنا باسم الدولة أنصح باسترداد الاستقالة وبالعودة إلى العمل، قال: بشرط أن تستجاب المطالب التي تقدمت بها، وأن تعدل الثورة عما تريده نحو الأزهر. قال: ولك هذا.

وذهب إلى مشيخة الأزهر يوماً واحداً أظنه يوم الخميس، ثم بعد ذلك في يوم السبت على ما أذكر إذ به يقرأ في بيته قبل أن يخرج قبول استقالة شيخ الأزهر أو بعبارة أدق تعيين شيخ آخر.

فزرته في المساء وقلت له: كيف كان ذلك، فقال: لا أعلم، أنا ذهبت لمصلحة الأزهر حيث حدثني الوزير المختص بذلك، ثم بعد ذلك لم يتحدثوا عن استقالتي، وإنما تحدثوا عن خروجي وتعيين غيري: يا بني إن كانت جنة فقد دخلتها وإن كانت ناراً فقد خرجت منها. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.







كلمة الدكتور عبد الغني الراجحي

(كلمات الأخ الوزير أثارت في نفسي شهوة جامحة لأن أتشرف بالحديث عن فضيلة الشيخ المرحوم الخضر حسين. . .

والله لكأنه أمامي الآن جالس في مسجد (الخزندارة) في شبرا والجامع خلف ظهره ونحن أمامه يدرس لنا، وكنا في قسم الدراسات العليا. . . يدرس لنا على الطريقة الأزهرية القديمة، وكان سمته ووقاره ومنظره وهيئته تدعو إلى العلم، حتى قبل أن ينبث ببنت شفة.

والمسألة التي أثارها الدكتور زكريا في أن له كتاب في القياس، كان يتناول موضوعاً لغوياً دقيقاً، هل اللغة العربية يدخلها القياس أم هي مأثورة فقط؟!.

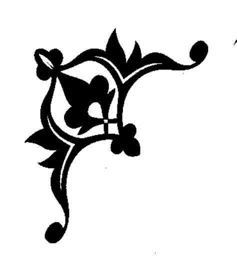
الشيخ كان يمتاز بأنه يضرب في جميع العلوم والنواحي بسهم وافر، يتكلم في الأصول، يتكلم في اللغة، يتكلم في التفسير، يتكلم في كذا وكذا. . . كان موسوعة علمية.

وأنا أتذكر في مشكلته مع رجال الثورة، في إبقائه بالأزهر أم عدم إبقائه، أنه لما غضب مما أريد من الأزهر، هذه الكلمة ذكرناها وأشعناها، قال لمحدثيه: لماذا أحرص على الأزهر، وماذا أريد من الأزهر، أنا يكفيني في غذائي اليومي بعض أشياء من التمر مع كوب من اللبن الحليب. هذا غذائي وهذه حياتي،

فلا أورط الأزهر في شيء، ولا أبغي من ورائه مالاً أو قصوراً أو جزاءاً.

رحم الله فضيلة الشيخ، وأنا أشهد بأنني حضرت عليه، وأنه والد لي، وأضمه إلى جميع الذين تلقيت عنهم العلم فملؤوني عزة وكرامة).

❏ ❏ ❏




كلمة الدكتور
عبد الصبور شاهين

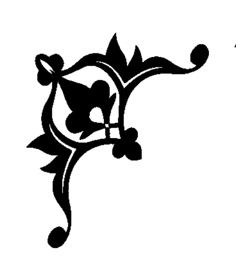
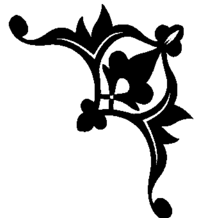
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

(هذه أول مرة أعلم للأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين له في مصر قرية، وقد كنت أتخذه دليلاً على قضية أؤمن بها وهي أن العالم الإسلامي كله قرية متكاملة لا تتميز، وأنه ليس من الغريب أن يكون العالم التونسي الشيخ محمد الخضر حسين شيخاً للأزهر، لأن الأزهر ليس مؤسسة مصرية ولكنه معقل الإسلام، وكل عالم جدير بأن يؤم المسلمين وصالح لأن يكون شيخاً للأزهر، ولكن الناس وقد غاب هذا المعنى، فهموا أن هذه المسألة غريبة جداً أن يكون تونسي شيخاً للأزهر).

❐ ❐ ❐

فقيد الإسلام والعروبة[1]

انتقل إلى جوار ربه شيخ الجامع الأزهر السابق وعضو جماعة كبار العلماء وعضو المجمع اللغوي ورئيس جمعية الهداية الإسلامية شقيق السيد زين العابدين التونسي من كبار العلماء بدمشق والسيد محمد المكي بن الحسين من كبار العلماء بتونس، وعم السادة كاظم المدرس بدمشق وعلي الضابط بحلب وأحمد بالجيش السوري وعبد الرحمن وحسين الطالبين بدمشق، وحمادي ومحمد علي نجلي الشيخ حسونة بتونس، وجد محمد بوزارة الدفاع السعودي والطيب صالح التونسي مدير سلاح الصيانة السعودية وعبد الرحمن صالح بالبعثة التعليمية بالرياض، وصهر الشيخ محمد سحنون الجزائري من طلبة العلم بالمدينة المنورة ومحمد الشريف بالطائف وقريب عائلات عمر وعزوز بجمهورية تونس ومذكور بمصر والبطران بالجيزة.

وسيصلى على الفقيد اليوم بالجامع الأزهر على أثر صلاة الظهر، ثم يشيع جثمانه إلى مقره الأخير بالإمام الشافعي، ويدفن مع صديقه الأوفى المغفور له أحمد تيمور باشا بمدفن الأسرة التيمورية تنفيذاً لوصيته، وتقام ليلة المأتم أمام منزله رقم ١٦ شارع صفية زغلول، تغمده الله بواسع رحمته.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٥٩٨٨ ـ الاثنين ١٤ رجب ١٣٧٧ ـ ٣ فبراير ١٩٥٨»

---

(١) وردت مئات برقيات التعزية من داخل وخارج مصر ومن مختلف الرؤساء والعلماء والوزراء وأهل الفكر.



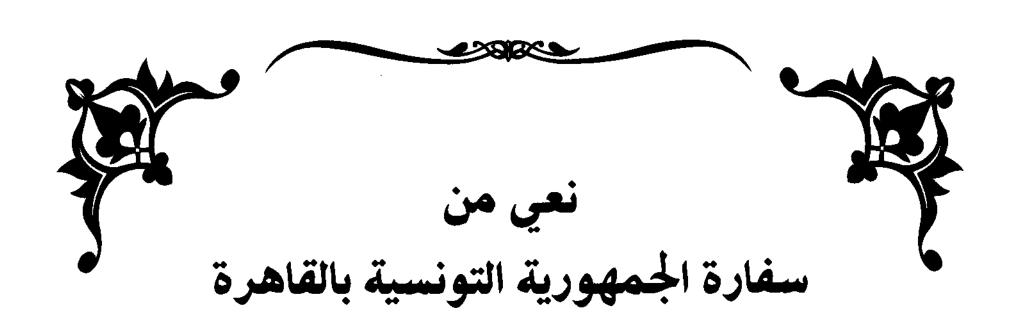
نعي من مشيخة الأزهر

مشيخة الأزهر تنعي بمزيد الأسى إلى العالم الإسلامي والعربي المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق.

اختاره الله لجواره بعد حياة حافلة بالآثار الطيبة والجهاد في سبيل العروبة، وهي إذ تنعاه تفقد بوفاته علماً من أعلام الإسلام. تغمده الله العلي الكبير بواسع رحمته، وأجزل له المثوبة وأكرم مثواه جزاء ما قدم للعلم والدين.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٥٩٨٨ ـ تاريخ ١٩٥٨/٢/٣»

❏ ❏ ❏



نعي من
سفارة الجمهورية التونسية بالقاهرة

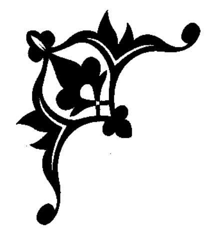
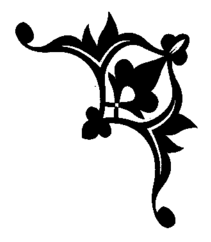
تنعي سفارة الجمهورية التونسية إلى العالم العربي الإسلامي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر سابقاً.

كان رحمة الله عليه من المجاهدين الأوائل الذين أرسوا دعائم الحركة الوطنية التونسية، وممن شردهم الاستعمار عن وطنهم، فهاجر يحمل صوت بلاده إلى مختلف الأقطار، حتى استقر به الطواف في مصر الشقيقة حيث واصل نشاطه في سبيل الإسلام والعروبة.

رحمه الله رحمة واسعة وأقر عين الإسلام والعروبة بما كان الشيخ الخضر يأمله لهما.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٥٩٨٨ ـ تاريخ ٣/ ٢/ ١٩٥٨»

❏ ❏ ❏

نعي من
مجلة «لواء الإسلام»

استأثرت رحمة الله تعالى بعلم من أعلام الإسلام المجاهدين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسـين شـيخ الجامع الأزهر ورئيس مجلة لواء الإسلام السابق.

ومجلة لواء الإسلام تنعي إلى العالم الإسلامي عالماً جاهد في سبيل الله بقلمه ولسانه ونفسه، وإماماً من أئمة السلف الصالح في خلقه وورعه وزهده وتقواه، طرح الدنيا في سـبيل عزة الإسـلام وكلمة الحق. تغمده الله بواسع رحمته، وعوض الإسلام فيه خيراً.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٥٩٨٨ ـ تاريخ ٣/٢/ ١٩٥٨»

❑ ❑ ❑



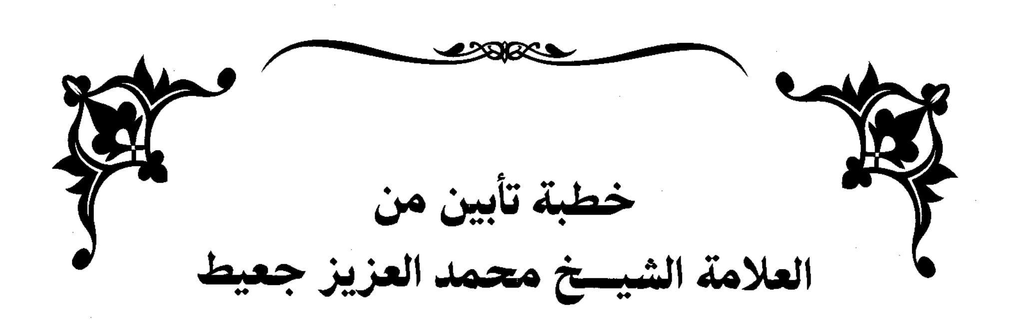
شكر الأزهر

مشيخة الأزهر تذكر بخالص الشكر وعظيم التقدير جميل مواساة السيد الرئيس جمال عبد الناصر والسيد الرئيس شكري القوتلي لتفضلهما بإيفاد مندوبين للاشتراك في تشيع جنازة المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق. ونرجو الله أن يديم لهما نعمة العافية.

كما تقدم عظيم شكرها لكل من تفضل بالتعزية، ولاسيما السادة الوزراء والسفراء ورجال الأديان والتعليم وسائر الهيئات. ونسأل الله أن يجزيهم أحسن الجزاء.

«جريدة الأهرام ـ العدد ٢٥٩٩٠ ـ تاريخ ٥/ ٢/ ١٩٥٨»

❐ ❐ ❐



خطبة تأبين من
العلامة الشيـــخ محمد العزيز جعيط

أما بعد:

فيا عباد الله، إن موت العلماء الراسخين ثلمة في الإسلام، تثير الانزعاج والأحزان والآلام، ذلك أنهم الذابّونَ عن الدين، الحارسون له من كيد الكائدين الذائدون عنه افتراء المفترين، وتحريف المبطلين. يجتهد العلماء الأبرار في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، في دفعهم إلى سلوك ما يفضي إلى الابتهاج والحبور، وينقذهم من الشرور والثبور، ويدأبون على تخليصهم من الأوهام الباطلة، ويغرسـون في نفوسـهم الأخلاق الفاضـلة، ويبذلون ما استطاعوا لانتشالهم من الأيدي العاتبة الصائلة.

فهم ما بين مقاومة للطغيان، ونشر للعرفان، وإعزاز للأوطان، اشتهر من هؤلاء جماعة من الأخيار، في مختلف الأقطار، على مرور الأعصار، ويعد من بين هذا الفريق بحق العلامة النظّار، ابن هذه الديار، الشيخ الخضر الحسين الرفيع المقام، الذي وافاه الحمام، في هذه الأيام. فأثار نعيه لعارفيه الآخذين عنه الأسف والسقام، إذ كان رحمه الله كنيفاً ملىء علماً، وعبقرياً فاق نبلاً وفضلاً وفهماً، مصلحاً صادقاً لا يخشـى في الحق لوماً ولا هضماً، رحل عن هذه الديار، فراراً من بغي الاسـتعمار، واستنكافاً من تحمل الذل والصغار، بعد ما أرّج الأرجاء التونسية بذكره المعطار، واشتهر علمه اشتهار الشمس في رابعة

النهار، وتدفقت تحريراته العلمية الإصلاحية المزرية بالأزهار، وما أن رحل إلى الربوع الشرقية حتى تلقته بالإجلال والإكبار، ورسمته في سلك علمائه الكبار، فأخذ يبث مختلف العلوم، ويحل منها المعكوم والمختوم، وينشئ الرسائل والتآليف الفاضحة زيغ الزائغين، ويقوم اعوجاج المتنطعين، ويبذل في نهوض الأوطان عصارة الفكر وسحر البيان، فولته مصر اعترافاً بفضله مشيخة الأزهر الرفيعة الشأن، فاقدروا أيها الإخوان هذا العالم الراحل حق قدره، وسلوا الله أن يجزيه جزيل ثوابه وأجره، وتأسوا به في طلب العلم وشد أزره[1].

❐ ❐ ❐

---

(١) من كتاب (إرشاد الأمة ومنهج الأئمة) نشر الشركة التونسية للتوزيع ـ تونس.



طــود هوى

ورد نبأ من القاهرة يعلن وفاة علم من الأعلام الذين أنبتهم وطننا التونسي، ثم قدمهم إلى الشرق العربي مفاخراً ومعتزاً.

هذا العلم هو فضيلة العلامة الجليل والبحاثة الفذ والنبراس النير، شيخ الشيوخ، وطود الرسوخ، الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر السابق، وعضو هيئة كبار العلماء في الجامعة الأزهرية، وعضو المجمع اللغوي العربي بمصر.

والفقيد على مكانته العلمية الفائقة رجل عمل وإصلاح، طوى حياته على تقوى ورضوان من الله، يخشى ربه، ويقدر واجبه كعالم، ويعمل لصلاح أحوال الإسلام والمسلمين في نطاق الدين وفي دائرة ما أمر به الله.

لا يخشى في الحق لومة لائم، ولا يأبه لما قد يصيبه بعد قولة الحق. وقد لازمته هذه الخلال الطيبة منذ عهد شبابه، ودفعت به إلى الهجرة من وطنه ومسقط رأسه، فجاب البلاد الإسلامية المختلفة عاملاً في سبيل ما أخذ نفسه من العمل لصلاح أحوال المسلمين وجمع شتاتهم، جاعلاً نصيباً كبيراً من سعيه موقوفاً على خدمة وطنه الأصلي وخدمة بنيه الذي يحطون رحالهم في أي بلد يكون فيه. وكان من نتائج جهاده في سبيل تونس أن حكم عليه قضاء الاستعمار بالموت غيابياً، وباستصفاء مكاسبه في مسقط رأسه، فما أبه لذلك

وما صده قضاء الاستعمار عن المضي في سبيله الذي اختطه لنفسه، والذي حافظ على السير فيه إلى آخر نفس من حياته.

ومنذ أسابيع قليلة تلقى أحباؤه وعارفوا فضله الجم بسرور بالغ وشكر جزيل نبأ الدعوة الكريمة التي وجهها إليه فخامة رئيس الجمهورية، وتقبلها فضيلته قبولاً حسناً على أمل أن يلبيها في شهر مارس المقبل. ولكن المنية عاجلته، وحالت بينه وبين أن يرى التقدير اللائق بمقامه وعرفان الجميل من وطنه الذي سيعرب له عنه باسم هذا الوطن العزيز فخامة رئيس الجمهورية.

رحمه الله رحمة واسعة، وأغدق على مرقده الطاهر شآبيب الرضوان، وأسكنه فسيح الجنان مع الأبرار والصديقين، جزاء ما قدمه للعلم والإسلام والمسلمين من جليل الخدمات[1].

❒ ❒ ❒

---

(١) جريدة (الاستقلال) التونسية ـ لسان اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي ـ العدد ١١٩ ـ السنة الثالثة تاريخ ١٨ رجب ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨. رئيس التحرير السيد محمد المنصف المنستيري.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفهرس العام للموسوعة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة